تركيا

والبحث عن الذات

تصوير

أحمد ياسين

بقلم: ممدوح عبد المنعم



تركيا و البحث عن الذات

بقلم

ممدوح عبد المنعم

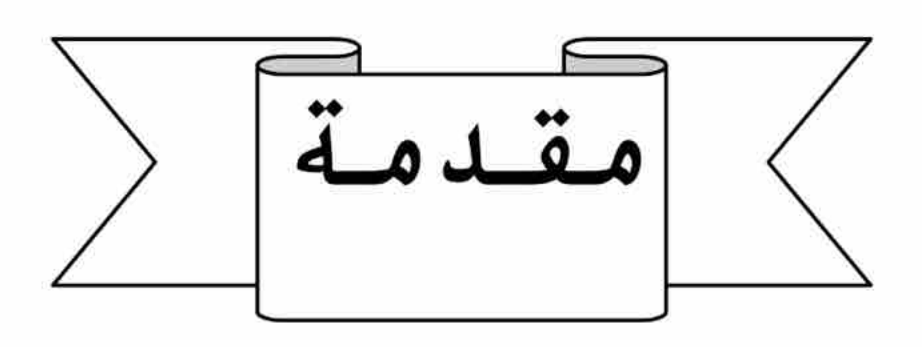


إهداء

حتى إذا غربت الشمس عن المدينة في مساء ذلك اليوم الاثنين لأحدي وعشرين ليله خلت من شهر جمادي الآخرة للسنة الثالثة عشرة للهجرة تلا أبو بكر قوله تعالى " ربي أمتني مسلماً وألحقني بالصالحين " ولم يقل شيئاً بعدها... ثم غربت حياة أبي بكر ولكن شمسه لن تغيب أبداً بما حملها للعالمين من ضياء..

رحمك الله يا أبا بكر كنت والله أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدهم يقينا فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله صلي الله عليه وسلم، وعن المسلمين خيراً.. كنت ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله جليلاً في الأرض وكبيراً عند المؤمنين " إليك أهدي كتابي.

المؤلـــــف



ينطبق التعريف الذي قدمه عالم الاجتماع " لويس كسر " عن الصراع علي الصراع الدولي أيضاً : بأنه مواجهه بين لاعبين جماعيين حول قيم أو قوانين أو سلطات أو حول موارد نادرة .. ويتمثل هدف كل محرك في تحييد منافسيه أو إضعافهم أو إقصائهم وفضلا عن ذلك فإننا قد اعتدنا في التاريخ الحديث علي الصراعات المتداخلة حيث نكتشف بالتتابع أن الصراعات يكمن احدهما وراء الأخر حيث تتحد من جديد السوسيولوجيا السياسية الداخلية وسوسيولوجيا العلاقات الدولية .. وهذا الكتاب نموذج للبحث والدراسة حول العلاقات بين القوي العظمي وإدخال أو إخراج لاعبين ثانويين طبقاً لطبيعة الدور المنوط به لكل لاعب وتأثيره المتوقع في الحدث، وكان إنهيار الاتحاد السوفيتي قد قضي علي التصورات القائمة حول السلام القائم علي توازن الرعب بين الكبار وتبعية الضعفاء ويفرض ذلك التسليم بأهمية اللاعبين الثانويين في أي صورة من صور الصراع مثل الصراعات المحورية حيث تواجهت القوتان العظميان لتهدد كل منهما وجود الأخرى علي نحو مباشر (أزمات برلين وكوبا) والصراعات الإقليمية حيث وقعت مواجهات حربية بينهما وإن كانت غير مباشرة من خلال التدخل إلي جانب أحد الأطراف المتحاربة وتزويدها بالسلاح وفي الصراعات المحلية حيث يتم تسخير لاعبين من الداخل، وظهر في العصر الحديث الحرب بالوكالة بأن يتولي أحد اللاعبين الثانويين المهمة بكاملها لصالح قوي عظمي .. وفي العديد من الحالات لم يكن خضوع اللاعبين الثانويين كليا والأمثلة عديدة: إسرائيل وسوريا . اليونان وتركيا . تشاد وانجولا ، فقد وضعت هذه الدول المدافعين عنها وحلفاءها أمام الأمر الواقع في بعض الأحيان حيث أجبرتهم علي مواءمة سياستهم تبعاً لأوضاع لم تكن في الحسبان

وكما لم يكن الخضوع كاملاً فقد استمر احد الصراعات الأكثر دموية في الأعوام الاخيره (الحرب العراقية – الايرانيه) قرابة عشرة أعوام دون أن تسيطر عليه أي من القوتين العظمتين .. والنموذج التركي في هذا الكتاب هو الأمثل للدراسة والفهم لدور اللاعب الرئيسي (قوي عظمي) واللاعب الثانوي (تركيا – إيران – إسرائيل) مثلاً والتأثير والتأثر في الأحداث والصراعات الدولية .. وتركيا كانت قوي عظمي وانتقلت إلي لاعب ثانوي .
وإيران أيضاً كانت قوي عظمي وانتقلت أيضاً إلي لاعب ثانوي (أو سوف تنتقل بصورة أكثر وضوحاً) وإسرائيل وكيل بالانابه في النشأة والتكوين وفي اعتقادي أن النموذج التركي اشمل وأوضح في الدراسة والتطبيق علي النظريات سالفة الذكر في الصراع الدولي بكافة صوره وأشكاله والتأثيرات والمحاور والأحلاف الإقليمية ولأن النموذج التركي يتحرك في محاور خمسة عديدة وأساسية وهي محاور أمن قومي يتعلق بالجوار الروسي و (السوفيتي سابقاً) والأوروبي (الأتحاد الأوروبي) والشرق الأوسط العربي وإسرائيل ثم المحور الأمريكي الرئيس والأولي بالرعاية والذي استلزم الحركة في حذر نحو أي من المحاور والنظر إلي المحاور الأخرى بكل الاعتبار ..

المؤلف

الباب الأول

تركيا من الداخل

الـفـصـل الأول

أصل و صورة.. بين أسبانيا وتركيا ونظرة من بعيد نحو فرنسا وإيطاليا

عندما أكون بعيدا عن مصر يكون بصحبتي في الغالب الأعم كتاب أجد في نفسي الحاجة إلي أن يكون الرفيق في هذه الرحلة و يكون الوقت و الظروف غير ملائمين للصحبة فترة طويلة للتأمل في صفحاته في مصر و صادفني وقد كنت في إحدى دول شمال إفريقيا العربية و في العادة معي أيضا العديد من الصحف العربية و العالمية ووجدت نفسي اترك الكتاب لصحيفة أوروبية تصدر في لندن تتناول بالتحليل الشروط الأوروبية التي يتحتم علي تركية أن تتبعها كاملة كي تنعم بصحبة الاتحاد الأوروبي عضو عاملا فيه و تدخل قصر اليورو و ترفل في نعيمة ؟

وفي تأمل نحو التاريخ و الجغرافية أيضا وجدت أن هناك تشابه غريب و قوي بين ما تتمناه أوروبا (وما سينتهي إلية الحال إذا ما وفت تركيا بالشروط)

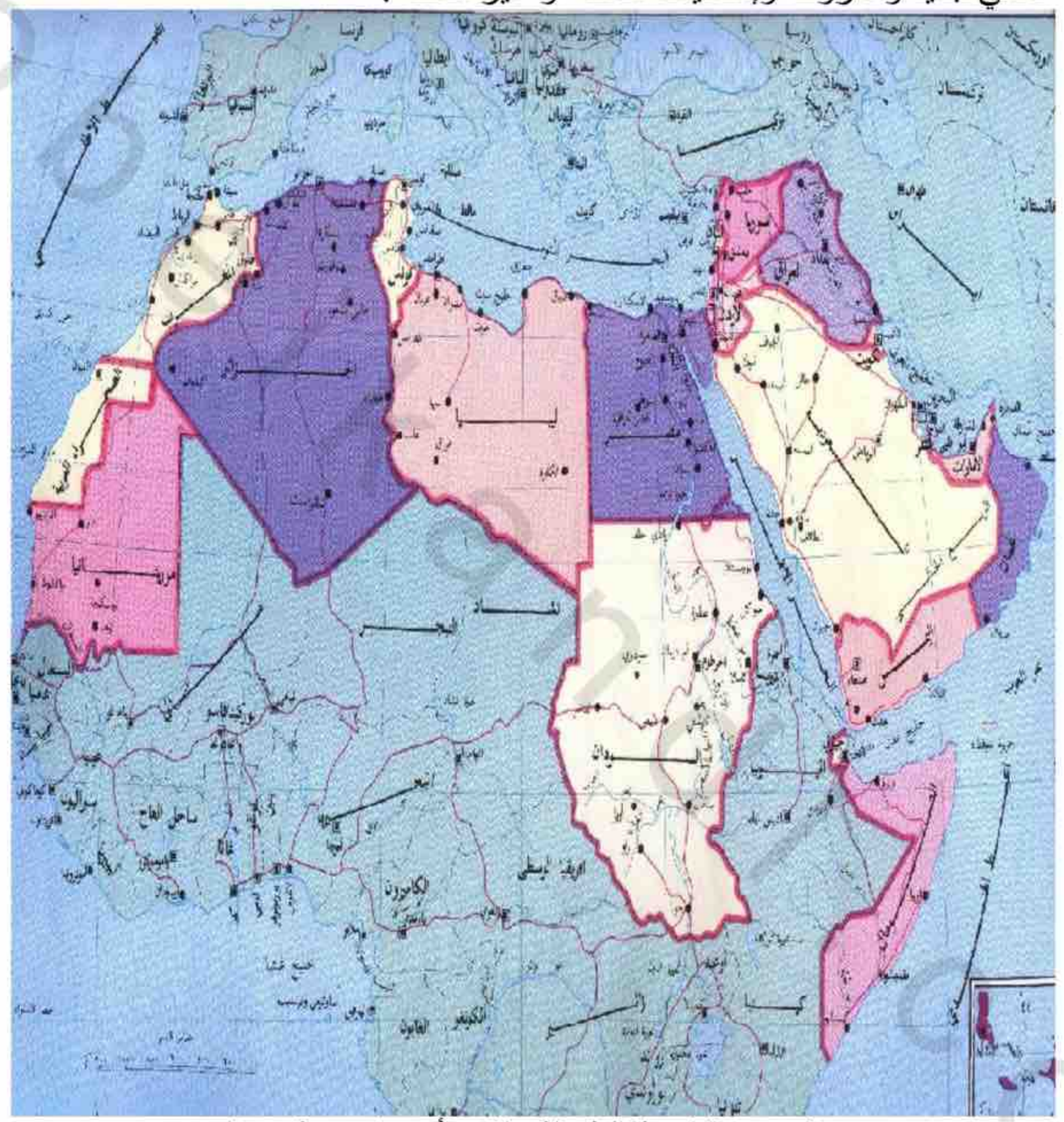
وبين ما حدث في الأندلس سابقا واسبانيا حاليا فيما يريد الغرب أن يرسم به صوره لتركيا تطابق الأصل في اسبانيا (الاندلس سابقا) وعدت إلي المراجع في القاهرة و ووجدت أيضا أنه لابد من رسم توضيحي جغرافي يضع حدودا للبحث و توضيحا له

حيث أميل إلي رأي العالم الجليل جمال حمدان عاشق الجغرافيا وعالمها الولهان في أن الجغرافيا هي أصل المعرفة وعبقرية المكان فلابد من تحديد المكان وبداية الزمان ليكون الفهم صادقاً ومريحاً .

في الصورة – تركيا – الاسكندرونة – خط تماس و في الأصل اسبانيا– خط تماس —— سبته . طليطله .. مليلة – و خط التماس في الجنوب جنوب السودان .

ومن الرسم نري أصل الصورة وهي أسبانيا وموقعها الجغرافي في الغرب العربي ثم نقطة تماس علي الأرض في المغرب وهي منطقة محتلة ومتنازع عليها بين المغرب واسبانيا مغطاة بصمت مغربي يتناسب مع الوضع العالمي الجديد وظروفه القاسية وفي الشرق من تركيا ونقطة

التماس علي الأرض في لواء الاسكندرونة والمحتل من تركيا والمتنازع عليه بين تركيا وسوريا والمقابل بصمت رهيب طبقا لظروف قاسية ووضع عالمي جديد ومعروف وإمكانيات متاحة أو غير متاحة .



و يتضح من الرسم والمقدمة الطويلة ولكني أجدها حتمية في الرجوع إلي الزمان والمكان لأنه كان بعيدا وشاقاً.

أولا : بدأت الرحلة وخطوط الصورة في أصلها " أسبانيا " بمعونات أوروبية ومساعدات عسكرية غربية لا يمكن معها السماح بالتوغل العربي الإسلامي أكثر من هذا وذلك بعد إيقاف التوغل والانتصار علي عبد الرحمن الغافقي في جنوب فرنسا والتي عبر أشرافها وقادتها إلي الأندلس

لمساندة الفونسو السادس وكان بينهم أشراف برجونية هما الكونت ريمون البرجوني والكونت هنري دي لورين وكلاهما ينتمي إلي آل كابية ملوك فرنسا .
وواجب الذكر أن محاكم التفتيش نشأت في فرنسا وليس في أسبانيا ، أي أن البداية كانت في فرنسا وانتقلت إلي اسبانيا .
ويقول في ذلك ايضاً " مايكل انجلو ياكوبوتش " في كتابه إعداد الحوار والذي قدم له " امبرتو إيكو " " ها نحن قد وصلنا إلي النقطة المركزية في محكمة التفتيش وهي كلمة مجرد النطق بها يستدعي إلي ذاكرتنا عجلات التعذيب والمحارق في الميدان العام وهي مرحلة مزعجة فقد أثارت – حتى بالنسبة إلي الكتاب الكاثوليك نقطة سلبية للغاية في تاريخ الكنيسة وجعلت من هذا التاريخ آله لا تهدأ للقمع الايدولوجي وهي تعد في نظر اخرين آله قتل وواحدة من كبريات السقطات وعلامات الانحطاط الأخلاقي للتأريخ الديني لتلك الأزمنة .. وعلي جانب أخر كان هناك من يدافع عنها بأنها كانت إنعكاساً للرضا الشعبي في الفترة الطويلة التي نشطت فيها .." .
ثـــانـيـــا : واكب وصاحب المعارك العسكرية اتفاقات جانبية لتفريق القادة والممالك العربية وان أبرزها اتفاقات فرناندو وملوك قشتالة وطيطلة .
ثـــالـثـــا : طبيعة ونظم حكم التوريث التي أتت بحكام لم يكونوا علي مستوي المسئولية والمهارة ولم يستطع أغلبهم النظر حتى تحت قدميه واعتقد أن النظم العربية فطنت إلي هذه النقطة وتختار من يصلح في العائلة المالكة والمناسب إلي طبيعة المرحلة صحياً وخبرة .
رابـعـاً : الصبغة الدينية حتى يكون النضال والقتال بضراوة وقوة لا يقف أمامها ضمير أو نفس ترتاح إلي ما تفعل فالغاية كانت مثل الغطاء الثلجي كلما غلت المراجل تراجعت النفوس فالغاية من أجل الدفاع عن الكاثوليكية وإرضاء الرب والدليل إشراف رجال الدين والقساوسة علي ما يتم حتى ان ساندوفال قال " يجب أن نسقط مثل هذه العصور من سلسلة تاريخنا القومي " .
خـامـسـاً : بدء التفريغ من الداخل ما صاحب ذلك من محاكم التفتيش التي وكلت إليها مهمة خلع الجذور وصبغة الأوراق بالصبغة الأوربية الصليبية الكاثوليكية ولا مجال هنا للتوسع في هذه المحاكم وما حدث فيها يفوق كثيرا ما حدث فعلا أو أضيف علي ما حدث في معسكرات اليهود في

ألمانيا كما يزعمون وعلي سبيل المثال فقط عدم الأكل في نهار رمضان أو لبس لباس جديد يوم الجمعة كفيل بالمحاكمة والإعدام وكفي ..؟! .

سادساً : ووجدت أن من 20 : 25% من كلمات اللغة الاسبانية ذات أصول في اللغة العربية وكان الرد علي غير ما افهم وهو أن هذه الكلمات في اللغة الاسبانية القديمة وتم استبدال هذه الكلمات أو قل معظمها الغالب إلي كلمات ذات أصول إيطالية وفرنسية و نقل سريع وفعال حتى لا نتوه وسط هذه الحقبة الطويلة والعنيفة والرامية إلي تغيير حروف اللغة إلي الحروف اللاتينية ثم بعد ذلك استبدال الكلمات التي من أصول عربية إلي كلمات من أصول إيطالية وفرنسية كما سبق أن أوضحت وكانت هي اللون الأخير في الصبغة النهائية نحو النهاية .

سابعاً : انتصر الأسبان الكاثوليك وانتهت ألهويه العربية الإسلامية وظهرت أسبانيا الأوربية الكاثوليكية .

ثامنا : لم تنقطع ولم يحدث مع كل ما حدث أن انقطعت العلاقة والأحداث بين أسبانيا والمغرب العربي حتى الآن " لاحظ نقط التماس في الرسم التوضيحي " والدليل علي ذلك الدور الذي قام به الجنود المغاربة أو كما أسموه بالجيش المغربي الذي كونه واستعان به الجنرال فرانكو حتى انتصر ووصل إلي كرسي الحكم في أسبانيا أي أن خطوط التماس لازالت بعروقها الدماء تؤثر بالسلب والإيجاب ؟! .

تاسعا : زيارات رئيس وزراء أسبانيا السابق واهتمامه البالغ بأحداث المنطقة لتنشيط واختبار مدي التأثير والتأثر " زيارات أزنار"

عاشراً : ما قامت به أسبانيا من مجهودات ضخمه وإيجابية ومساعدات قوية في الترويج لغزو العراق علي المستوي الدولي أو الأمم المتحدة وذلك بلا مصلحة مباشرة أو غير مباشرة سوي الدخول في الصورة والتجهيز لأحداث مستقبلية وأدوار قد تكون أقوي مما يتوقع أكثر المراقبين السياسيين طموحا وتخيلاً .. أضف إلي ذلك زيارات ثباتيرو للجزء المحتل من المغرب أو نقط التماس قبل توليه رئاسة الوزارة وبعدها مما أجبر رئيس وزراء المغرب إلي التصريح بأن المنطقة المتنازع عليها مع أسبانيا أو نقط التماس ليست في الأجندة القريبة للمغرب ؟! .

حادي عشر : تخيل معي " تخيل فقط " أو حاول أن تتخيل لو تم الضغط بقوة من الجانب الغربي والذي تملأ أسبانيا أغواره بقوة وطموح وهي الأصل ولو حدث ذلك مع الصورة أو النيجاتيف في تركيا ووقع ذلك علي الشرق الأوسط بين فكي الكماشة أو بين فكي السبع الأوروبي وهذه الفكرة أو النظرية ليست من اختراعي ولا أرجوها وان كنت أحسها فمن

أحداث أوروبا وبريق عيون قادتها في اجتماعات الأربع أو الثماني وكلهم كبار بطبيعة الظروف أو سلسلة من مسلسلات سايكس بيكوا وسايكس بيكو 2 وهكذا ومن هنا تكون ملامح الصورة الأصل قد اتضحت وتقاسيم الوجه بأن تأثيرها واكتمالها ولنعد إلي الجانب الأيسر أو الشرقي من الصورة أو النيجاتيف أو تركيا لنري ما يحدث بها وفيها .؟! .

- طبق ما تم من خطوات في تركيا وراجع التاريخ والمكانة الجغرافية وما تم بنجاح في تركيا نحو الصبغة الأوروبية مقارنة بنجاح التجربة الاسبانية والتجربة الثانية في جنوب السودان تحت إشراف المملكة المتحدة بريطانيا والذي انتهى بدولة إفريقيه في الجنوب منفصلا عن دولة الشمال العربي ؟؟ وما تم من خطوات علي الطريق في تركيا وصل إلي النصف أي حوالي 50% مما تم في أسبانيا أي أصبحت تركيا في مفترق الطرق مع ملاحظة الآتي :

1- تم تغيير الحروف العربية المستخدمة في تركيا إلي الحروف اللاتينية.
2- تحولت من حامل لواء الخلافة وما تستلزمه من تبعات ومسئوليات تاريخية ومواقف تحسب لها وعليها إلي دولة علمانية ؟! .
3- سيطرة القادة العسكريين ودخولهم المعترك السياسي أو التحرك ليس بعيدا عن أيديهم وأعينهم.
4- المغازلة الأوروبية وبريق لامع لليورو الأوروبي وغواية صعبة المقاومة .
5- إيقاف أحياناً لمفاوضات الانضمام التركي للاتحاد الأوروبي مع التصريح الفرنسي والانجليزي شبه المتفق بأنه لن يسمح لدولة إسلامية بدخول الاتحاد الأوروبي .
6- بقدر ما تبعد به تركيا عن المكانة والجذور يتم بنفس القدر التقدم في خطوات الانضمام للاتحاد الأوروبي.
7- رغبة الأوروبيين والنظام الدولي الجديد في الوضع المستقبلي لتركيا يثق في أنه لن يسمح أبدا وشبه اليقين بإنشاء دولة كردية بأي حال من الأحوال في شمال العراق أو جنوب تركيا أو بجوار خطوط التماس الواضحة في الرسم التوضيحي وعلي الأكراد أن يفهموا ذلك ويعوه جيداً ولم يحصلوا في النزاعات السابقة أو التاريخ القريب سوي علي الوعود ولن تتعداها ، هذا قدرهم وتلك أمانيهم ثم انه بالنسبة لنظرة الشرق الأوسط الروحانية طالعهم سيء علي أوروبا والحملات الصليبية للحقائق التاريخية الأتيه:

أ – أول انتصار لعماد الدين زنكي علي إمارة الرها الصليبية في شمال العراق وشرق تركيا سنة 1144.
ب – انتصار صلاح الدين الأيوبي واستعادة إماره القدس سنة 1187
ج- انتصار الملك العادل في الحملة الصليبية الخامسة علي دمياط 1219
د – انتصار نجم الدين الصالح أيوب علي الحملة الصليبية السادسة وأسر ملك فرنســـا
(لويس التاسع) في المنصورة سنة 1249 .
هـ - ثم بما أنهم جميعاً أكراد أو من أصل كردي وكلهم سنة فهم أهل جذب وليس صراع.

ومما سبق نجد أنه لو نجح النظام الدولي أو الأوروبي في تجميل النيجاتيف أو مطابقته علي الأصل وتم وضع الشرق الأوسط بمكانته قبضة الحصار و السيطرة و كذالك مكانته الجغرافية وتاريخه ودياناته التي هو مهبطها وبتروله وأمواله العائدة منه تخيل ماذا سيحدث ؟

ولكن مع ذلك وهو المهم .

أ و لا : لن يستطيع أحد أن يرفع الجذور ويقتلعها من منابتها بسهولة وبدون قوة وعنف كما حدث في محاكم التفتيش لأنها مرتبطة بحبال قوية رغم الإعلان عن التخلي عنها وهي حبال الخلافة ودروبها التي مازالت تستخدم ويمشي فيها الدواب والأفراد خلال رحلة التاريخ الطويل بينها وبين كوسوفو والبوسنة والشيشان وقبرص والجبل الأسود وأرمينيا ودول جنوب الاتحاد السوفيتي السابقة مثل قاجستان واذربيجان الخ.. ثم متاحف بها أدوات وأثار محمد الفاتح وآثار من المدينة المنورة وثلاثة ألاف مئذنة أثرية تشدو خمس مرات في اليوم بخلاف الآلاف الكثيرة الاخري الحديثة والتي أنشئت بعد ذلك .

إذا لن يتم إزالة كل هذا إلا بالقوة واستبعد ذلك تماما علي الأقل في الوقت الحالي.

ثـــا نـــيـــاً : لن يتم التغيير إلا بالقوة وهذا مستبعد أو علي الأقل حالياً لذلك لن يتبقي إلا محاولات التفريغ من الداخل وببطء حتى يتم التطبيق وبأقل الآلام وبمخدر بريق اليورو وغوايته التي لا تقاوم .

وفي النهاية وحتى أجد الطريق إلي اتفاقية بازل بسويسرا 1912 وظروفها وملابستها وفهمها لم يعد يتبقي إلا ظل جديد في الصورة بدأت تتضح معالمه ولنا فيها جانب وهو أن فرنسا كانت ودائما في الفترة السابقة هي صاحب النصيحة والصدر الحنون كلما ضاقت الصدور جفت ينابيع التفاوض واشتدت الأزمات سواء مع أمريكا وأوروبا أو حتى إسرائيل

ورضينا بهذا رغم كونه لا يتعدي النصيحة أو إرضاء الخاطر ورضيت فرنسا بنفس الدور ويتبقي من الصداقة ما يكفي الاقتصاد الفرنسي من المنطقة من استثمارات وسلع فرنسية ولا مانع من أسلحة وطائرات تنعش الخزانة الفرنسية والمصانع الحربية لتدور كلما اشتد الصراع وظهر هذا واضحا في أثناء حرب العراق أو الغزو الانجلو امريكي للعراق ولكن بعد الحرب تغيرت الأمور رأسا علي عقب فلسان حال فرنسا يقول لنا طالما هذا الصمت الرهيب والرضا والسماح لهذا الحد في هوانكم علي أنفسكم فلدينا مصالح يا أصدقائي العرب وأنا أولي من الغريب واستطيع أن أعطيكم منه وبجودة وبدأت في أظهار اللون الأزرق من الصورة كالأتي :

1- إلغاء الحجاب من المدارس الفرنسية (قانون التمييز) .
2- الضغط بشدة علي سوريا وكلما سنحت الفرصة ودون أن تضار أو تتأثر مصالحها ولكنه الإعلان عن الوجود أو التذكرة لمن ينسي .
3- السيطرة وبشدة علي الموقف اللبناني مستغلة في ذلك حادث اغتيال الحريري وجعله قميص عثمان والذي عانينا منه طويلا وأصبح من علامات تاريخنا الإسلامي.
4- إظهار عصا الغلظة في المواجهات مع العرب الأفارقة والمهاجرين في جنوب فرنسا .
5- الرد علي الغضب العربي والإسلامي من نشر الصور المهينة للمسلمين ورسولهم الكريم في الصحف الدنمركية والنرويجية وإعادة نشرها في الصحف الفرنسية وكأنها اكتشاف أو موضة لإخراج اللسان ثم أن الصحف الفرنسية هي التي كررت نشر الصور أكثر من مره.
6- التلويح والإعلان الصريح بإمكانيات فرنسا النووية وإمكانياتها العالية واستعدادها للاستخدام دون أي محاذير ودون تعرض أمنها القومي للخطر أو قل دون سبب إلا الإعلان عن الوجه الخشن طالما هذا هو حالنا أليس الصديق أولي من الغريب وسلام يا صاحبي.

وفي النهاية أود ن أقول أنني شعرت إلي حد ما أن ما كتب قد لا يهم القاريء ولن يهتم به سوي قارئ الغد وانتابني شيء من القلق ولكنني بعد كتابة البحث وجدت علي شاشة التليفزيون والفضائيات صورة لبوتين أعلي مسئول روسي ورأس الدولة الروسية يقابل بترحاب شديد واهتمام بالغ علي كل المستويات في أسبانيا فهل تري معي أن لهذه الزيارة علاقة بنضال وكفاح الجيش الروسي أيام فرانكو علي أرض اسبانيا في الحرب الأهلية أي أنها عودة اهتمام بذلك الموقع أم أنها عمق في الرؤية وفهم وإدراك لأصول

اللعبة الدولية وعدم ترك الآخرين يلعبون وحدهم يأتي بعد ذلك البيان المشترك والنداء المشترك في جميع صحف العالم يتوسطه صورتان لخوسيه ثاباتيرو رئيس وزراء أسبانيا ورجب طيب أردوغان رئيس الوزراء التركي بنص علي الآتي " تاريخياً مثلت اسبانيا وتركيا نقطتي تلاق بين الشرق والغرب ولذلك فإننا نعرف جيداً أهمية الطريقة التي يمكن بها التعامل إزاء التباين بين الثقافات المختلفة " هذا نص بالحرف من البيان المشترك ولا تعليق غير أن للأقدار قرار أخر و مشيئة لا تقاوم و صعد التيار الإسلامي إلى سدة الحكم في تركيا و لكن إلى أى ارتفاع سيكون و هل ستتركه أوروبا و الغرب إلى الصعود لا اعتقد ذلك ؟

حسب تسريب لويكيليكس من سفارة واشنطن في أنقرة

قالت مجلة دير شبيغل الألمانية استنادا إلى إحدى البرقيات الدبلوماسية التي سربها موقع ويكيليكس المناصر لشفافية المعلومات الحكومية، إن الدبلوماسيين الأميركيين كانوا متشككين بجدوى تركيا كحليف للولايات المتحدة.

تقول المجلة نقلا عن البرقية إن الصورة السائدة عن القيادة التركية في العاصمة أنقرة أنها منقسمة ويتغلغل فيها الإسلاميون.

وتتضمن البرقية تخوفا كبيرا من الميول الإسلامية لحكومة رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، ويصف الدبلوماسيون الأميركيون وجود تركيا كشريك في الناتو وصاحبة ثاني أكبر جيش فيه على أنه "مدمر".

تقول المجلة إن البرقية تظهر أيضا قلق الأميركيين من آراء داود أوغلو المتعلقة بتيار العثمانيين الجدد.

وتورد البرقية اقتباسا من قول أحد المستشارين الحكوميين الأتراك إن "داود أوغلو خطير للغاية لأنه قد يستخدم نفوذه الإسلامي للتأثير على أردوغان".

انــتقــام

وتقول المجلة إن البرقية تضمنت اقتباسا آخر من مستشار في حزب العدالة والتنمية ولكن لا يخلو من التهكم قال فيه إن تركيا قد تذهب إلى حد "استرجاع الأندلس لتنتقم من هزيمتها في حصار فيينا عام 1683".

وتختم المجلة مقالها بالقول إن البرقيات لفتت انتباه وزارة الخارجية الأميركية إلى أن أردوغان يطلق على نفسه لقب "حامي الأناضول". فهل يكون الحلم حقيقة و الامانى اراده ؟؟ تلك كلمه الأقدار

الفصل الثانى

نظم الحكم

الدستور التركى

يمتاز النظام التركي بتحفزه واستعداده الدائم لمواجهة أعداء العلمانية، مع الحرص على توكيد الروح القومية التركية بوصفه مكونا أساسيا ينسخ المعاني الدينية التي جاءت بها السلطنة العثمانية، فشحنت مواده بروح عدائية لكل ما يمت لتلك الحقبة بصلة، مما أوقع تركيا في أزمة هوية ما زالت مثار جدل لدى الأتراك وغيرهم.

الدستور فى العهد العثمانى

كان النظام العثماني يقوم على أساس السلطنة، وكانت صلاحيات السلطان العثماني مطلقة ولكنها في الوقت نفسه منضبطة بأحكام الإسلام بشكل عام إذ إن الدولة يومذاك كانت تستمد شرعية وجودها وقوة سلطانها على الشعوب التي تحكمها من دين الإسلام. وفي بعض مراحل ضعف السلطنة وأمام تعاظم الدور الأوروبي السياسي والحضاري كانت تنطلق محاولات للتحديث يرجع مؤرخون أتراك بدايتها إلى السلطان سليم الثالث (1789-1807) وتمتد مراحلها إلى عهد السلطان محمود الثاني (1808-1839)، ولكنها لم تلامس جوهر النظام.

وبقي هاجس الإصلاح السياسي والقانوني ولا سيما الدستوري منها ملازماً للدولة العثمانية، ولعل محاولة وزير خارجية الدولة العثمانية رشيد باشا في عام 1839 إدخال أحكام دستورية في نظام الدولة في عهد السلطان عبد المجيد الأول (1839-1861) هي أول محاولة جادة في هذا الاتجاه، ولكن

لم تلق طريقها للنجاح.
وفي عهد السلطان عبد العزيز (1861-1876) قام مدحت باشا -وكان وزيراً للعدل- باقتراح دستور على السلطان، فما كان من الأخير إلا أن أمر بعزله فوراً من الوزارة.

وتولى مدحت باشا الصدارة العظمى (رئاسة الوزراء) في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909)، فعهد إليه السلطان تأليف لجنة لإعداد دستور للبلاد، فكان أن أعدته اللجنة ونشرته تحت اسم "قانون أساس" في 23 ديسمبر/ كانون الأول 1876، وضم الدستور الجديد الذي تأثر واضعوه بالدستور البلجيكي والروسي 12 قسماً و119 مادة، وأصبح دستوراً رسمياً للدولة ونص على أن الإسلام دين الدولة وعلى إنشاء مجلسين للنواب والشيوخ وأناط وضع الميزانية بمجلس النواب وأقام الحكم في الولايات على أساس اللامركزية. وبعد 11 شهراً من الحياة النيابية أوقف عبد الحميد العمل بالدستور، واستمر هذا التوقيف 30 عاماً إلى أن أصدر السلطان عبد الحميد الثاني مجدداً قراراً في 23 يوليو/تموز 1908 بإعادة العمل به.

وبعد سقوط الخلافة العثمانية اختارت تركيا دستوراً مدنيا مستوحى من الدستور السويسري بدلاً من الدستور العثماني، وذلك في نوفمبر/ تشرين الثاني 1922، وبعد إعلان الجمهورية في 29 أكتوبر/ تشرين الأول 1923 وانتخاب مصطفى كمال أتاتورك رئيساً لهذه الجمهورية الناشئة وإعلان إلغاء نظام الخلافة وفصل الدين عن الدولة في 3 مارس/آذار 1924 بدأ تحول جذري في الحياة السياسية التركية وفي الدستور التركي لتأخذ تركيا العلمانية موقعها الجديد في العالم.

دستور الجمهورية التركية

إن كل التعديلات الدستورية التي تلت قيام الجمهورية التركية كانت تهدف إلى الانعتاق من مؤثرات المرحلة العثمانية وتكريس النظام العلماني، وذلك ابتداء من دستور 1924 الذي كرس حكم الحزب الواحد لمدة عقدين من الزمن حكم فيها حزب أتاتورك "حزب الشعب الجمهوري" إلى أن تأسس الحزب الديمقراطي وحكم مرات متتالية، ثم انتهى أمره بانقلاب عسكري في 27 مايو/أيار 1961 حكم فيه على رئيس الجمهورية جلال بايار ورئيس الحكومة عدنان مندرس ورئيس المجلس النيابي رفيق كولتان

بالإعدام بعد أن اتهموا بأسلمة الدولة وتهديد مبادئ أتاتورك ونظامه اللاديني.

ورغم أن دستور 1982 -وهو النافذ حتى الآن- قد فتح الباب أمام التعددية الحزبية وأطلق حرية التعبير، فإن الاتهامات القائمة على أساس الإساءة للمبادئ الكمالية والنظام العلماني لا تزال قائمة ولها سند في الدستور التركي أي دستور عام 1982 والذي تجدر الإشارة إلى أنه وضع إبان حكم عسكري جاء به انقلاب سبتمبر/ أيلول 1980.

فمقدمة الدستور تنعت مصطفى كمال أتاتورك بالبطل الخالد تأكيداً للاتجاه العلماني الذي خطه للبلاد واعترافاً بدوره الأساسي في إخراج تركيا من نظام الخلافة إلى نظام الجمهورية، وتقرر المادة الثانية من الجزء الأول من الدستور بوضوح أن تركيا جمهورية علمانية تدين بالولاء للقومية الأتاتوركية. وعلى هذا الأساس تم حل حزب الرفاه وحُظر العمل السياسي على رئيسه نجم الدين أربكان مدة خمس سنوات، ومن بعده حزب الفضيلة الذي حل بدوره لينتهي به الأمر مقسماً إلى حزبين حزب السعادة، وحزب العدالة والتنمية الذي يتزعمه الطيب أردوغان والذي حوكم أيضاً على خطاب ألقاه في تجمع سياسي.

وفي شق آخر وإمعاناً في سياسة التتريك يذهب الدستور إلى وحدة الأمة التركية وأن التركية لغة البلاد ويتجاهل اللغات والمجموعات الأخرى التي تتمتع بالعراقة والقدم في البلاد ولا سيما الكردية، ويحظر الدستور أي استخدام رسمي للغات المحظورة في إشارة إلى اللغة الكردية، لكن البرلمان التركي وفي محاولة للاقتراب من المعايير الأوروبية أقر في أغسطس/آب 2002 مشروعاً يسمح ببث البرامج بمختلف اللغات واللهجات التي يتداولها المواطنون الأتراك في حياتهم اليومية، كما أقر في تصويت أولي مشروع قانون عن التعليم باللغة الكردية في المدارس الخاصة.

المؤسسات الدستورية

ينص الدستور التركي على مجموعة من الأجهزة التي تسير النظام التركي، وتتوزع على السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية وملحقاتها.

الجمعية الوطنية

وتتمثل السلطة التشريعية بالجمعية الوطنية، ويبلغ عدد أعضائها 550 عضواً ينتخبون كل خمس سنوات باقتراع نسبي، ويحق للنائب الترشح لأكثر من دورة، وتنعقد الانتخابات قبل موعدها وفي غضون ثلاثة أشهر إذا شغر 5% من مقاعد البرلمان، وكذلك إذا فشل البرلمان في تشكيل حكومة في غضون 45 يوماً فيدعو رئيس الجمهورية بالتشاور مع رئيس البرلمان لانتخابات مبكرة.

وقد يتأخر إجراء الانتخابات إلى ما بعد الموعد المقرر بسبب الحرب على أن لا يتجاوز السنة، وتؤجل أكثر من مرة إذا لم تزل الأسباب الموجبة للتأجيل أو التأخير. والمفترض في كل حزب يدخل البرلمان أن يحصل على 10% على الأقل من أصوات الناخبين، ويشترط في المرشح أن يبلغ الثلاثين من عمره، ويمنع من الترشح للانتخابات كل من لم يحز الشهادة الابتدائية أو جُرّد من أهليته القانونية أو لم يؤد الخدمة العسكرية أو جُرّد من حقوقه المدنية أو حكم عليه بالسجن بما يعادل سنة واحدة مع استثناء المسجون لفعل غير متعمد، ويمنع أيضا كل من سجن لأسباب مشينة مثل الاختلاس والفساد والرشوة.. وكل من تورط في نشاطات فوضوية وأيدولوجية أو حث عليها ولو حصل على عفو. ويمنع من الترشح أيضا أصحاب بعض الوظائف الرسمية وكل من يعمل في القوات المسلحة.

رئاسة الجمهورية

يُنتخب رئيس الجمهورية كل سبع سنوات بأغلبية الثلثين من الجمعية الوطنية ومن بين أعضائها، ويشترط أن يكون فوق الأربعين من عمره، وحاصلا على شهادة جامعية، وإذا كان من خارج أعضاء الجمعية الوطنية فإضافة إلى الشروط السابقة يجب أن يتصف بمؤهلات الترشح للجمعية الوطنية على أن يقدم اقتراح ترشيحه خُمس أعضاء البرلمان.

ويمنع الدستور رئيس الجمهورية من الترشح مرة ثانية، ويوجب على الرئيس المنتخب أثناء ولايته أن يقطع علاقته مع حزبه إذا كان عضواً في حزب، وأن يوقف عضويته في البرلمان. وأعطاه الدستور حق دعوة الجمعية الوطنية للاجتماع إذا دعت الحاجة، وكذلك له أن يدعو الحكومة للاجتماع وأن يرأس جلساتها، ودعوة مجلس الأمن القومي للاجتماع وأن يرأس جلساته، ومن صلاحياته تعيين رئيس الأركان، وهو أيضاً المرجع

لإعلان القوانين والمراسيم أو فرض القوانين العسكرية أو قانون الطوارئ. وله حق إعادة القوانين للبرلمان كي يعيد النظر فيها، وإذا أعادها البرلمان مجدداً فإن الرئيس ملزم بها ولو لم يغير البرلمان فيها شيئا.

رئاسة الوزراء

ورئيس الوزراء يعينه رئيس الجمهورية من بين الفائزين في الانتخابات التشريعية، ويختار رئيس الحكومة حكومته بالتشاور مع رئيس الجمهورية وبتصديق الجمعية الوطنية على أعضائها، ويقال الوزراء من قبل رئيس الجمهورية باقتراح من رئيس الحكومة إذا وجد ضرورة لذلك.

المحكمة الدستورية

وتحظى بأهمية خاصة ولأحكامها تأثير بالغ في الحياة السياسية، فهي التي أقصت حزب الرفاه ومن بعده الفضيلة بتهمة تهديد النظام العلماني للبلاد بناء على القوانين التركية الصارمة والتي لم يتورع القاضي سامي سلجوق أن يدعو لتعديلها، بل دعا لإلغاء دستور عام 1982 ووصفه بأنه لا يعدو أن يكون تقريراً مكتوباً من قبل الشرطة لتعذيب المواطنين.

والمحكمة الدستورية هي الهيئة القضائية الأعلى في البلاد، ومكلفة حماية الدستور والدفاع عنه. وظهرت هذه المحكمة في عام 1961 للتأكد من عدم مخالفة القوانين التي تسنها الحكومة لمواد الدستور، وأعيد تشكيلها في عام 1982.
وبحسب دستور 1982 تتألف المحكمة من 11 عضوا منتظماً وأربعة أعضاء غير منتظمين يختارهم رئيس الجمهورية من الجهاز القضائي المدني والعسكري التركي، وتعتبر أحكامها نهائية.

مجلس الأمن القومي

وأكثر النقاط المثيرة للجدل في الدستور التركي هو موقع المؤسسة العسكرية التي نصبت نفسها للدفاع عن المبادئ العلمانية منذ عهد الرئيس أتاتورك وحتى اليوم، والتي لم تتورع عن التدخل بشكل غير مباشر في ممارسة الضغوط على المؤسسات المدنية أو بشكل مباشر عبر الانقلابات العسكرية إذا دعا الأمر، وحفظت لنفسها دوراً رقابياً وتنفيذياً في الحياة السياسية عبر مجلس الأمن القومي التركي.

وقد أنشئ مجلس الأمن القومي التركي ليوفر للجيش قناة قانونية تعطيه صلاحية التدخل في الشأن السياسي، ويتألف هذا المجلس من رئيس الأركان والقادة الأربعة: الجيش والبحرية والجوية وقائد الجندرما إلى جانب رئيس الوزراء ووزير الدفاع والخارجية والداخلية. وينعقد المجلس برئاسة رئيس الجمهورية الذي يعد برنامج الاجتماع ويأخذ بعين الاعتبار اقتراحات رئيس الوزراء ورئيس الأركان. وأجاز الدستور دعوة الوزراء أو غيرهم إلى الاجتماع لسماع آرائهم إذا دعت الحاجة. ووظيفة المجلس أن يقدم قراراته لمجلس الوزراء الذي يعطي بدوره هذه القرارات الأولوية والتي من المفترض أنها تتعلق بأمن ووحدة تركيا وسلامة أراضيها.

ويمارس هذا المجلس نفوذاً واسعا في الحياة السياسية أشبه بحكومة ظل، وهو ما لا ينكره أحد من الأطراف السياسية وإن اختلفوا في توصيفه، ويدرك الساسة الأتراك تماما أن المجلس بصيغته الحالية التي تعطي للجيش فرصة التدخل في الحياة السياسية يشكل عائقاً أمام دخول تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، وهو ما قاله الاتحاد الأوروبي عام 2000 صراحة حتى إن الجيش التركي أصبح متهماً من بعض الأطراف الخارجية والداخلية بأنه لا يريد لتركيا أن تلتحق بالاتحاد الأوروبي كي لا يخسر نفوذه السياسي وهو ما نفاه الجيش بشكل قاطع وربط دوره بأمن تركيا ورفاهيتها.

والواقع أن الحفاظ على العلمانية وإثارة الخوف من يقظة التاريخ الإسلامي التركي للإمبراطورية العثمانية تشكل أهم المبررات التي تتذرع بها المؤسسة العسكرية لإبقاء الوضع على ما هو عليه، وهذا ما دفع مسعود يلماظ الذي كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء وكان مسؤولاً عن الملف التركي في الاتحاد الأوروبي إلى أن يقول "إن وضع الجيش التركي مختلف إلى حد بعيد عن الجيوش في الدول الأوروبية، وإن عملية تغيير وضع ودور الجيش التركي في الحياة السياسية سيستغرق وقتًا إذ لا يمكن أن تتم بين عشية وضحاها".

حزب العدالة والتنمية (AKP)

تم تشكيل حزب العدالة والتنمية من قبل النواب المنشقين من حزب الفضيلة الإسلامي الذي تم حله بقرار صدر من محكمة الدستور التركية في 22 يونيو/حزيران 2001، وكانوا يمثلون جناح المجددين في حزب الفضيلة.

تاريخ التشكيل: 14 أغسطس/آب 2001
رئيس الحزب: رجب طيب أردوغان
عدد أعضائه في البرلمان حاليا: 55

انتخب رجب طيب أردوغان عمدة إسطنبول السابق وأحد البارزين في الحركة السياسية الإسلامية في تركيا أول زعيم للحزب. حزب العدالة والتنمية هو الثالث والتسعون بعد المائة ضمن الأحزاب السياسية التي دخلت الحياة السياسية التركية.

توجهه الفكري

يشكل هذا الحزب الجناح الإسلامي المعتدل في تركيا، ويحرص على ألا يستخدم الشعارات الدينية في خطاباته السياسية، ويؤكد أنه لا يحبذ التعبير عن نفسه بأنه حزب إسلامي، فهو حزب يحترم الحريات الدينية والفكرية ومنفتح على العالم ويبني سياساته على التسامح والحوار، ويؤكد عدم معارضته للعلمانية والمبادئ التي قامت عليها الجمهورية التركية، كما يؤيد انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، ويؤكد أنه سيواصل تطبيق برنامج الإصلاح الاقتصادي الذي يجري تطبيقه في تركيا تحت إشراف صندوق النقد الدولي مع نقده لبعض جوانبه.

ويرفض الحزب أي عملية عسكرية ضد العراق. أهم مميزاته أنه يرفض التعصب لزعيم واحد حتى النهاية، ويعد بديمقراطية واسعة النطاق داخل الحزب.

شعبيته

تشير كافة استطلاعات الرأي إلى أن حزب العدالة والنهضة سيفوز بالحظ الأوفر من الأصوات بنسبة 30% في انتخابات نوفمبر/تشرين الثاني، وهو الأمر الذي يكسبه 250 مقعدا على الأقل في البرلمان، وقد تزيد هذه النسبة فينفرد بالسلطة. وتعود معظم شعبية حزب العدالة والتنمية الجديد بالدرجة الأولى إلى شخصية زعيمه رجب طيب أردوغان. وقد أصدرت لجنة الانتخابات العليا مؤخرا حكما بعدم أهلية أردوغان لعضوية البرلمان، أي لن يتمكن زعيم أكبر حزب في تركيا من دخول البرلمان ولا من تولي منصب رئيس الوزراء، الأمر الذي أثار تساؤلات عديدة من قبيل مدى انعكاس ذلك على أصوات الحزب سلبا أو إيجابا، لكن المراقبين يرون أن ذلك لن يؤثر

سلبا بل يزيد من شعبية الحزب.

كما اضطر أردوغان إلى الاستقالة من مهمته عضوا مؤسسا للحزب بسبب الحظر القانوني مع بقائه زعيما له. غير أن المدعي العام لمحاكم التمييز يرى أنه لا يحق له أيضا أن يبقى زعيما للحزب وأن الحظر السياسي المفروض عليه لا يزال مستمرا.

وقبل الانتخابات بعشرة أيام أقام المدعي العام لمحاكم التمييز صبيح قناد أغلو دعوى لحل حزب العدالة والتنمية، غير أنه لا يمكن الحكم في مثل هذه القضايا في مدة زمنية قصيرة، فقد تطول المحاكمة وتستغرق ما يقارب السنتين. أما التساؤلات الثائرة عمن سيكون رئيس الوزراء إذا فاز حزب العدالة والتنمية في الانتخابات، وكيف سيتخلص الحزب من ازدواجية الزعامة وما هو الحل السحري.. فهذا لا يزال مجهولا، ولكن يبدو أن معظم التساؤلات لن تجد إجابة إلا بعد انتهاء الانتخابات.

حزب الشعب الجمهوري (CHP)

شكل مصطفى كمال أتاتورك حزب الشعب الجمهوري في التاسع من سبتمبر/أيلول 1923، وكان زعيمه الأول. وبعد وفاته عام 1938 تم انتخاب عصمت إينونو زعيما للحزب. لم يكن على الساحة السياسية سوى حزب الشعب الجمهوري حتى عام 1946 حيث انتقلت تركيا إلى نظام الأحزاب المتعددة وتم إجراء أول انتخابات نيابية عامة في تاريخ البلاد وفاز الحزب بالسلطة بأغلبية ساحقة. لكنه خسر الانتخابات أمام الحزب الديمقراطي الذي كان يتزعمه عدنان مندرس سنة 1950، فبقي في المعارضة من عام 1950 حتى عام 1960.

وفي عام 1972 تم انتخاب بولنت أجاويد زعيما للحزب، فكان الزعيم الثالث في تاريخ حزب الشعب الجمهوري.

شكل الحزب بعد انتخابات 1973 حكومة ائتلافية مع حزب السلامة الوطني الذي كان يتزعمه نجم الدين أربكان. وفي عام 1978 تسلم مقاليد الحكم في حكومة ائتلافية أخرى.

بعد الانقلاب العسكري الذي وقع في 12 سبتمبر/أيلول 1980 قام القادة

العسكريون بإغلاق الحزب إلى جانب الأحزاب السياسية الأخرى، وأعيد فتح حزب الشعب الجمهوري بعد 12 عاما سنة 1992 بقيادة دينيز بايكل. وحصل في انتخابات 1995 على نسبة 11% من الأصوات التي مكنته من إحراز 49 مقعدا في البرلمان. لكنه فشل في انتخابات 1999 ولم يستطع أن يتجاوز الحاجز حيث حصل على 8.7% فقط من الأصوات مع أنه كان الفائز بأغلبية واسعة في بعض المحافظات، لذا فقد بقي خارج البرلمان.

توجهه الفكري

حزب الشعب الجمهوري هو حزب يساري الاتجاه، ويعتبر في الوقت الراهن الحزب المنافس الوحيد للإسلاميين في انتخابات نوفمبر/تشرين الثاني في ظل تراجع شعبية حزب اليسار الديمقراطي خاصة بعد أن أعلن بولنت أجاويد قراره اعتزال السياسة بعد الانتخابات، إلى جانب تشتت الأحزاب اليسارية الأخرى. فالساحة مفتوحة على مصراعيها أمام دنيز بايكل ولا سيما بعد أن التحق كمال درويش وزير الشؤون الاقتصادية السابق بالحزب، كما قام بايكل في السنوات الأخيرة بتليين خطابه السياسي ووعد باحتضان كافة شرائح المجتمع مهما كانت أفكارها وتوجهاتها.

شعبيته

تشير استطلاعات الرأي إلى أن حزب الشعب الجمهوري سيفوز بالمركز الثاني في انتخابات نوفمبر/تشرين الثاني بنسبة حوالي 17% بعد حزب العدالة والتنمية. وإذا لم يحصل حزب العدالة والتنمية على المقاعد التي تؤهله لاستلام السلطة وحده فسوف يضطر إلى تشكيل حكومة ائتلافية مع حزب الشعب الجمهوري.

حزب العمل القومي (MHP)

يمثل حزب العمل القومي الفكرة القومية التركية في البلاد، ويرى بعض المراقبين أن **نجاحه في انتخابات 1999 يعود إلى نقمة الشعب من سائر الأحزاب وتعليق الآمال على الحركة** القومية في حل بعض المشاكل المستعصية في البلاد.

تاريخ التشكيل: 9 فبراير/شباط 1969.
يعتبر حزب العمل القومي امتدادا للحركة القومية في تركيا التي تزعمها ألب أرسلان تركش منذ الستينيات حتى وفاته. وشكلت الحركة القومية حتى اليوم أحزابا متعددة تحت أسماء مختلفة استقرت في النهاية تحت اسم حزب العمل القومي. وكانت نسبة الأصوات التي حصل عليها في انتخابات 1999 أكبر نسبة حصل عليها حتى اليوم.

الوضع في انتخابات 1999: فاز حزب العمل القومي بنسبة 19.9% حاصلا على 129 مقعدا في البرلمان مع إحرازه المركز الثاني في المجلس بعد حزب اليسار الديمقراطي.

الوضع الحالي: يملك 124 مقعدا في البرلمان.

يعتبر ألب أرسلان تركش قائد الفكرة القومية في تركيا. استلم مقاليد الحزب زعيما بعد رفع الحظر السياسي عنه سنة 1987. لم يتمكن تركش من دخول البرلمان في انتخابات 1995 بسبب عدم تجاوزه حاجز 10% الذي يشترطه النظام الانتخابي. بعد وفاته استلم الزعامة دولت بهجلي وخاض الحزب انتخابات 1999 بزعامته. وحققت الحركة القومية نجاحا لم تحققه إلى ذلك اليوم حيث حصل على 17.9% من الأصوات ودخل البرلمان في

المركز الثاني. وكان الحزب الشريك الأكبر في الائتلاف الحاكم الحالي الذي تم تشكيله بين حزب اليسار الديمقراطي وحزب الوطن الأم وحزب العمل القومي.

توجهه الفكري

يمثل الحزب الفكرة القومية التركية في البلاد، ويرى بعض المراقبين أن نجاحه في انتخابات 1999 يعود إلى نقمة الشعب على سائر الأحزاب وتعليق الآمال على الحركة القومية في حل بعض المشاكل العويصة كمشكلة الحجاب.

عارض حزب العمل القومي بعض الإصلاحات الدستورية مثل منح الحقوق الثقافية للأكراد في البث والإعلام والتعليم، كما عارض رفع عقوبة الإعدام والانصياع إلى الاتحاد الأوروبي مهما كان الثمن.

شعبيته

استطلاعات الرأي تشير إلى انخفاض بارز في أصوات حزب العمل القومي. ولن يكون سهلا عليه تجاوز النسبة المطلوبة، لأن الشعب كان يراه الأمل الوحيد في حل مشكلة الحجاب وإعدام عبد الله أوجلان وأمور أخرى، لكنه كان متباطئا في مواجهة هذه المعضلات.

حزب اليسار الديمقراطي (DSP)

يعيش حزب اليسار الديمقراطي انتكاسة كبيرة بعد مرض زعيمه بولنت أجاويد وانفصال قرابة 60 نائبا من الحزب ليشكلوا حزبا يساريا جديدا بقيادة وزير الخارجية السابق إسماعيل جيم، وهو الأمر الذي ينذر بأفول نجمه في الساحة السياسية التركية.

تاريخ التشكيل: 14 ديسمبر/كانون الأول 1985
الزعيم: بولنت أجاويد

الوضع في انتخابات 1999: حصل على الحظ الأوفر من الأصوات بنسبة 22.17%، ودخل البرلمان بالمركز الأول حيث حاز على 136 مقعدا نيابيا من مجموع 550.
الوضع الحالي: لا يوجد لديه سوى 59 نائبا في البرلمان.

تم تشكيل حزب اليسار الديمقراطي من قبل بولنت أجاويد، وكان الزعيم الأول زوجته رهشان أجاويد. وعندما رفع الحظر السياسي الذي فرض على بولنت أجاويد بسبب الانقلاب العسكري عام 1980 تسلم قيادة الحزب بنفسه وواصلت زوجته رهشان مهمتها نائبة لزعيم الحزب.

تعرض حزب اليسار الديمقراطي لفشل كبير في أول انتخابات خاضها عام 1987 فلم يتمكن من تجاوز الحاجز الانتخابي إذ نال نسبة 8.5% فقط وبالتالي لم يستطع دخول البرلمان. لكنه نجح في اجتياز الحاجز في انتخابات 1991 حاصلا على نسبة 11%، وهي التي مكنته من كسب سبعة مقاعد في البرلمان.

حاول بولنت أجاويد في السنوات التالية أن يوحد اليسار تحت رايته لكن جهوده ذهبت في مهب الريح. غير أن شعبيته أخذت تزداد يوما بعد يوم حيث حصل في انتخابات 1995 على نسبة 14.64% وفاز بـ75 مقعدا في البرلمان، في حين لم يتمكن حزب الشعب الجمهوري –الحزب اليساري الآخر- من تجاوز النسبة إلا بصعوبة.

وفي هذه الفترة شكل حزب الرفاه الإسلامي بزعامة نجم الدين أربكان حكومة ائتلافية مع حزب الطريق القويم بزعامة تانسو تشيلر، لكنها انتهت بعد فترة عرفت في تاريخ تركيا الحديث بفترة 28 فبراير/شباط لتحل محلها حكومة ائتلافية أخرى بين حزب اليسار الديمقراطي وحزب الوطن الأم. وتلا ذلك حكومات ائتلافية أخرى حتى انتخابات 1999.

وجاء القبض على عبد الله أوجلان حزب الزعيم الكردستاني في عهد الائتلاف الحاكم بزعامة بولنت أجاويد، وهو الأمر الذي زاد من شعبية حزب اليسار الديمقراطي، وأثمر ذلك نجاحا باهرا لحساب الحزب في انتخابات 1999 إذ حصل على المركز الأول بنسبة 22.19% مع فوزه بـ136 مقعدا في البرلمان.

وشكل بولنت أجاويد حكومة ائتلافية مع حزب العمل القومي وحزب الوطن الأم ونجح في تحقيق بعض الإصلاحات الدستورية، لكن الأزمة الاقتصادية التي أطاحت بالبلاد منذ فبراير/ شباط 2001 قلبت الحسابات رأسا على عقب ففقدت الحكومة شعبيتها وأغلبيتها في البرلمان.

شعبيته

تشير استطلاعات الرأي إلى أن حزب اليسار الديمقراطي قد لا ينجح في تجاوز نسبة 10% المطلوبة لدخول البرلمان خاصة بعد أن أعلن أجاويد أنه سيعتزل السياسة بعد الانتخابات نظرا لحالته الصحية المتدهورة. والجدير بالذكر أن الحزب عاش انتكاسة كبيرة بعد مرض أجاويد حيث استقال نحو 60 نائبا من الحزب ليشكلوا حزبا يساريا آخر تحت قيادة إسماعيل جيم وزير الخارجية السابق، وهو الأمر الذي بدد أصوات حزب اليسار الديمقراطي وأنذر بأفول نجمه.

حزب الوطن الأم (ANAP)

تم تشكيل حزب الوطن الأم في 20 مايو/ أيار 1983 بزعامة تورغوط أوزال، وفاز في انتخابات 6 نوفمبر/تشرين الثاني 1983 بأغلبية ساحقة وانفرد بالسلطة حيث حصل على نسبة 45.14% من الأصوات.

وفي انتخابات 29 نوفمبر/تشرين الثاني 1987 حصل مرة أخرى على أغلبية أصوات الناخبين بنسبة 36.31% وانفرد بالسلطة. وبعد أن تم انتخاب تورغوط أوزال رئيسا للجمهورية في التاسع من نوفمبر/ تشرين الثاني 1989 تسلم زعامة الحزب يلديرم أق بولوط.

وفي يوم 15 يونيو/حزيران 1991 كان الزعيم الجديد للحزب مسعود يلماظ الذي لا يزال يواصل مهمته زعيما حتى اليوم. وأخذ الحزب يفقد شعبيته يوما بعد يوم حيث انخفضت نسبة الأصوات المؤيدة إلى 24% في الانتخابات التي تم إجراؤها في 20 أكتوبر/تشرين الأول 1991، ودخل البرلمان في المركز الثاني بعد حزب الطريق القويم.

وخاض حزب الوطن الأم انتخابات 24 ديسمبر/كانون الأول 1995 بزعامة مسعود يلماظ ودخل البرلمان في المركز الثاني حاصلا على نسبة 19.66%. وتم تشكيل حكومة ائتلافية بمشاركة حزب الطريق القويم بزعامة تانسو تشيلر وكان يلماظ رئيس الوزراء.

وفي انتخابات 18 أبريل/نيسان 1999 انخفضت نسبة أصوات المؤيدين إلى الحد الأدنى حيث حصل على 13.2% ودخل البرلمان في المركز الرابع، لكنه شارك في الائتلاف الحاكم الذي تم تشكيله بين أحزاب ثلاثة هي حزب اليسار الديمقراطي وحزب العمل القومي وحزب

الوطن الأم، وهي الحكومة التي أدارت شؤون البلاد منذ ذلك الوقت، ويملك الحزب حاليا 69 مقعدا في البرلمان.

توجهه الفكري

حزب الوطن الأم يعتبر في وسط اليمين، وقد نجح أيام ازدهاره بزعامة تورغوط أوزال في جمع فئات مختلفة يمينية ويسارية ومتدينة تحت مظلته وتمكن بذلك من كسب شعبية واسعة. لكنه وبزعامة يلماظ فقد ذلك الروح تماما، الأمر الذي تسبب بانفصال قادته البارزين منه وانضمامهم إلى أحزاب أخرى.

حرص حزب الوطن الأم على أن يبدو أكثر أحزاب الحكومة الائتلافية الحالية رغبة في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي وفتح الطريق أمام تركيا في الإصلاحات الدستورية الأخيرة. لكن استطلاعات الرأي ترى أن الحزب لن يتمكن من تجاوز النسبة المطلوبة لدخول البرلمان.

حزب الطريق القويم (DYP)

حزب الطريق القويم يمثل وسط اليمين مع حزب الوطن الأم، ويعاني -شأنه في ذلك شأن وسط اليمين- من أزمة فقدان الهوية، وهو الأمر الذي جعل الأصوات تذهب إلى حزب العمل القومي وحزب العدالة والتنمية والأحزاب الأخرى.

تاريخ التشكيل: 23 يونيو/حزيران 1983.
الزعيم الأول: أحمد نصرت طونا.
الزعيم الثاني: يلديريم أوجي.
الزعيم الثالث: حسام الدين جيندوروق.
الزعيم الرابع: سليمان ديميرل.
الزعيم الخامس: محمد كولهان.
الزعيم السادس: تانسو تشيلر.

فاز حزب الطريق القويم في أول انتخابات خاضها عام 1987 بنسبة جيدة (19.14%) حاصلا على 59 مقعدا في البرلمان. تلا ذلك نجاح باهر في انتخابات البلدية حيث فاز بالمركز الأول. وفي الانتخابات التشريعية العامة

التي أجريت عام 1991 كان حزب الطريق القويم بزعامة سليمان ديميرل هو الفائز على بقية الأحزاب حيث حصل على نسبة 27% من الأصوات وشغل 182 مقعدا في البرلمان. وشكل ديميرل حكومة ائتلافية مع حزب الشعب الديمقراطي الاشتراكي.

وبعد وفاة رئيس الجمهورية تورغوط أوزال استقال ديميرل من منصبه رئيسا للوزراء وتم انتخابه رئيسا جديدا للجمهورية مخلفا وراءه تانشو تشيلر زعيمة للحزب. هذا هو الموعد الذي استلمت فيه امرأة مقاليد الحكم لأول مرة في تاريخ تركيا. حصل حزب الطريق القويم في انتخابات 1995 على 19.18% ودخل البرلمان في المركز الثالث، وهي الانتخابات التي حقق فيه حزب الرفاه الإسلامي انتصارا كبيرا على سائر الأحزاب (21.38%).

شاركت تانسو تشيلر في الحكومة الائتلافية مع حزب الرفاه نائبة لرئيس الوزراء ووزيرة للشؤون الخارجية. لكنه تم إسقاط الحكومة سنة 1997 وحل حزب الرفاه الإسلامي ومنع نجم الدين أربكان من النشاط السياسي في الفترة التي عرفت بفترة 28 فبراير/شباط. وأخذ حزب الطريق القويم يفقد شعبيته بعد مغادرة سليمان ديميرل لزعامة الحزب. وفي انتخابات 1999 لم يتخط الحاجز المطلوب لدخول البرلمان إلا بصعوبة إذ حصل على نسبة 12% فقط، وكان الحزب الخامس في مجلس الشعب من حيث عدد المقاعد، وهو حاليا يشغل 81 مقعدا في البرلمان.

توجهه وشعبيته

حزب الطريق القويم يمثل وسط اليمين مع حزب الوطن الأم، ويعاني حاليا وسط اليمين من أزمة فقدان الهوية، الأمر الذي جعل الأصوات تذهب إلى حزب العمل القومي وحزب العدالة والتنمية والأحزاب الأخرى. وتشير استطلاعات الرأي إلى أن حزب الطريق ربما تمكن من تجاوز الحاجز المطلوب ولكن بصعوبة، وقد لا يستطيع.

حزب السعادة (SP)

تاريخ التشكيل: 20 تموز 2001.
الزعيم: رجائي قوطان.
الوضع الحالي: يملك 46 مقعدا في البرلمان.

تمخض حزب الفضيلة الإسلامي الذي تم حله بقرار أصدرته محكمة الدستور التركية في 22 يونيو/حزيران 2002 عن حزبين أحدهما حزب العدالة والتنمية بزعامة رجب طيب أردوغان والذي يمثل الجناح التجديدي في الحركة، والثاني حزب السعادة الذي كان يمثل الجناح التقليدي ويقوده نجم الدين أربكان من وراء الكواليس. وقد انتخب أعضاء الحزب رجائي قوطان زعيما لهم بعد تشكيله في 20 يوليو/تموز 2001.

توجهه وشعبيته

تشير استطلاعات الرأي إلى عدم تمكن حزب السعادة من تجاوز نسبة 10% في انتخابات نوفمبر/تشرين الثاني، وذلك يعني عدم دخوله البرلمان. ويلعب الدور الرئيسي في فقدان الحزب لأصواته وجود حزب العدالة والتنمية. وقد كان يعتمد حزب السعادة على عودة نجم الدين أربكان إلى النشاط السياسي وقيادة الحزب في الانتخابات، لكن لجنة الانتخابات العليا أصدرت قرارا بعدم أهلية أربكان لعضوية البرلمان قبل أن يزول الحظر القانوني. هذا ويؤيد أعضاء الحزب عضوية الاتحاد الأوروبي مع الحرص على توسيع الحريات الديمقراطية دون المساس بالمبادئ التي تقوم عليها الجمهورية التركية من علمانية ونظام جمهوري وما إلى ذلك.

حزب تركيا الجديدة (YTP)

تاريخ التشكيل: 22 يوليو/تموز 2002.
الزعيم: إسماعيل جيم.
الوضع الحالي: يشغل 58 مقعدا في البرلمان.

تم تأليف حزب تركيا الجديدة من قبل النواب الذين انشقوا عن حزب اليسار

الديمقراطي بزعامة إسماعيل جيم وزير الخارجية السابق وحسام الدين أوزكان نائب رئيس الوزراء والذراع الأيمن لأجاويد إضافة إلى كمال درويش وزير الشؤون الاقتصادية السابق وسبعة وزراء آخرين.

وقد دعا هؤلاء إلى التجديد داخل حزب اليسار الديمقراطي وتخلي أجاويد عن قيادة الحزب، وعندما لم يجدوا أذنا صاغية قرروا الانفصال وتشكيل حزب يهدف إلى ضم تركيا إلى الاتحاد الأوروبي ونقل البلاد إلى الأمام اقتصاديا وتوسيع نطاق الحريات سياسيا وثقافيا.

بدا الحزب في بداية الأمر براقا جذابا، لكنه سرعان ما فقد بريقه بعد انفصال كمال درويش وزير الشؤون الاقتصادية السابق عن الحزب ملتحقا بحزب الشعب الجمهوري الذي يتزعمه دنيز بايكل. وتؤكد استطلاعات الرأي أن الحزب لن يتمكن من تجاوز الحاجز المطلوب لدخول البرلمان.

حزب الاتحاد الكبير (BBP)

يتوقع بعض المحللين السياسيين أن يكون لحزب الاتحاد الكبير دورا مهما في المستقبل، أما في هذه الانتخابات فمن غير المتوقع حصوله على نسبة الـ 10 % التي تؤهل لدخول البرلمان.

تاريخ التشكيل: 29 يناير/كانون الثاني 1993.
زعيم الحزب: محسن يازيجي أوغلو.
الوضع في انتخابات 1999: حصل على 1.46% ولم يتمكن من تجاوز الحاجز المطلوب لدخول البرلمان.
الوضع الحالي: يشغل أربعة مقاعد في البرلمان.
توجهه الفكري: يعتبر أحد أجنحة الحركة القومية المعتدلة التي تتميز بوجهها الإسلامي في تركيا.

الـفـصـل الـثـالـث

ملامح ثقافية (الشخصيات)

لم يعد دور الثقافة تأكيد التمايزات البنيوية وجعلها مرئية ونافذة في داخل المجتمع (حتى وإن واصل بعضها التشبث بالبقاء) أو حتى لو ظهر قليل من التمايزات الجديدة كما يمكن أن يحدث ... فعندما ترتبط الاختلافات الثقافية احياناً مع الاختلافات بالمنزلة الاجتماعية أو تقويها فإن ذلك يعتبر نوعاً من العار بالنسبة للمجتمع المعني ، ومؤشراً علي فشل جزئي لنظامه التعليمي و المهمة التي يؤتمن عليها ذلك النظام هي أن ينتج أعضاء للمجتمع كله ذوي قيمه وموالين وأكفاء لن تعيق احتلالهم المراكز داخله أيه ولاءات فئوية لمجموعات فرعيه داخل الجماعة كلها ويعتبر شيئاً يمت إلي الفضيحة بصلة لو أن جزءاً من النظام الثقافي عن طريق الإهمال أو بتصميم سري ينتج بالفعل اختلافات ثقافية داخليه وبذلك يسمح بالتميز أو يشجع عليه ..

ومن هنا فإننا نجد أن أية أمه تتطلع إلي القمة أو قريباً منها فلابد أن تقوم جماعه منها برياده ثقافية تضمن ألكرامه والأمن واحترام الذات للأفراد لأن العلاقة بين الدولة والثقافة لا يمكن تفاديها أو حتى الالتفاف حولها وهذه الجماعة تمثل الملامح الثقافية لهذه الامه ليكون دورها الأول والأساسي هو تجميع المفاهيم الثقافية الجماعية Conceptual package وتأتي مجموعة أخرى بتفعيل تلك المفاهيم على ارض الواقع deals ثم مجموعه أخرى تعتلى السلطة لتبني تلك المفاهيم وتحويلها إلي أسس وقواعد وأصول في البنية الأساسية للمجتمع ليكون موحداً (برغم تباين الاتجاهات) نحو هدف واحد هو الاعتلاء والصعود بهذه الامه نحو القمة أو قريباً منها ولا مانع من أن تتولي مجموعة واحده هذه الأدوار الثلاثة كما حدث في النموذج التركي طالما كانت قادرة علي ذلك ومستنده إلي قواعد شعبيه تدفعها أو تشجعها علي ذلك ومن هنا وجب الاقتراب من ملامح تلك الشخصيات التي أثرت وتؤثر علي فكر وثقافة الشعب التركي بحثاً عن الذات واقترابا من القمة أو سعياً لها . ولكن أيضا لتكون الاستفادة كاملة

وجب أن يكون الاقتراب تحليلياً محايداً بعيداً عن الهوي وقريبا من الحقيقة والواقع علي الأقل بحثاً عن روح المكان أو روح الإقليم التي تتعدي حدود وصف المكان وملامحه الفيزيقية المحسوسة والملموسة إلي فلسفه المكان وهو ما يسميه الانثروبولوجيين ما فوق العضوي للاشاره إلي الثقافة التي تعلو الواقع العضوي المحسوس والملموس كما أوضح ذلك العالم الشهير كروبر .
و التيارات و الايدوليجيات موجودة داخل كل الدول و المجتمعات التي تبحث عن دور اقليمى أو عالمي و لكن يبقى دائما المحرك و المؤثر في تحريك هذه التيارات صعودا و هبوطا مرتبطا إلى حد بعيد بالظروف الاقتصادية و الاجتماعية و لكن عبء التوجيه و التحريك يظل معلقا بأصحاب الفكر و الثقافة أمانه و هدفا و مسئولية صنعتها الأقدار ووضعتها في أعناقهم

مصطفى كمال أتاتورك

مؤسس تركيا الحديثة وبطلها القومي في أعين مريديه، وعدو الإسلام ومحطم الخلافة في أعين خصومه، تمكن في سنين قليلة من البروز كقائد عسكري ثم كزعيم سياسي، ألغى الخلافة العثمانية، وأسس مكانها تركيا المعاصرة التي أصبحت كما أراد دولة علمانية غربية الطابع والقوانين والهوى.

ولد مصطفى علي رضا عام 1881 بمدينة سالونيك اليونانية التي كانت تابعة آنذاك للدولة العثمانية وكان أبوه موظفا بسيطا، انخرط في البدء في مدرسة دينية تقليدية ثم دخل مدرسة حديثة فالمدرسة العسكرية العليا في عام 1893 وهو صبي صغير، وهناك لقبه أحد مدرسيه بكمال لنبوغه الدراسي فأصبح اسمه مصطفى كمال.

تخرج برتبة نقيب في العام 1905، ثم خاض حروبا عدة ضمن الجيش العثماني في ألبانيا وطرابلس وذلك قبل أن تشارك الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور حيث برز نجم الضابط مصطفى كمال كقائد عسكري من طراز رفيع ليرقى إلى رتبة جنرال في عام 1916 وهو في الـ35 من عمره فقط.

قبل تلك الأحداث بسنوات وبعد تخرجه من المدرسة العسكرية مباشرة كان مصطفى كمال قد أنشأ خلال خدمته في دمشق خلية سرية أطلق عليها الوطن والحرية ضد ما يصفه مريدوه (استبداد السلطان العثماني)، وعلى

الرغم من أنه لم يعرف لهذه المنظمة نشاط سياسي يذكر مثل جمعية الاتحاد والترقي، فإن التنظيمين ينطلقان من مبدأ واحد حتى قيل إن مصطفى كمال التحق فعلا بالجمعية الأخيرة بعد انكشاف أمر منظمته للسلطات.

وبغض النظر عن المرجعية السياسية للضابط الصاعد بقوة، فإن اسم مصطفى كمال عرف في إسطنبول واشتهر بعد ما حققه مع قواته في فلسطين وحلب وإنطاكيا خلال الحرب، لكن أهمية الجنرال مصطفى كمال تعاظمت بعد هذه الأحداث حينما انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة بلاده واحتلال أجزاء واسعة منها من قبل جيوش الحلفاء، حينها قدر لهذا الضابط أن يمارس دور المحرر الذي كرسه بطلا قوميا في عموم الدولة العثمانية التي كانت لاتزال تستقطب عطف كثير من المسلمين.

تزعم مصطفى كمال ما سمي بحرب الاستقلال لتحرير الأناضول المحتل، وظهرت كاريزما الرجل بصورة واضحة حينما رفض أوامر السلطان بالتخلي عن الواجب والعودة إلى إسطنبول المحتلة من البريطانيين، فاستقال من الجيش ونظم منذ مايو/أيار عام 1919 قوات التحرير التي قاتلت اليونانيين والبريطانيين والفرنسيين والإيطاليين تحت قيادته، حتى تمكن قبل نهاية صيف عام 1922 من طرد القوات المحتلة من بلاده.

أكسبت هذه الانتصارات الجنرال مصطفى كمال شهرة ملأت أفاق العالم الإسلامي الذي نظر إليه كبطل لاسيما وأنه استعان بالرموز الدينية وعلماء الدين في حشد الناس للقتال معه، وانهالت عليه برقيات التهاني من البلدان الإسلامية، وتنبه إليه الغرب وكتب عنه الإعلام هناك ما زاده شهرة وتأثيرا.

خلال معارك التحرير وتحديدا في ربيع عام 1920 أسس مصطفى كمال المجلس الوطني العظيم في أنقرة من ممثلي القوى الشعبية المشاركة في حرب التحرير ليتحول إلى حكومة موازية لسلطة الخليفة العثماني في إسطنبول، وفي عام 1921 أصدر المجلس ما سماه القانون الأساسي الذي تزامن صدوره مع إعلان النصر وتحرير الأراضي التركية في صيف عام 1922 وأعلن فيه مصطفى كمال إلغاء السلطنة.

في يوليو/تموز من عام 1923 وقعت حكومة مصطفى كمال معاهدة لوزان

التي كرست قيادته لتركيا باعتراف دولي، فأعلن في 29 أكتوبر/تشرين الأول من نفس العام ولادة الجمهورية التركية وألغى الخلافة، وأعلن رئيسا وجعل أنقرة عاصمة للدولة الجديدة بدلا من إسطنبول وبدأ سلسلة إجراءات استمرت بضع سنوات، غير من خلالها وجه تركيا بالكامل.

بدأ مصطفى كمال إجراءاته بتغيير أشكال الناس، حيث منع اعتمار الطربوش والعمامة وروج للباس الغربي، منع المدارس الدينية وألغى المحاكم الشرعية، أزال التكايا والأضرحة وألغى الألقاب المذهبية والدينية، وتبنى التقويم الدولي، كتب قوانين مستوحاة من الدستور السويسري، وفي عام 1928 ألغى استخدام الحرف العربي في الكتابة وأمر باستخدام الحرف اللاتيني في محاولة لقطع ارتباط تركيا بالشرق والعالم الإسلامي.

تحولت تركيا خلال 15 عاما من حكم مصطفى كمال بشكل جوهري، ويذكر له الأتراك أنه أسس دولة قوية حديثة، لكن خصومه يشددون على أنه لم يكتف بإزالة آخر دول الخلافة الإسلامية لكنه حارب الدين والتدين من خلال النظام العلماني الذي شرعه في تركيا، بل إنه ربط تقدم البلاد وتطورها بالتخلي عن الهوية الإسلامية تاريخا وممارسة، ولذلك فالعلمانية الكمالية لم تكتف بفصل الدين عن الدولة لكنها سيطرت على الممارسة الدينية ومنعت كل مظاهر التدين بإجراءات قانونية تحميها مؤسسات الدولة وأبرزها الجيش.

توفي مصطفى كمال بعد مرضه في نوفمبر عام 1938، وبعد وفاته بخمسة أعوام، منحه البرلمان التركي لقب أتاتورك (أبو الأتراك) اعتزازا به وتخليدا له، وحتى اليوم ما زالت القواعد التي وضعها أتاتورك تحكم تركيا، لكن هذه القواعد ظلت موضع جدل داخلي معلن أو غير معلن لأنها مست التدين الذي يمثل جوهر روح المجتمع، كما أن هذه القواعد تعرضت للانتهاك أكثر من مرة، وهي اليوم تواجه تساؤلات جدية ببقائها مع انتشار التيار الإسلامي في تركيا.

بعد ستين عاما على وفاته وفي أكتوبر عام 1998 ألقت السلطات الأمنية التركية القبض على 14 شخصا وصفوا بالإسلاميين، وهم يحاولون القيام بعملية انتحارية لتفجير قبر أتاتورك في أنقرة خلال احتفالات تأسيس الجمهورية، وبينما قبع هؤلاء في السجن، ظل الكثيرون يجادلون فيما إن كان بالإمكان المحافظة على ميراث أتاتورك بمثل كفاءة المحافظة على قبره.

عدنان مندريس

رئيس وزراء تركيا طوال عقد الخمسينيات، خرج من تحت معطف أتاتورك ليتحدى تشريعاته العلمانية، وعلى الرغم من أنه أدخل تركيا في حلف شمال الأطلسي وجعلها رأس حربة الغرب في مواجهة الاتحاد السوفياتي، فإن ذلك لم يشفع له حينما تحرك الجيش ضده في أول انقلاب في تاريخ تركيا المعاصر ليحكم عليه بالموت مع عدد من رفاقه بعد عشر سنوات قضاها في الحكم.

لم يكن مندريس إسلاميا، بل كان عضوا في حزب الشعب الجمهوري الذي أسسه أتاتورك ونائبا عن الحزب المذكور في البرلمان، لكنه اتخذ في عام 1945 إلى جانب ثلاثة نواب آخرين موقفا معارضا لزعيم حزبهم ورئيس الوزراء عصمت إينونو خليفة أتاتورك وحامي ميراثه العلماني، انفصل النواب الأربعة ليشكلوا حزبا جديدا هو الحزب الديمقراطي بزعامة مندريس متحدين إجراءات منع الأحزاب آنذاك.

في عام 1946 شارك الحزب الجديد في الانتخابات العامة، لكنه لم يحصل إلا على 62 مقعدا، ثم عاد ليشارك في انتخابات عام 1950 ليفوز بأغلبية ساحقة شكل مندريس إثرها حكومة جديدة وضعت حدا لهيمنة حزب الشعب الجمهوري الذي حكم تركيا منذ إعلان الجمهورية عام 1923.

كان مندريس قد خاض حملته الانتخابية على أساس وعود بإلغاء الإجراءات العلمانية الصارمة التي اتخذها سلفه إينونو وكان من بينها جعل الأذان بالتركية وكذلك قراءة القرآن وإغلاق المدارس الدينية، وحينما فاز، قام مندريس بإلغاء هذه الإجراءات حيث أعاد الآذان إلى العربية وأدخل الدروس الدينية إلى المدارس العامة وفتح أول معهد ديني عال إلى جانب مراكز تعليم القرآن الكريم، كما قام بحملة تنمية شاملة في تركيا شملت تطوير الزراعة وافتتاح المصانع وتشييد الطرقات والجسور والمدارس والجامعات.

أسهمت إصلاحات مندريس في تطوير الحياة الاقتصادية في تركيا حيث تقلصت البطالة وتحررت التجارة وعاش الناس فترة استقرار سياسي إلى جانب تراجع حدة التوتر الذي كان سائدا بين السكان والدولة بسبب الإجراءات المناهضة للإسلام ومظاهر التدين والعبادات.

ولم يعلن مندريس في أي من هذه الإجراءات أنه كان إسلاميا أو مؤيدا للإسلاميين، بل على العكس من ذلك وضع تركيا في قلب العالم الغربي حينما انضمت تركيا في عهده إلى حلف شمالي الأطلسي وأصبحت المتراس المتقدم للغرب خلال الحرب الباردة، وأقام علاقات قوية مع الولايات المتحدة وساند مخططاتها في المنطقة وخارجها بما في ذلك إرسال قوات تركية إلى كوريا ووضع تركيا في مواجهة حركة القومية العربية الصاعدة آنذاك بزعامة عبد الناصر.

في انتخابات عام 1954 فاز الحزب الديمقراطي بالأغلبية المطلقة واستمر مندريس في رئاسة الحكومة، لكنه لم ينجح في إنقاذ الاقتصاد التركي من التدهور فخسر جزءا من مقاعده في انتخابات عام 1957.

مع نهاية عقد الخمسينيات كانت إجراءات مندريس الداخلية قد استفزت القوى العلمانية التي تمكنت من حشد قوى اجتماعية لاسيما داخل الجامعات والجيش لمعارضة سياسات الحكومة، فوقعت أحداث شغب ومظاهرات كبيرة في شوارع إسطنبول وأنقرة، وقام طلاب مدرسة القوات البرية بمسيرة صامتة إلى مجلس الشعب في أنقرة احتجاجا على سياسات مندريس.

في صباح 27 مايو/أيار عام 1960 تحرك الجيش التركي ليقوم بأول انقلاب عسكري خلال العهد الجمهوري، حيث سيطر على الحكم 38 ضابطا برئاسة الجنرال جمال جورسيل، وأحال الانقلابيون 235 جنرالا وخمسة آلاف ضابط بينهم رئيس هيئة الأركان إلى التقاعد، وتم وقف نشاط الحزب الديمقراطي واعتقل رئيس الوزراء عدنان مندريس ورئيس الجمهورية جلال بايار مع عدد من الوزراء وأرسلوا إلى سجن في جزيرة يصي أدا.

بعد محاكمة صورية تم سجن رئيس الجمهورية مدى الحياة فيما حكم بالإعدام على مندريس ووزير خارجيته فطين رشدي زورلو ووزير ماليته حسن بلاتقان، وكانت التهمة هي اعتزامهم قلب النظام العلماني وتأسيس دولة دينية.

في اليوم التالي لصدور الحكم في أواسط سبتمبر/أيلول عام 1960 تم تنفيذ حكم الإعدام بمندريس ليكون أول ضحايا العلمانيين في الصراع الداخلي بتركيا. وبعد أيام نفذ حكم الإعدام بوزيريه، ودفنت جثامين الثلاثة في الجزيرة ذاتها حتى التسعينيات حينما جرى نقلها إلى إسطنبول حيث دفنت هناك وأعيد الاعتبار لأصحابها بجهود من الرئيس الأسبق تورغوت أوزال

تورغوت أوزال

اقتصادي ليبرالي، بدأ مهندسا للسدود في ستينيات القرن الماضي، قبل أن يأخذه العمل السياسي إلى قمة هرم السلطة في الدولة التركية بعد أن وجد فيه قادة انقلاب عام 1980 الشخصية الأفضل لتولي الحكم وسط مناخ إقليمي ودولي مضطرب، ليكون عهده زمن هدنة في صراع الهوية بين الإسلاميين والعلمانيين.

حمل أوزال المبادئ الإسلامية بنفس قدر التزامه بالعلمانية الغربية، وبقدر ما كان مرتبطا شخصيا أو من خلال عائلته بالطريقة النقشبندية الصوفية، فإنه تعلم من الجامعات الأميركية التي درس فيها نمطا علمانيا يبقيه في خانة المخلصين للجمهورية الكمالية.

وحتى الآن ليس من اليسير تفسير ذلك، فأوزال كان يمارس طقوسا دينية مثل الصلاة وأدى فريضة الحج ثلاث مرات وكان عضوا في حزب السلامة الوطنية الإسلامي، ومع ذلك تولى رئاسة الوزراء والجمهورية على التوالي لنحو عقد كامل من غير صدام مع الجيش ولم ينه حياته السياسية غير وفاته، بل إنه برز سياسيا في عهد انقلابيي عام 1980، وكأنه كان مطلوبا منه وله أن يكون موجودا في ذلك الوقت حصرا.

أسس أوزال حزب الوطن الأم عام 1983، وقبل نهاية ذلك العام فاز هذا الحزب في الانتخابات العامة ليتولى السياسي الجديد تشكيل الحكومة منفردا، في الوقت الذي كان فيه الجنرال كنعان إيفرين قائد الانقلاب رئيسا للجمهورية، وخلال حكمه أظهر أوزال تعاطفا شديدا مع النشاطات الإسلامية، لكنه نفى وجود حركة إسلامية منظمة في تركيا ليقلل من مخاوف الجيش والأوساط العلمانية.

حرص أوزال على أداء صلاة الجمعة بحضور عدد من وزرائه، واستقطب إلى جانب حزبه مريدي الطرق الصوفية الذين كان لهم دور مؤثر في فوزه للمرة الثانية في انتخابات عام 1987، وهو لم يكتف بأنه فسح المجال للحركات الإسلامية بالانتشار العلني، بل ضم في قيادات حزبه الحاكم وجوها إسلامية سياسية معروفة كان بعضها جزءا من حزب السلامة الوطني.

توسعت في عهد أوزال المدارس الدينية ودخل الإسلاميون حقل الثقافة والإعلام، حيث أصدروا صحفا وأسسوا دورا للنشر ومحطات خاصة للإذاعة والتلفزة، واندمجوا بشكل كبير في البيئة الليبرالية الجديدة، وحينما تولى أوزال رئاسة الجمهورية عام 1991 وصل سلوكه (الإسلامي) ذروته حينما قام قصر الرئاسة، باستضافة احتفالات دينية صوفية بالمولد النبوي الشريف، وكان ذلك من المشاهد التي لم تشهد لها تركيا نظيرا منذ تأسيسها، وهي لم تتكرر بعد تلك المرحلة.

رغم كل ذلك وقف الجيش دون حراك، بل إن أوزال قضى دورتين انتخابيتين في رئاسة الوزراء بينما كان الجيش يتولى موقع رئاسة الجمهورية من خلال قائده السابق إيفرين، في حين أن الجنرالات الأتراك كانوا يتحركون ضد أي حكومة لأسباب أقل من ذلك، كما حدث في انقلاب عام 1960 الدموي الذي انتهى بإعدام رئيس الوزراء مندريس ووزرائه بسبب اتهامه بالتراجع عن العلمانية برغم أنه لم يكن إسلاميا، ولم تصل الحريات التي منحها للإسلاميين إلى ما وصلت إليه في عهد أوزال.

ويعزو المحللون أسباب ذلك إلى عوامل خارجية تتمثل في الحرب آنذاك في أفغانستان ضد الاتحاد السوفياتي ورغبة أميركا في توسيع المشاعر الدينية في البلدان الإسلامية ومنها تركيا لتغذية المجاهدين هناك، وكذلك إلى أسباب داخلية تتمثل بمحاولة استيعاب الحركات الإسلامية في إطار الدولة ونظامها العلماني لسحب البساط من تحت أقدام التيار الإسلامي السياسي.

وبالطبع فقد حرص أوزال على أن يؤكد في كل مرة أنه علماني التوجه، وكان يرى أن العلمانية غير متعارضة مع حرية الدين والاعتقاد، ومثل هذا الرأي بالطبع مرفوض بالمطلق من قبل المنهج العلماني الكمالي الذي من بين أركانه احتواء التدين ومنع مظاهره.

وبرغم صمت الجيش وهو المؤسسة الأشد ولاء لمبادئ أتاتورك العلمانية، فإن القوى العلمانية السياسية وجهت انتقادات واسعة لسياسة أوزال تلك، ومن بين ذلك تقرير أصدره الحزب الديمقراطي الاجتماعي الشعبي عام 1990 قال فيه: "إن تطور الاتجاهات والميول الأصولية الإسلامية يهدد الدولة التركية، حيث يستهدف الأصوليون التحول عن إصلاحات أتاتورك وإقامة نظام إسلامي يتناقض مع العلمانية".

ومع أن هذا التقرير أسهب في وصف مخاطر صعود الإسلاميين، فإن أوزال استمر في سياسته وبدلا من إبعاده من رئاسة الحكومة أصبح بعد عام من ذلك التقرير رئيسا للجمهورية قبل أن يتوفى إثر أزمة قلبية في ربيع عام 1993، لتنتهي مع وفاته حقبة لم تتكرر بعد ذلك.

نجم الدين أربكان

أبرز زعماء تيار الإسلام السياسي في تركيا وأخطر من تحدى قواعد العلمانية الكمالية المتشددة التي حكمت بلاده ومازالت منذ أواسط عشرينيات القرن الماضي.

نشأ أربكان في كنف الطريقة النقشبندية برعاية شيخها محمد زاهد كوتكو، وأنشأ عام 1970 بدعم من تحالف طريقته مع الحركة النورسية حزب النظام الوطني الذي كان أول تنظيم سياسي ذا هوية إسلامية تعرفه الدولة التركية الحديثة منذ زوال الخلافة عام 1924.

بدأ أربكان حياته السياسية بعد تخرجه من كلية الهندسة، وأصبح رئيسا لاتحاد النقابات التجارية ثم انتخب عضوا في مجلس النواب عن مدينة قوينة، لكنه منع من المشاركة في الحكومات المختلفة بسبب نشاطه المعادي للعلمانية، وكان تأسيس حزبه أول اختراق جدي لرفض القوى العلمانية المهيمنة له.

لم يصمد حزبه (النظام الوطني) سوى تسعة أشهر حتى تم حله بقرار قضائي من المحكمة الدستورية بعد إنذار من قائد الجيش محسن باتور، فقام أربكان بدعم من التحالف ذاته بتأسيس حزب السلامة الوطني عام 1972، وأفلت هذه المرة من غضب الجيش ليشارك بالانتخابات العامة ويفوز بخمسين مقعدا كانت كافية له ليشارك في مطلع عام 1974 في حكومة ائتلافية مع حزب الشعب الجمهوري الذي أسسه أتاتورك ليرعى المبادئ العلمانية.

تولى أربكان منصب نائب رئيس الوزراء وشارك رئيس الحكومة بولند أجاويد في اتخاذ قرار التدخل في قبرص في نفس العام، واعتبر من دافع عن مشاركة أربكان في الائتلاف أنه حقق مكاسب كبيرة لتيار الإسلام السياسي من أهمها الاعتراف بهذا التيار وأهميته في الساحة السياسية إلى جانب مكاسب اعتبرت تنازلات مؤثرة من قبل حزب الشعب.

خلال وجوده في حكومة أجاويد، حاول أربكان فرض بعض قناعاته على القرار السياسي التركي، وحاول ضرب بعض من أخطر مراكز النفوذ الداعمة للنهج

العلماني، فقدم بعد تشكيل الحكومة بقليل مشروع قرار للبرلمان بتحريم الماسونية في تركيا وإغلاق محافلها، وأسهم في تطوير العلاقات مع العالم العربي، وأظهر أكثر من موقف مؤيد صراحة للشعب الفلسطيني ومعاد لإسرائيل، ونجح في حجب الثقة عن وزير الخارجية آنذاك خير الدين أركمان بسبب ما اعتبر سياسته المؤيدة لإسرائيل.

وحتى بعد خروجه من الحكومة فقد قدم حزب أربكان مشروع قانون إلى مجلس النواب في صيف عام 1980 يدعو الحكومة التركية إلى قطع علاقاتها مع إسرائيل، وأتبع ذلك مباشرة بتنظيم مظاهرة ضخمة ضد القرار الإسرائيلي بضم مدينة القدس، كانت المظاهرة من أضخم ما شهدته تركيا في تاريخها المعاصر، الأمر الذي اعتبر استفتاء على شعبية الإسلام السياسي بزعامة أربكان.

بعد بضعة أيام تزعم قائد الجيش كنعان إيفرين انقلابا عسكريا أطاح بالائتلاف الحاكم، وبدأ سلسلة إجراءات كان من بينها إعادة القوة للتيار العلماني ومن ذلك تشكيل مجلس الأمن القومي وتعطيل الدستور وحل الأحزاب واعتقال الناشطين الإسلاميين إلى جانب اليساريين.

كان أربكان من بين من دخلوا السجن آنذاك، وبعد ثلاث سنوات خرج في إطار موجة انفتاح على الحريات في عهد حكومة أوزال، فأسس في العام 1983 حزب الرفاه الوطني، الذي شارك في انتخابات نفس العام لكنه لم يحصل سوى على 1.5% من الأصوات، لكنه لم ييأس إذ واصل جهوده السياسية حتى أفلح في الفوز بالأغلبية في انتخابات عام 1996 ليترأس أربكان حكومة ائتلافية مع حزب الطريق القويم برئاسة تانسو تشيللر.

خلال أقل من عام قضاه رئيسا للحكومة التركية، سعى أربكان إلى الانفتاح بقوة على العالم الإسلامي، حتى بدا وكأنه يريد استعادة دور تركيا الإسلامي القيادي، فبدأ ولايته بزيارة إلى كل من ليبيا وإيران، وأعلن عن تشكيل مجموعة الثماني الإسلامية التي تضم إلى جانب تركيا أكبر سبع دول إسلامية: إيران وباكستان وإندونيسيا ومصر ونيجيريا وبنغلاديش وماليزيا.

ولم يكتف أربكان بذلك، بل نشط عبر العالم الإسلامي، وحدد موعدا لمؤتمر عالمي يضم قيادات العمل الإسلامي، وباتت تركيا تتدخل بثقلها لحل مشكلات داخلية في دول إسلامية كما حدث حينما أرسل وفودا لحل خلافات المجاهدين في أفغانستان.

لكن أربكان حرص رغم ذلك على عدم استفزاز الجيش، وحاول تكريس انطباع بأنه

لا يريد المساس بالنظام العلماني، فنفذ الاتفاقيات السابقة مع إسرائيل دون تردد، وزاد بأن زار إسرائيل لدعم التعاون العسكري، وسمح للطيارين الإسرائيليين بالتدرب في الأجواء التركية.

ولم يكن هذا التقارب مع إسرائيل كافيا لإقناع الجيش بالقبول، فقام الجنرالات بانقلاب من نوع جديد إذ قدموا إلى أربكان مجموعة طلبات لغرض تنفيذها على الفور تتضمن ما وصفوه بمكافحة الرجعية وتستهدف وقف كل مظاهر النشاط الإسلامي في البلاد سياسيا كان أم تعليميا أم متعلقا بالعبادات، فكان أن اضطر أربكان إلى الاستقالة من منصبه لمنع تطور الأحداث إلى انقلاب عسكري فعلي.

في عام 1998 تم حظر حزب الرفاه وأحيل أربكان إلى القضاء بتهم مختلفة منها انتهاك مواثيق علمانية الدولة، ومنع من مزاولة النشاط السياسي لخمس سنوات، لكن أربكان لم يغادر الساحة السياسية فلجأ إلى المخرج التركي التقليدي ليؤسس حزبا جديدا باسم الفضيلة بزعامة أحد معاونيه وبدأ يديره من خلف الكواليس، لكن هذا الحزب تعرض للحظر أيضا في عام 2000.

ومن جديد يعود أربكان ليؤسس بعد انتهاء مدة الحظر في عام 2003 حزب السعادة، لكن خصومه من العلمانيين، تربصوا به ليجري اعتقاله ومحاكمته في نفس العام بتهمة اختلاس أموال من حزب الرفاه المنحل، وحكم على الرجل بسنتين سجنا وكان يبلغ من العمر وقتها 77 عاما.

أربكان اليوم خارج العمل السياسي الفعلي، وربما يكون تقدم العمر أحد الأسباب، لكن الزعيم الإسلامي كان يمكن أن يستمر في العمل السياسي إلى النهاية لولا الضغوط الشديدة والمتكررة التي تعرض لها من قبل التيار العلماني واتخذت أشكالا مختلفة من الانقلابات العسكرية إلى استخدام القضاء والصحافة وشق صفوف أتباعه الذين لم يجرؤ أحد منهم على تكرار ما قام به زعيمهم العجوز.
فى 27 فبرلير 2011 توفى في احد مستشفيات العاصمه انقرة رئيس وزراء تركيا الأسبق نجم الدين اربكان عن عمر يناهز 84 عاما و كان اربكان يخضع للعلاج في المستشفى منذ فترة و أفاد مسئولو المستشفى إن اربكان توفى في الساعة 11:40 من صباح الأحد

وقال مساعده أوغوزهان اسيلتورك لقناة تلفزيون «إن تي في» إن «تركيا فقدت اليوم واحدا من أعظم رجالها».

من جانبه قال رئيس أطباء مستشفى أنقرة الذي نقل إليه أربكان أول يناير (كانون

الثاني) الماضي للصحافيين إن «معدل نبضات قلبه ارتفع فجأة بصورة كبيرة ولم نستطع أن نفعل شيئا».

وعلى الأثر قدم أردوغان تعازيه لأسرة الزعيم التاريخي الأسبق للحركة الإسلامية في تركيا. وقال لشبكات تلفزيونية: «كان نموذجا جيدا للمعلم والقائد للأجيال الشابة من حيث شخصيته ومبادئه والمعركة التي خاضها».

ورغم مظهره الذي يوحي بالطيبة بجسمه المستدير وشاربه الأبيض الصغير كان أربكان الملقب بـ«الحجة» (الأستاذ) ثعلبا سياسيا ماكرا.

رجب طيب أردوغان

جاء رئيس الوزراء التركي وزعيم حزب العدالة والتنمية رجب طيب أردوغان من رحم المؤسسة الدينية في تركيا، فهو خريج مدرسة دينية، كما أنه بدأ العمل السياسي من خلال التيار الإسلامي الذي قاده نجم الدين أربكان، لكنه يحاول منذ فوزه بالحكومة في عام 2002 التأكيد على أنه لا يمثل حزبا دينيا، لكنه يريد بناء دولة ديمقراطية تفصل بين الدين والدولة كما في أوروبا ولا تسيطر فيها الدولة على الدين كما هو حال العلمانية التركية.

انخرط أردوغان في سن مبكرة في حزب السلامة الوطنية الذي أسس عام 1972 بزعامة أربكان، وظل عضوا في حزبي الرفاه ثم الفضيلة اللذين شكلهما أربكان إثر موجات الحظر التي كانت تطال أحزابه، وفي عام 1985 أصبح أردوغان رئيسا لفرع حزب الرفاه الوطني في إسطنبول، وفي عام 1994 فاز برئاسة بلدية إسطنبول.

خلال فترة رئاسته بلدية إسطنبول حقق أردوغان إنجازات نوعية للمدينة، الأمر الذي أكسبه شعبية كبيرة في عموم تركيا، لكن هذه الشعبية لم تشفع له حينما خضع لإجراءات قضائية من قبل محكمة أمن الدولة في عام 1998 انتهت بسجنه بتهمة التحريض على الكراهية الدينية ومنعه من العمل في وظائف حكومية ومنها طبعا الترشيح للانتخابات العامة.

كان سبب كل هذه العقوبات ما قاله أردوغان في خطاب جماهيري في نفس العام، حيث اقتبس أبياتا من الشعر التركي تقول (مآذننا رماحنا والمصلون جنودنا).

لم توقف هذه الحادثة طموحات أردوغان السياسية، لكنها ربما تكون قد نبهته إلى صعوبة الاستمرار بنفس النهج الذي دأب أستاذه أربكان على اعتماده، لذلك فهو اغتنم فرصة حظر حزب الفضيلة لينشق مع عدد من الأعضاء ومنهم وزير خارجيته الحالي عبد الله غل ويشكلوا حزب العدالة والتنمية في عام 2001.

منذ البداية أراد أردوغان أن يدفع عن نفسه أي شبهة باستمرار الصلة الأيديولوجية مع أربكان وتياره الإسلامي الذي أغضب المؤسسات العلمانية مرات عدة، فأعلن أن العدالة والتنمية سيحافظ على أسس النظام الجمهوري ولن يدخل في مماحكات مع القوات المسلحة التركية وقال "سنتبع سياسة واضحة ونشطة من أجل الوصول إلى الهدف الذي رسمه أتاتورك لإقامة المجتمع المتحضر والمعاصر في إطار القيم الإسلامية التي يؤمن بها 99% من مواطني تركيا".

بدا أن أردوغان حاول إمساك العصا من الوسط مقدما شكلا جديدا من الوسطية التي ستكون سببا في فوز حزبه بالأغلبية في انتخابات عام 2002 الأمر الذي جعله يشكل الحكومة منفردا برئاسة عبد الله غل بدلا من أردوغان الذي كان لايزال خاضعا للمنع القانوني.

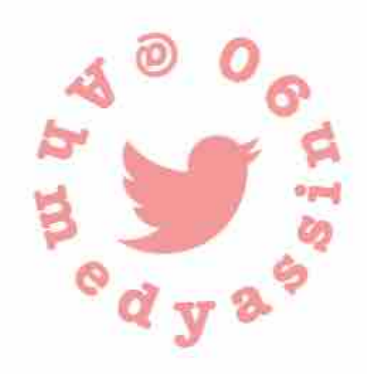
بعد شهور تم تعديل الدستور للسماح بتولي زعيم الحزب أردوغان منصب رئاسة الوزارة الذي حاول خلال ولايته التأكيد على نهجه الوسطي، فكان يصرح بأن حزبه "ليس حزبا دينيا بل حزبا أوروبيا محافظا" كما أنه دأب على انتقاد ما قال إنه (استغلال الدين وتوظيفه في السياسة)، وأكد أنه لا ينوي الدخول في مواجهة مع العلمانيين المتشددين وحتى استفزازهم.

في الوقت ذاته ألقى أردوغان بثقله باتجاه قبول تركيا في الاتحاد الأوروبي، لم يكن ذلك فقط لإقناع العلمانيين أنه ليس نسخة من أربكان، لكنه أدرك أيضا أن مثل هذه العضوية ستضع تركيا في فلك الديمقراطية الأوروبية التي ترفض أي دور للعسكر وتمنح الناس حرية التدين أو عدمه وهما أمران يمثلان ضربة قوية لجوهر النظام العلماني التركي الذي يمنح الجيش صلاحيات واسعة ويسيطر على التدين وأشكاله.

وعلى الرغم من أن أردوغان تحاشى أي استفزاز للقوى العلمانية -حتى أنه أرسل ابنته المحجبة إلى أميركا لتدرس هناك بسبب رفض الجامعات التركية قبول طالبات محجبات- فإن ذلك لم يحل دون حديث العلمانيين عن

وجود (خطر رجعي) قال قائد الجيش التركي إنه "وصل إلى مستويات قلقة".

وحتى مع عدم اتهام أردوغان مباشرة بالرجعية فإن الرئيس التركي السابق أحمد نجدت سيزر -وهو من أشد المدافعين عن العلمانية- اتهم حكومة أردوغان بمحاولة أسلمة كوادر الدولة العلمانية قائلا إن التهديد الأصولي بلغ حدا مقلقا، الأمر الذي رد عليه أردوغان بحدة قائلا إن "من حق المؤمنين في هذا البلد أن يمارسوا السياسة".



الفصل الرابع

الإسلاميون الجدد

يروى عن مصطفى كمال اتاتورك انه في الذكري العاشرة لتأسيس الجمهورية جمع المصاحف والكتب الدينية ووضعها علي ظهور الإبل وقادها رجل يرتدي العقال العربي واتجه بها نحو الجزيرة العربية وقد علقت في رقابها لافتة تقول : " جاءت من الصحراء ولتعد إلي الصحراء .. جاءت من العرب ولتعد إلي العرب ".

وقد استطاعت الحركة الإسلامية في تركيا أن تقدم نموذجا فريداً في التعامل مع الواقع السياسي والاجتماعي المفروض عليها والتكيف معه والاستفادة منه دون أن تضطر إلي اللجوء إلي احد النقيضين.. إما الاستسلام والتخلي عن العقيدة والدين وإما اللجوء إلي العمل المسلح والثورة علي مجتمع العلمانيين . فاستطاعت أن تستغل كل فرصة لترسيخ أقدامها والتعبير عن نفسها ، وكان منهجها أن تأخذ ما يتاح لها حتى تتهيأ الظروف لتأخذ غيره وهكذا حتى يتم التغيير الذي تنشده .

ومنذ انشأ (أتاتورك) الجمهورية عام (1923م) أسس (حزب الشعب) ليكون حزبا واحداً محتكرا للسلطة في تركيا جاعلاً هدفه الوحيد استكمال المخطط الاتاتوركي لاستئصال شأفه الإسلام من هذه الدولة وطوال تلك الفترة انعدم كل صوت مسلم أو مظهر إسلامي في أنحاء الجمهورية علي الإطلاق وبعد وفاه (أتاتورك) عام (1938م) خلفه (عصمت اينونو) حتى عام (1950م) (وكانت بداية الانفراج في عهده وبالتحديد في عام (1945م) عندما سمح النظام بتعدد الأحزاب إذ شكل ذلك علامة فارقة علي بدء مرحلة جديدة من العلاقات بين الدين والدولة في اتجاه يمكن ان نقول عنه انه تصالحي ولكن هذا الظهور دفع قيادة الجيش إلي القيام بانقلاب عسكري في عام (1960م) بقيادة الجنرال (جمال جورسيل) وتم إعدام (عدنان مندريس) بعد أن تولي رئاسة الوزراء عقابا له علي سماحة بعودة المظاهر الإسلامية وتهديد العلمانية الاتاتوركية .

وفي فترة الستينيات شهدت تركيا تحولات كبيرة في شتي مجالات الحياة وعلي رأسها المجال السياسي وكانت البداية المعلنة للحركة الإسلامية هي ظهور المهندس (نجم الدين اربكان) الذي حقق فوزا كاسحاً في انتخابات عام (1969م) كمرشح مستقل عن دائرة (قونية) معقل الإسلاميين في تركيا .. وفي عام (1970م) كانت بداية الظهور المعلن للأحزاب ذات التوجه والمرجعية الإسلامية لأول مرة في تركيا .

ازداد الاهتمام بالحركة الإسلامية في تركيا لما يلي :

1- الانهيار المفاجئ للاتحاد السوفيتي الذي أصاب العالم بالذهول عام (1991م) وغياب الإمبراطورية العظمي التي ظلت تمثل العدو الأول والأكبر للتحالف اليهودي الصليبي العالمي طوال ما يزيد علي سبعين عاما.
2- انفجار الثورة الإسلامية في إيران عام (1979م) التي مثلت زلزالا أصاب التحالف اليهودي الصليبي بالصدمة والذهول .

تتميز الحركة الإسلامية في تركيا بما يلي :

1- أنها نشأت وتعمل في دولة ظلت لقرون طويلة دولة الخلافة الإسلامية .
2- أنها اصطدمت بأشرس تيار معاد من الممكن أن تتعرض له حركة إسلامية وهو التيار العلماني الاتاتوركي .
3- وفي المقابل فإنها تتمتع بميزة خطيرة يندر أن تتمتع بها حركة إسلامية في بلد إسلامي أخر وهي أنها تعمل في ظل ديمقراطية محترمة من جميع الأطراف.

تتكون الحركة الإسلامية في تركيا من ثلاثة تيارات :

1- الطرق الصوفية: ولها جذور تاريخية متشعبة تمتد لمئات السنين بين أفراد المجتمع بمختلف طبقاته.
2- الجماعات التربوية : وهي جماعات تأسست كرد فعل علي الإصلاحات العلمانية الاتاتوركية التي هدفت إلي علمنة المجتمع وتغريبه .. وقد ظهرت هذه الجماعات في أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات ومنها علي وجه الخصوص : جماعة النور : وتنتسب إلي مؤسسيها (بديع الزمان سعيد النورسي) ، الجماعة السليمانية : وتنتشر داخل تركيا وخارجها في أوروبا الغربية ولاسيما ألمانيا .. وتولي هذه الجماعة أهمية للمجال الثقافي ، الجماعة الاشيكشيكية : ظهرت في أواخر السبعينيات وأسسها ضابط متقاعد في الجيش وتعرف باسم (جماعة تركيا) نسبة إلي صحيفة (تركيا) التي تصدرها الجماعة .
3- الجماعة الحركية والإسلام السياسي : في الوقت الذي اهتمت فيه بعض التيارات الإسلامية بالمداخل التربوية والفكرية والثقافية كمداخل للتغيير واعتبرتها اللبنات الأولي لإصلاح المجتمع والتي يتأسس عليها المدخل السياسي فإن الجماعات الحركية اعتبرت المدخل السياسي بداية الدخول للمداخل الاخري .

ويمكن تلخيص تجربة الإسلام السياسي في تركيا منذ إلغاء الخلافة وإعلان الجمهورية وحتى الآن في ثلاث مراحل :

المرحلة الأولي : وبدأت بعد الانفراج والذي حدث في عام (1945م) وتمثلت في محاولات لتكوين أحزاب تتبني المشاعر والمظاهر الإسلامية عي النحو التالي :

1- في 19 يوليو (1946م) قام كل من (نجمي كوناش) و(مصطفي اوزبك) بتشكيل (حزب حماية الإسلام) فقامت قيادة الأحكام العرفية باغلاقة في العام نفسه بحجة اتخاذه الدين أداة للسياسة .
2- في 8 يوليو (1947م) : قام (جواد رفعت اتيل خان) وهو جنرال سابق بالجيش التركي معروف بعدائه لليهود والصهيونية ومعه مجموعة من زملائه بإنشاء (حزب المحافظين) وذكر في لائحته انه يعتمد علي الأسس الإسلامية فأغلقته السلطات قبل أن يبدأ نشاطه .
3- في 20 يوليو (1948م) : قام المارشال فوزي جاقماق) وكان أحد أعوان أتاتورك المقربين بإنشاء حزب يميني بروح إسلامية سماه (حزب الأمة) ونصت لائحته علي احترام الدين فألغته الدولة بحجة أنه يعمل ضد النظام الجمهوري الذي أسسه أتاتورك .

وفي هذه المرحلة لم تنجح الحركة الإسلامية في إنشاء أي حزب سياسي معترف به من الدولة.

المرحلة الثانية : اتجهت الحركة الإسلامية في هذه المرحلة إلي انتهاج نهج جديد بدلاً من محاولة إنشاء أحزاب خاصة بها . وذلك بالانخراط والمشاركة في الأحزاب القائمة لعلها تستطيع من خلالها التعبير عن أفكارها وطموحاتها .

المرحلة الثالثة : عقب الانقلاب العسكري عام (1960م) سمح قادته بتكوين عده أحزاب منها حزب (العدالة) الذي مثل امتداداً لسفلة (الحزب الديمقراطي) .. برئاسة (سليمان ديميريل) .

وقد قدم (نجم الدين اربكان) أحد أهم رموز وأعمدة الحركة الإسلامية طلباً لذلك الحزب ليترشح باسمه في مسقط رأسه بمدينه (قونية) في انتخابات عام (1969م) لكن طلبه رفض .. فخاض الانتخابات مستقلاً حيث فاز بها فوزاً كاسحا كما فاز عدد أخر من رفاقه من رموز الحركة الإسلامية في محافظات أخري فكونوا جميعا داخل البرلمان كتلة موحدة سميت باسم (حركة المستقلين المسلمين)

وفي عام (1974م) اصدر (اربكان) أوامره للجيش التركي باجتياح شمال جزيرة (قبرص) واحتلالها لحماية القبارصة الأتراك فيها بعد أن قام القبارصة اليونانيون بانقلاب في جنوبي الجزيرة وحصلت الوزارة بعد هذا القرار علي تأييد شعبي جارف . ولمع نجم (اربكان) في سماء السياسة التركية ولمع معه الاتجاه الإسلامي المتمثل في حزب (السلامة الوطني) في ذلك الوقت .

وفي السادس من سبتمبر عام (1980م) نظم (اربكان) مظاهرة باسم الحزب في مدينه (قونية) شارك فيها أكثر من نصف مليون تركي بمناسبة يوم القدس العالمي فرفعوا الأعلام الخضراء ، ونادوا بإقامة دولة إسلامية في تركيا وهتفوا بشعارات معادية لإسرائيل ..وبعد ذلك بيوم واحد فقط وكما توقع الجميع وقع انقلاب عسكري بزعامة الجنرال (كنعان ايفرين) الذي صرح بأنه جاء ليوقف المد الإسلامي وليقضي علي روح التعصب التي ظهرت في المظاهرة .. وعلي الفور تم اقتياد (اربكان) وعدد من رفاقه إلي السجن حيث حكم عليه بأربع سنوات في الحبس .

وتم حل الأحزاب ومن بينها حزب (السلامة الوطني) وتركزت السلطة في يد (مجلس الأمن القومي) وفي عام (1983م) لم يسمح بدخول الانتخابات إلا لثلاثة أحزاب فقط هي : حزب (الديمقراطية) ويتكون من جنرالات الجيش المتقاعدين وحزب (الشعب) الأتاتوركي وحزب (الوطن الأم) بقيادة (تورجوت اوزال) الذي فاز في تلك الانتخابات وكانت له ميول إسلامية فشهدت الحركة الإسلامية في عهده انفراجه اكبر واحتلت مساحة أوسع في الشارع التركي.

الـفـصل الخـامـس

البحث عن الذات علي القمة أو قريباً منـها

يقول عالم الحضارات " وليم سميث" إن الحضارات تتعرض لأربعة مراحل من الصراع خلال دورة الحياة والأولي عند بداية الصعود والثانية قبل اعتلاء القمة والثالثة قبل السقوط والرابعة عند محاولة الصعود مرة أخري وفيما قرأت وعلي الأقل حتى الآن لم أري عودة إلي القمة في صراع الحضارات " ويدرك ذلك تماماً علماء الاستراتيجية في تركيا " ولكن ربما يكون ما يحدث من محاولات تطبيقاً لمثل لبناني يقول " نشن علي النجم فقد تصيب ما علي المئذنة ؟! " وإن لم تفلح محاولة الصعود إلي القمة فليكن قريباً منها وتحت الضوء والامتياز أيضاً والمحاولة لا بأس فيها ولا ضرار في رحلة البحث عن الذات والبداية وإن بدت سريعة في الاتجاه نحو الاتحاد الأوروبي ولها إفراد خاص وبدأت في الحيرة بين العمامة والبرنيطة والميل نحو البرنيطة فيما يشبه الحب العذري من طرف واحد ولحساسية بعض الشئ من الاتجاه نحو العمامة وعندما بدأت تظهر علامات الحب الضائع مالت إلي التجميد مؤقتاً ولم تسعي إلي نهاية العلاقة وبدأت في الاتجاه في وضع قدم في وضع جيوبو ليتيكي في "بحر قزوين" فمنذ عام 1991 صارت سياسة تركيا في بحر قزوين مدفوعة بمصالح ذات شقين تاريخي واقتصادي فالمنطقة يسود فيها في حقيقة الأمر ميراثان تقليديان هما الميراث التركي والميراث الفارسي وعلي أية حال فإن خمسين سنة من الحكم الروسي تبعتها سبعون سنه من السيطرة الروسية كانت كفيلة بعزل دول آسيا الوسطي عن كل من تركيا وإيران علي حد سواء وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي بذلت أنقره جهوداً كبيرة لتجديد وتنشيط الروابط التاريخية بينها وبين دول المنطقة .. ونظراً لأن الصفوة السياسية التركية لم تجد لها سوي القليل جداً من الحلفاء في العالم الإسلامي أو الاتحاد الأوروبي فإن البعض من هذه الصفوة اتجهوا بأبصارهم شطر آسيا الوسطي علي اعتبار أنها العمق الاستراتيجي ولذلك فإن انقره بادرت بتبادل التمثيل الدبلوماسي مع غالبية هذه الدولة بمجرد انهيار الاتحاد السوفيتي وحصول هذه الجمهوريات علي استقلالها .. وهذا التبادل الدبلوماسي يعكس في حقيقة الأمر الإهتمام التركي بمصادر الطاقة فيها..

ولا تكفى مصادر الطاقة المحلية في تركيا من النفط والغاز سوي القدر اليسير من احتياجات البلاد و بالإضافة إلي ذلك فإن استهلاك تركيا من الطاقة يتزايد بمعدل أسرع من إنتاجها منها. وفي النهاية فإن الموقع الاستراتيجي لتركيا يجعل منها جسراً لعبور الطاقة بين أكبر مصادر التزويد من الخليج وبحر قزوين في جانب ومن الأسواق المستهلكة في أوروبا في الجانب الآخر ولقد سعت تركيا إلي طرح نفسها علي أنها أنسب الطرق لنقل نفط الخليج وغازه إلي الأسواق الأوروبية . وفضلاً عن ذلك فإن الشركات التركية صارت تشارك بنشاط في عمليات الاستكشاف في منطقة بحر قزوين.

ومن بين التحالفات السياسية والاقتصادية هناك تحالف لم يتبلور تماماً ولم يتخذ طابعه الرسمي بعد بين كل من تركيا والولايات المتحدة وأذربيجان ودور هذا التحالف وخاصة الولايات المتحدة يهدف في المقام الأول إلي إضعاف النفوذ الروسي في المنطقة وإلي إعادة وجهة المصالح الاقتصادية للدول المستقلة حديثاً عن الاتحاد السوفيتي السابق باتجاه الاستثمارات الأمريكية والغربية .. علي أن تركيا تشعر بالحساسية بالدرجة الأولي من التطورات التي تحدث جنوبي القوقاز. وفي حين أن علاقاتها مع أذربيجان وجورجيا قد تطورت كثيراً في التسعينيات فإن علاقاتها مع أرمينيا قد توقفت نتيجة للصراع حول إقليم ناجورنو- كاراباخ . ولقد كانت توقعات تركيا في عام 1991 أن ثقافتها ولغتها مع دول المنطقة سوف تمكنها من تثبيت أقدامها وتتولى القيادة في عالم تركي وأن ذلك سوف يمهد الطريق لدور عالمي لتركيا لكن ذلك لم يتحقق علي أرض الواقع وكان علي تركيا نتيجة لذلك أن تحتل مكانة أقل كبرياء وإن كان تواجدها الاقتصادي مع ذلك قد اتسع مداه عن ذي قبل ...

وعلي أنه إذا قدر بناء خط الأنابيب تحت المياه والمسمي بالتيار الأزرق لنقل الغاز الروسي عبر البحر الأسود حتى تركيا فإن خط أنابيب الغاز عبر قزوين إلي تركمانستان إلي باكو ثم إلي ميناء جيهان علي البحر المتوسط سوف يجعل تركيا شريكاً أساسياً في مشروعين أثنين متنافسين لنقل الغاز وكذلك فإن الخطط الرامية إلي حد خط أنابيب من باكو إلي جيهان يوفر لتركيا دوراً مركزياً هاماً فيما يتعلق بنفط قزوين وباعتبار أن تركيا عضو في حلف الناتو فإنها كثفت تعاونها العسكري والأمني مع دول المنطقة وبالدرجة الأولي مع أذربيجان وجورجيا لكن ومع كل هذا بقي نفوذ تركيا المستقل بمفردها محدوداً ويبقي علي ما يبدو هذا الدور تابعاً وإلي حد ما بل ومرتبط بالدور الأمريكي رغم طموحات الساسة الأتراك ... وتركيا

ليست ماليزيا مثلاً أو سنغافورة أو حتي اندونيسيا فهي ساعية لدور نحو القمة في الأحيان الأغلب قريباً منها ومن هنا فالأولوية لوضع اليد والتواجد ثم يأتي في المرتبة الثانية المصالح الاقتصادية وفي الدائرة الأولي للأمن القومي التركي يكون وضع اليد مع الميل قليلاً للخشونة أو إظهارها وبدت تلوح في الأفق ملامح الإخفاق يكون التجميد عند حد التلاقي وانتظاراً لتغير المواقف والأحداث ولا داعي لأن يضيع الوقت والاتجاه نحو الجبهة التالية في سباق مع الزمن نحو القمة أو قريباً منها ونحو العمق أكثر نجد أن السياسة الخارجية لتركيا في المرحلة الراهنة ذات مجموعة من الأبعاد والضوابط التي لا ترتبط فحسب بالمصالح التركية الاقتصادية والسياسية وإنما تتعلق أيضاً بالطموح التركي في ممارسة دور فاعل علي الساحة الدولية يعيد إلي الأذهان أمجاد الماضي في مصاف الدول الكبري ويكون السبيل الأمثل إلي ذلك تهيئة البيئة المواتية التي تسمح بإظهار تركيا كقوة إقليمية قادرة علي التأثير ومسيطرة علي الأحداث التي تواجهها في نطاقها الجغرافي وهي السياسة الجديدة التي بات ينتهجها حزب العدالة والتنمية وهي السياسة القائمة علي منهج إسدال الستار علي الأزمات في حال استحالة الحل في القريب العاجل وخاصة في المناطق التي كانت تتمتع فيها تركيا بنفوذ قوي والتي تنظر إليها تركيا علي أنها علاقات إستراتيجية لا يمكن المساس بها والتي قد تؤثر علي تصاعد الدور التركي علي المستويين الإقليمي والدولي مع مراعاة أن الناتج المحلي لتركيا يحتل المركز 15 علي الصعيد العالمي وفقاً لتقديرات البنك الدولي عام 2009 ومن المتوقع أن يرتفع ترتيبها إلي رقم 12 عالمياً خلال العقد القادم مما يجعلها قادرة علي لعب دور أكبر علي الصعيدين الاقتصادي والسياسي في مناطق النفوذ التركي التقليدية وبما ينعكس علي مصالحها القومية في دوائرها العديدة .. ومن هنا اتجهت السياسة التركية للانفتاح علي جيرانها في عملية التطبيع مع أرمينيا والتي تطورت حينما وقع وزيراً خارجية كل من أرمينيا وتركيا يوم 10 أكتوبر 2009 البروتوكولين الخاصين بتطبيع العلاقات وفتح الحدود بين الدولتين بمدينة زيورخ بسويسرا وبحضور وزراء خارجية أمريكا وروسيا وفرنسا والتي تترأس دولهم مجموعة منسك الخاصة بمحاولة إيجاد تسوية للنزاع الراهن بين أرمينيا وأذربيجان حول إقليم "ناجورنوكاراباخ" بالإضافة إلي مسئول الشئون الخارجية بالاتحاد الأوروبي آنذاك " خافيير سولانا" ووزير الخارجية السويسري .. وعلي الرغم من أهمية هذا التاريخ في مسار عملية التطبيع بين البلدين فإنه يجب عدم إغفال أيضاً أن عملية التوقيع جاءت تتويجاً لمشاورات سياسية طويلة

بين البلدين بوساطة سويسرية كانت أولي نتائجها البيان الثلاثي المشترك الذي صدر عن وزراء خارجية تركيا وأرمينيا وسويسرا يوم 22 ابريل 2009 والذي أشار إلي اتفاق البلدين علي اتفاق عام وإطاري تهدف إلي تطبيع العلاقات الأرمينية التركية وفتح الحدود بينهما وعقب ذلك توقف قصير لجهود المصالحة التركية – الأرمينية والتي بدأت عقب صدور البيان المشار إليه استؤنفت يوم 31 أغسطس 2009 تلك الجهود بصدور بيان مشترك آخر أشار إلي اتفاق الجانبين علي بدء مشاورات سياسية بينهما بهدف التوصل إلي بروتوكولين الأول يقضي بإقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين والثاني يقضي بتنمية العلاقات الثنائية بينهما وقد حدد البيان الثاني مهلة ستة أسابيع للانتهاء من المشاورات السياسية بين البلدين يتم خلالها التطرق لكافة القضايا المعلقة فيما بينهما وانتهت بقيام الدولتين بتوقيع بروتوكولين يوم 10 أكتوبر 2009 وينص البروتوكول الأول علي إقامة علاقات دبلوماسية في مطلع الشهر الذي سيلي التصديق علي البروتوكول وإعادة فتح الحدود التي تم إغلاقها منذ عام 1993 خلال شهرين من بدء سريان الاتفاق والاعتراف بالحدود القائمة بين البلدين بينما يتمحور البروتوكول الثاني حول سبل تنمية العلاقات والتي تضم الطاقة والسياحة والبنية التحتية علاوة علي العمل من أجل الحفاظ علي الإرث الثقافي للبلدين والتعاون القنصلي وإنشاء سبع لجان فرعية وحوار حول البعد التاريخي للمزاعم الأرمينية بارتكابات الأتراك ولكن رغم كل المجهودات المضنية من السياسيين في كلا البلدين والوسطاء أيضاً إلا أنه ظهرت خلافات حادة صاحبت التوقيع بشأن إمكانية التصديق علي هذين البروتوكولين لاسيما في ضوء التعقيدات المرتبطة بهما وذلك علي الرغم من السهولة النسبية التي صاحبت عملية التوقيع ففي أرمينيا تعرض الكثير من القوي السياسية الرئيسية علي الاتفاق المشار إليه وذلك علي الرغم من المكاسب العديدة المنتظر أن تجنيها أرمينيا من التطبيع وبالأخص المكاسب الاقتصادية فقد قام الحزب الاتحادي الثوري الأرميني بالانسحاب من الائتلاف الحاكم عقب الإعلان عن الاتفاق ويكمن السبب الرئيسي وراء رفض العديد من التيارات السياسية في عدم الاعتراف التركي المسبق بارتكاب جرائم إبادة جماعية ضد الشعب الأرميني خلال أحداث عام 1915 أثناء الحرب العالمية الأولي وذلك قبل إقامة علاقات سياسية بين البلدين حيث يعد هذا الموضوع أحد أهم مكونات الهوية الوطنية الأرمينية كما يمثل أرض المهجر عقبه أخري أمام تصديق البرلمان في أرمينيا علي البروتوكولين ومن ناحية أخري وعلي الجانب التركي تعارض الأحزاب

المعارضة الرئيسية في تركيا الاتفاق وعلي رأسها حزب الحركة القومية وحزب الشعب الجمهوري وذلك بالإضافة إلي ما يجب أن تبذله الحكومة التركية في عملية إقناع داخل حزب العدالة والتنمية التركي ذاته .. خاصة في عملية التسوية الخاصة بإقليم "ناجورنوكاراباخ" مما جعل وزير الخارجية التركي يصرح بأنه بالرغم من حرص الحكومة تمرير البروتوكولين فإن البرلمان التركي سيكون له الفصل في هذا الشأن وهو ما يطرح إمكانية صعوبة تصديق البرلمان علي البروتوكول.. وعلي جانب ثالث نجد الموقف الاذري الرافض بشكل صريح للبروتوكولين العائق الأبرز أمام تركيا لتطبيع علاقاتها مع أرمينيا حيث تتحفظ باكو علي الخطوات التركية للتطبيع مع أرمينيا دون أن يتزامن ذلك مع إحراز أي تقدم علي صعيد قضية إقليم " ناجونوكاراباخ" المتنازع عليه بين أرمينيا وأذربيجان وهو الأمر الذي يعتبر احد أهم الأسباب وراء تعطيل جهود المصالحة بين الدولتين حتى الآن ... وعلي الرغم من الجهود التركية الحثيثة لعدم إثارة غضب الجانب الاذري حيال التقارب التركي – الأرميني فإن فترة ما بعد توقيع البروتوكولين إلا أن الجانب الأذري بدأ في عملية التصعيد وانتقدت وزارة الخارجية الأذرية بشدة في بيانها الصادر في 11 أكتوبر 2009 أي بعد التوقيع بيوم واحد القرار التركي ثم صعدت من الحدة حينما أعلن الرئيس الأذري " عالييف" أن تركيا لن يكون بوسعها الحصول في المرحلة المقبلة علي غاز مدعم من أذربيجان عقب التوقيع علماً بأن تركيا كانت تستورد 6.5 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنوياً من أذربيجان بأسعار تفضيلية تبلغ نحو 120 دولار لكل ألف متر مكعب من الغاز مما يوفر ما قيمته 1.1 مليار دولار سنوياً لتركيا كما المح عالييف أيضاً إلي إمكانية الانسحاب من مشروع خط أنابيب " نابكو " مضيفاً أن لديه عروضاً بديلة من روسيا وإيران لشراء الغاز الأذري وهو مشروع يؤثر إلي حد كبير علي موقف الاتحاد الأوروبي وهو ما تخشاه تركيا إلي حد بعيد مما دعا إلي تعقيب وزير خارجية تركيا داوود أغلو بأن انقره لن تغير من موقفها إزاء الاحتلال الأرميني لإقليم " ناجورنوكاراباخ" مركزاً علي الموقف التركي التقليدي الذي يرتكز علي التوصل إلي تسوية سياسية في الإقليم قبل فتح الحدود مع أرمينيا وعودة علي الجانب الأرميني فقد أجرت وزارة التجارة والصناعة الأرمينية بحثاً أكدت فيه أن رفع الحصار المفروض علي أرمينيا من قبل تركيا وأذربيجان وإعادة إندماجها في المنظومة الاقتصادية الإقليمية سيؤديان إلي مضاعفة حجم الصادرات الأرمينية مع العالم الخارجي بأكثر من 300 مليون دولار سنوياً ويقول

البنك الدولي بأن رفع الحصار سيؤدي إلي ارتفاع في معدل النمو في أرمينيا بما يقدر 30% .. كل هذا التشابك وهذه المصاعب التي تواجهها تركيا جعلتها تبقي الأوضاع في معدل التهدئة و لو مؤقتاً في رحلة البحث عن الذات في مرحلة التجميد المؤقت مع المحافظة عليها و الاتجاه في الجانب الآخر مع الاتحاد الأوروبي والنظر من بعيد نحو الشرق الأوسط في رحلة البحث عن الذات قرباً من القمة وإعادة استنشاق عبير الشرق ونسيم الماضي والتاريخ وحلم الإمبراطورية العثمانية وعمامتها المميزة البيضاء وإن كان في الخيال إبهار التقدم السريع وغواية البرنيطة والقبعة الأوروبية الذي ينادي به العديد من التيارات والأطياف في بحر تركيا الزاخر بالمواقف المتباينة نحو الحيرة بين العمامة و البرنيطة في رحلة البحث

عن الذات من جديد حلماً بالقمة أو قريباً منها كدولة من الدرجة الأولي علي ساحة الأحداث في عالم ملئ بالمتناقضات ويحتاج إلي مهارة في السباحة السياسية ومجهود مضني وبحذر أيضا حتى لا تغوص الأقدام التركية فيما لا يحمد عقباه وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً ايضاً ..

الفصل السادس

بناء تركيا بين أتاتورك وأردوغان

عند انهيار الإمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، أنشأ مصطفى كمال أتاتورك تركيا الحديثة على الطراز الأوروبي. وبالنظر إلى سيطرته على كافة مراكز القوى والنفوذ وحتى الجيش، قام أتاتورك بتنفيذ رؤيته في الفصل بين الدين والسياسة العامة والحكومة، وأفهم زملاءه بأن عليهم أن يعتبروا أنفسهم غربيين بالفطرة.

استغرق الأمر قرنا من الزمن ثم جاءت ثورة ديمقراطية قام بها حزب العدالة والتنمية التركي –وهو ائتلاف من المحافظين والإصلاحيين الإسلاميين والإسلاميين وصل إلى السلطة عام 2002- لإنهاء ارتماء تركيا في أحضان الغرب.

ومع الاستقالات الجماعية للقيادات العسكرية التركية الشهر الماضي، يكون الجيش التركي الذي يعتبر آخر قلاع الكمالية "الأتاتوركية" قد رفع الراية البيضاء واستسلم للإعصار السياسي الذي غربل تركيا وأعاد تشكيلها من جديد على يد حزب العدالة والتنمية.

إن النهاية السياسية للكمالية في تركيا تفيد أن زعيم حزب العدالة والتنمية رجب طيب أردوغان هو أتاتورك تركيا "الجديد". ربما لا يتمتع أردوغان بصفة المحرر التي تمتع بها أتاتورك ولكنه يتمتع بنفس النفوذ الذي تمتع به أتاتورك في حقبة ما.

عندما أصبحت تركيا ديمقراطية متعددة الأحزاب عام 1950، حاول العديد من الأحزاب وعلى مدى عقود الحفاظ على إرث أتاتورك، في الوقت الذي تولى الجيش حماية النظام.

لكن الرتابة والجمود سيطرا في النهاية. ابتعد التيار الكمالي عن التطلع إلى المستقبل وقيادة عجلة التطور كما كان في بداية عقد العشرينيات من القرن العشرين، وأصابه الجمود ومن ثم تحول إلى فكر لحماية الماضي وحسب. بالنسبة للجيل الذي نشأ في تركيا في العقود الأخيرة، يعتبر انتشار تماثيل أتاتورك بشكل لافت في كل ميدان تقريبا، مؤشرا على تحول الكمالية إلى عقيدة لحماية إرث معين. حدث ذلك بعد انقلاب عام 1980 الذي أنهى الفوضى في الشوارع، ولكنه أتى أيضا بدستور مقيّد كتبه العسكر.

وبتحويل أتاتورك إلى طائفة، قام الجنرالات بقتل الكمالية من حيث لا يعلمون.

وحتى بعد أن أصبحت تركيا ديمقراطية عام 1982 لم تجر مراجعة تلك الحالة، والأحزاب الحاكمة التي أتى أغلبها من يمين الوسط فشلت في تقديم أفكار لتحقيق التغيير.

الأحزاب الإسلامية الوليدة اغتنمت الفرصة وبدأت في تقديم أفكار تقدمية مبنية على فصل مرن بين الدين والسياسة العامة والحكومة، وهي أفكار من شأنها الحفاظ على الهوية الإسلامية للدولة في السياسة الخارجية.

عندما انهارت أحزاب يمين الوسط بعد الأزمة الاقتصادية عام 2000، استخدم الإسلاميون شعار التحديث لجذب الناخبين. وحالما تبوأ حزب

العدالة والتنمية السلطة بدأ بحشد الدعم الشعبي للتغيير، وقد ساعده إلى حد كبير في ذلك عقد من الاستقرار الاقتصادي، وهو إنجاز نسب إلى الحزب.

الحزب الصاعد بدأ تدريجيا يحل محل الكمالية في مراكز القوى والإعلام والأعمال والمجتمع المدني وحتى المحكمة العليا بعد التعديل الدستوري الذي أقر العام الماضي.

كان الجيش آخر معاقل الكمالية. ومنذ عام 2007 تسببت قضية منظورة أمام المحاكم تتهم الجيش بالتخطيط لانقلاب على الحكومة بشل قدرات الجيش على الأخذ بزمام المبادرة. وتعرض الجيش لانتقادات شديدة لاتهامه بالتخطيط للاستيلاء على السلطة بشكل عنيف، والتخطيط لتفجير مساجد إسطنبول التاريخية لخلق حالة من البلبلة وإثارة أزمة سياسية.

ورغم أن تلك الادعاءات لم تثبت بعد، فإن أثرها يمكن أن يرى بوضوح، حيث إن صورة الجيش باعتباره مؤسسة موثوقا بها في اضمحلال مستمر. في عام 1996 أفاد 94% من الذين شاركوا في استفتاء وورلد فاليوز بأنهم يثقون في الجيش، بينما انخفضت النسبة في الاستفتاء نفسه لعام 2011 إلى 75% فقط.

واعترافا بذلك وإدراكا لسطوة حزب العدالة والتنمية، رفع الجيش الراية البيضاء في 28 يوليو. اليوم، وبعد أن أصبح الحزب مركزا للنخبة التركية، يمكنه أن يقود عملية تغيير البلاد.

ومثلما استغل أتاتورك قدرته على تغيير تركيا إلى العلمانية التي آمن بها وفعل ذلك، سيفعل أردوغان الشيء نفسه وسيستغل الفرصة لتغيير تركيا إلى مجتمع محافظ يعتنق الهوية الإسلامية.

في تركيا الأردوغانية، سوف يتخذ الخط الفاصل بين القيم العامة والقيم الدينية شكلا ضبابيا لا يكاد يميزه المرء، وبهذا سيصبح القيام بعمل معارض أمرا مستحيلا.

وعلى صعيد السياسة الخارجية، فإن تركيا السعيدة والمتقبلة لهويتها الإسلامية سوف تتوقف عن اعتبار نفسها غربية بالفطرة، خاصة مع عودة استخدام العبارة الرنانة "العالم الإسلامي" منذ اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001.

وهذا يعني بالنتيجة توترا مستمرا في العلاقة بين تركيا والناتو (تركيا عضو في حلف الناتو وصاحبة ثاني أكبر جيش فيه بعد الولايات المتحدة) رمز المؤسسة الغربية. كما يعني ذلك أن تركيا ستكون منفتحة على كافة الأحلاف غير الغربية. قرار الحزب شراء أسلحة روسية، ودعوة البحرية الصينية إلى إجراء مناورات مشتركة في البحر الأبيض المتوسط ستحظى بتأييد شعبي حتى في أوساط العسكر.

طوال قرن كامل، كان الأتراك يتبعون ويقلدون أصحاب وورثة أتاتورك لأنهم كانوا يمثلون السلطة، اليوم جاء دور أردوغان. فلديه رؤية ويتحكم في مقاليد السلطة. وستحدثنا الأيام إلى أي مدى سيتمكن من إعادة صياغة تركيا وفق رؤيته المحافظة.

الفصل السابع

هل تعود تركيا إلى العمامة والجذور.

يقع الجزء الأكبر من تركيا في قارة أسيا وجزء أخر صغير في قارة أوروبا ويقع مضيق البوسفور والدردنيل في أراضيها مما يجعل موقعها استراتيجيا ومؤثرا علي الدول المطلة علي البحر الأسود، ويحدها جورجيا وإيران وأرمينيا وأذربيجان شرقا والعراق وسوريا والبحر المتوسط جنوبا وبحر ايجة واليونان وبلغاريا غربا والبحر الأسود شمالا .. أليس كل ذلك يجعلها مؤثرة في الأحداث الدولية لتشابك العلاقات وتعدد الحدود والمصالح من الجذور إلي البذور خاصة أنها كانت حتى عام 1922 مركزا للحكم العثماني إلي أن تم إنشاء الجمهورية التركية عام 1923 علي يد مصطفي كمال أتاتورك وحتى وفاته عام 1938 وخلفه " عصمت أنينو" حتى عام 1950 وسيطر الحكم المدني حتى عام 1973 وحكم العسكر حتى أحداث العنف عام 1980 وإن كان يقع 97% من أراضي تركيا في آسيا و 3% في أوروبا إلا أنها ومنذ مصطفي كمال أتاتورك وهي تعاني الحب العذري لأوروبا ويراودها حلم الانضمام للاتحاد الأوروبي منذ ذلك التاريخ ويبلغ عدد سكان تركيا 70 مليون نسمة ، مايزال يتكلم 2% من أبناء تركيا اللغة العربية حتى الآن ! ويدين 99.8% من سكان تركيا بالديانة

الإسلامية .. وذلك علي الرغم من أن المادة 24 من الدستور التركي عام 1982 تشير إلي مسألة العبادة علي أنها مسألة شخصية فردية..
ولذلك لا تتمتع أي منظمات دينية بأية مزايا دستورية ويوجد بتركيا ما يقرب من مائة ألف إمام ومؤذن وشيخ دعوة، ومجلس النواب يتكون من 550 نائباً يتم انتخابهم كل خمس سنوات بانتخاب مباشر من الشعب ويشترط أن يكون مقيما بالبلاد، لذا لا يتمكن ملايين الأتراك المقيمين بالخارج من المشاركة في الانتخابات، وأعلي سلطة سياسية في البلاد هي سلطة رئيس الدولة الذي يتم انتخابه كل سبع سنوات من قبل البرلمان ولا يسمح بإعادة انتخاب الرئيس حسب الدستور، والمحكمة الدستورية هي أعلي سلطة قضائية في تركيا ويوجد بتركيا تسعة أحزاب أقواها طبقاً للشعبية والعضوية حزب العدالة والتنمية وآخرها حزب اليسار الديمقراطي، وإن تمتع كل من حزب الحركة القومية وحزب الشعب الجمهوري ببعض الشعبية المؤثرة إلي حد ما .. ويوجد بتركيا 81 محافظة وأهم مدنها اسطنبول (عدد سكانها عشرة ملايين نسمة) تليها العاصمة انقره 3.5 مليون نسمة وعلي الرغم من أن 51.6% من صادرات تركيا تذهب إلي أوروبا فإن تركيا تقوم بحماية الشركات المحلية من خلال فرض القيود علي الشركات والواردات الأجنبية ومن المحير الذي يستحق التأمل هو كيف تحول التضخم من 150% في عام 1994 إلي 9.4% في عام 2004 ويبلغ الناتج القومي التركي حوالي 410 مليار دولار أمريكي طبقاً لإحصائيات عام 2007 .. وأريد أن أقول عزيزي القارئ أن تلك المقدمة وأن طالت عليك فإنني أجدها لأزمة لأصول البحث والتأني أو كما قلت قبل ذلك فهي عودة إلي القراءة الرشيدة التي يجب أن نطل منها علي أحداث دولة قريبة ومؤثرة وربما تكون مؤثرة أكثر وأعمق في المستقبل القريب فهي دول يطل منها 2مليون طالب جامعي و93% من مجمل عدد السكان مسجلون مدرسيا. ألا يدعونا ذلك إلي التأمل والتدبر لتفهم طبيعة الأحداث والعلاقات سواء الداخلية والتي بدورها هي الأساس للعلاقات الخارجية والسلوك الإنساني ومن أول السطر.
وعلي الرغم من أن الإمبراطوريات لا تتكرر في حياة الشعوب ولكون طبيعتي لا تقبل بالمطلق إلا لله وحده . فأقول: نادرا ما تتكرر و التاريخ والآثار دليل إلي ذلك. ومن هنا كانت حيرتي في تفهم تركيا، فكيف لهذه الدولة التي كانت إمبراطورية وفي اعتقادي أنها آخر الإمبراطوريات الشرقية وأحدثها أيضاً وكل دولة دان لها صولجان الإمبراطورية أجدها

تعتز وتفخر به وتريد بالزمان أن يعود إلي الوراء أو تقول " ليت الشباب يعود يوما" ، فكيف لهذه الدولة أن تتنازل عن الإمبراطورية والمائة سنة ليست بالكثير في التاريخ، وكيف تصر علي النسيان و تتخلي عن الرمز وقد كانت حاملة له داعية لمبادئه ؟كيف يكون لها أن تتخلي عن كل ذلك رغم كونه مرتبط ارتباط وثيق بالعقيدة و الديانة أي أن الإمبراطورية و العقيدة شيء واحد بالنسبة لها علي الأقل لأنها كانت حامل لواء الدعوة و رايات الجهاد ؟ و في اعتقادي فان هذا الفهم الخطأ بالنسبة لي هو وليد قراءة غير متأنية وفي أحيان كثيرة غير عادلة لكونها أتية من كتاب أو وجهه نظر غربية أو صاحبت أهواء أو أغراض سياسيه وفي اعتقادي أيضا فان الغرب علي وجه العموم و نتيجة لما روج له وكتبة وقع في نفس الخطأ في تعامله مع تركية و عدم موافقته علي انضمامها للاتحاد الأوروبي وان كنت اعتقد أن هناك خطأ تركي أيضا وقع فيه الأتراك فكيف يسمح لتركيا بأن تكون أوروبية وهي حاملة الهلال في علمها حتى الآن! وأغلب دول أوروبا لازالت تضع الصليب رمزا وعلامة في أعلامها ! والخطأ الأوروبي هو خسارة تركيا علي الأقل لربع قرن قادم من الزمان وبعد الفهم والإدراك وجدت بعض الحقائق أو قل وجهات نظر من زوايا أخري.

تركيا والعلمانية : (كمال أتاتورك)

وبعد إعادة القراءة وبمزيد من التأمل والتروي فإنني أري أن مصطفي كمال أتاتورك صاحب العلمانية في تركيا لم يكن ملحدا أو ناكراً للدين ولم يكن متخلياً أيضاً عن أحلام الإمبراطورية التركية العثمانية والتي لم تكن أثارها قد زالت بعد من الجسد التركي وآلام الضغوط لكي تتخلي عن زعامتها وإمبراطوريتها لازالت أمام الأعين وملء الصدور من لحظة السقوط عام 1911 إلي إعلان العلمانية عام 1923، ولكن وعلي ما يبدو إنه الإبهار حتى العشق للتقدم العلمي والتكنولوجي الغربي الذي وصل إلي حد التشبع بركب الحضارة فسارع إليه بكل قوة ولو بخلع العمامة إلي البرنيطة ولو مؤقتا. ومن هنا أجد أن الهدف التركي الحقيقي ربما يكون الانضمام إلي قطار التقدم السريع والرفاهية التي هي أشد ما يبتغيه حاكم لدولته، وأريد أن أقول إن الانضمام للاتحاد الأوروبي كان الهدف ولو بالعلمانية ولكن بعد تحطم الآمال وظهور الرؤية وربما باليقين تحول الحلم التركي بالانضمام للركب أو العائلة الأوروبية في حكم الحب العذري من طرف واحد ولم يعد أمامها إلا العودة إلي العمامة عقابا لأوروبا التي رفضت الانضمام فربما تجد نفسها في

الأصول والجذور، وسادت الحسرة مدعي العلمانية وتقدم أصحاب العمامة ولم يملك أصحاب العلمانية غير السكوت والسكون غير تصريحات لرئيس الأركان التي كانت وعلي ما يبدو نثرا للرماد في العيون كما يقول المثل أو غطاء للوجه من الخجل وهو متيقن من عدم إمكانية المواجهة مع التيار الشعبي الجارف، ولايمكن تكرار أحداث عام 1980، ولكن بقي شئ جديد وهو إغفال الطريق الوحيد الذي لم يعد غيره باقيا أمام تركيا وهو طريق الجذور .. ولكن هذا الطريق أهمل أو أغفل طيلة قرن من الزمان وربما يحتاج إلي تمهيد جديد وإعادة إعمار وليس ذلك بمستحيل ولم يعد يتبقي إلا نقطتان أساسيتان وهامتان أيضاً هما :

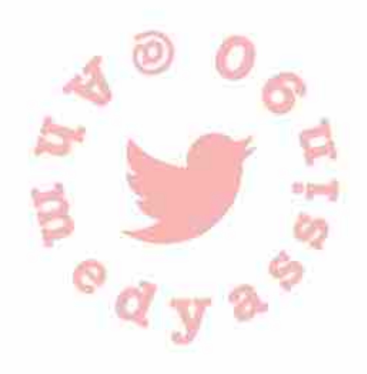
- هل ستسمح أوروبا بدولة إسلامية أو حتى ذات توجه إسلامي ملاصقة لها وبجوارها إيران ذات التوجه الإسلامي أيضا؟! أم تتفهم أوروبا الموقف وتسهل انضمام تركيا لتكون حصنا وأمانا بدلا من القلق والغليان ؟! وهل ستعود تركيا بعد رحلة البحث عن الذات والتي طالت كثيراً منذ عام 1923 ويقول الشاعر الانجليزي "كلينج" في هذا الصدد : "الشرق شرق .. والغرب غرب فمتي التقي الشرق الغرب .. لن يلتقيا ؟! .
- القوات المسلحة التركية وهي حاملة لواء العلمانية وحمايتها تشعر بمزيد من الضيق الذي وضعته أوروبا لها بشروطها التعسفية لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي ولم يعد لديها ما تضيفه أو تفعله ولن تستطيع أن تذهب إلي الانقلاب الخامس بعد أربعة انقلابات عسكرية سابقة ضد رغبة شعبية وصلت إلي حد 68.4% مؤيدة لحزب العدالة وانتخاب عبد الله جول، ثم إن القوات المسلحة ليس لديها الدافع الكافي والرغبة الحقيقية ضد رغبة شعبية عارمة خاصة أنه من المنتظر في التعديل الدستوري الجديد أن تلغي فقرة تحظر محاكمة جنرالات انقلاب عام 1980 .. وتشير بعض المصادر التركية الهامة إلي أن الدستور الجديد والذي يشمل 140 مادة يهدف إلي التخلص من الصبغة العسكرية التي تسيطر علي الدستور الحالي.. وان أكد المحللون أن جول سيقدم نموذجاً مختلفاً من الحداثة ونموذج الجمهورية العلمانية التي أنشأها أتاتورك . ويشير المحللون إلي أن جول ورئيس الوزراء رجب طيب أردوغان نجحا خلال أقل من خمس سنوات في إحداث نقلة كبيرة في مستوي معيشة القطاع الأكبر من الأتراك وهو ما جعل حزب العدالة يحظي بشعبية جارفة

وهو ما سيسعي جول إلي تعزيزه خلال فترة ولايته .. وإن كان البعض يري أن منصب رئيس الجمهورية في تركيا منصب شرفي فهو خاطئ فهو يتمتع بصلاحيات تسمح له بالتأثير علي مصير القوانين الجديدة التي يصوت عليها البرلمان وهو يصدق علي تعيين رئيس الوزراء وقبول استقالته ويوافق علي تشكيل الحكومة ويعين أعضاء المحكمة الدستورية ومجلس التعليم العالي والمجلس الأعلى للقضاءو المدعين العامين وعمداء الكليات وربع أعضاء مجلس الدولة والسفراء .. ثم من سلطاته إعلان تعبئة القوات المسلحة وحالة الطوارئ وكذلك الدعوة لإجراء استفتاء علي أي تعديل دستوري .. ثم الدعوة إلي انتخابات تشريعية مبكرة في حالة فشل تعيين الحكومة خلال المهلة المحددة بعد الانتخابات.

- ومن هنا فإنني لم ألتفت إلي أقوال وإنذارات رئيس الأركان التركي الجنرال ياسر يويو كانيت بأن العلمانية تتعرض لهجوم من " مراكز الشر" علي حد وصفه ، وأضاف في رسالة علي الإنترنت الخاص بالجيش أن تركيا تراقب سلوك " مراكز الشر" ، التي تحاول بانتظام استئصال الطبيعة العلمانية للجمهورية التركية، وأضاف كذلك بأن الجيش يحتفظ بإصراره علي حماية تركيا الاجتماعية والديمقراطية والعلمانية ! وأنني أري هنا خطأ أيضاً في فهم واستيعاب دور القوات المسلحة التي هي بحكم الدستور سلاح ودرع لحماية صاحبها وهو الشعب التركي ذاته فكيف يتحول الدرع إلي حربة في صدر صاحبه والمسئول عن حمايته ؟! .

والموقف الأوروبي أراه لا يعبر عن الحقيقة والواقع والمضمون أيضاً فقد أكدت ميركل عمق العلاقة والشراكة والصداقة بين ألمانيا وتركيا " تري فمن أين كانت المعاناة في الانضمام للاتحاد الأوروبي" . وأعرب بوتين في رسالة إلي جول " أتذكر بحماس لقاءاتنا وأنا علي يقين من أن مناخ التفاهم المتبادل بيننا سيوصلنا إلي مستوي أعلي من شراكة متقدمة " وإن كنت أري ذلك لجذور العلاقات والتي من المنتظر أن تقوي وتشتد في تلك الظروف الحالية بين تركيا والجمهوريات الإسلامية الملاصقة لروسيا والتي كانت ضمن الاتحاد السوفيتي السابق وحاجة روسيا إلي علاقات طيبة مع تركيا لتحسن الأوضاع مع تلك الجمهوريات الإسلامية الملاصقة لروسيا والتي كانت ضمن الاتحاد السوفيتي السابق وحاجة روسيا إلي علاقات طيبة مع تركيا لتحسن الأوضاع مع تلك الجمهورية

لمواجهة الدرع الصاروخي الأمريكي الموجه نحو روسيا .. ! وأيضاً اعتبرت وزارة الخارجية الأمريكية أن استكمال الانتخابات بنجاح ونتائجها هو شهادة لنجاح التجربة الديمقراطية، وتصريح بوش بأن أمريكا ملتزمة بالحفاظ علي علاقات قوية مع تركيا الحليف والشريك وهي بلا شك كذلك لأحوال أمريكا في العراق.. وفي النهاية وإن كنت أميل إلي قول الشاعر الانجليزي بأن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا إلا أنني في تساؤل : فهل تسمح الظروف الحالية بانحناءة نحو صيغة تعيد بها أوروبا تركيا ولو بالانتساب مثلا للاتحاد الأوروبي أو الحصول علي امتيازات الاتحاد دون الدخول عضوا كاملا فيه ! وهل ستقبل تركيا بذلك؟! خاصة أن إيران في الجوار وغزة عن قرب والعراق ملئ بالأشواك والدمار، والأمور تسير علي غير الهوى والمراد الأوروبي والأمريكي فهل تترك أوروبا تركيا لتسير علي غير الهوى والمراد الأوروبي والأمريكي فهل تترك أوروبا تركيا لتسير نحو البحث عن الذات والجذور والعمامة؟ وإن تركتها فهل ستكون جاذبية الجذور أقوي أم عشق اليورو ؟! ... لست أدري.



الـفـصـل الــثــامـن

الأكراد – قضيه تبحث عن حل

لم يكن لدي رغبه داخلية في الخوض في المسألة الكردية أو لواء الاسكندرونه او حتى مشاكل الحياة بين تركيا وسوريا والعراق لضيق في النفس لوجود صراع بهذا الحجم داخل إطار الدول الإسلامية والتي كانت دوماً رافعة لشعار واحد وهدف واحد هو نشر الدعوة بما يفوق أو يتعدي الحدود أو الأنظمة أو حتى المواطنة بالإضافة إلي أن هذه الأزمات قتلت بحثاً وأوراق فاض بها المواطن في هذه المنطقة ضيقاً وألماً وتقاذفتها الأيادي الخارجية بحثاً عن أوراق جديدة للضغط وتحقيق أهداف سياسية ومصالح خاصة تساعد في السيطرة علي المنطقة أو تلبية طلبات قد يعجز أو يرفض اللاعبون الثانويون في المنطقة تلبيتها للقوي العظمي أو المؤثرة في المنطقة ولكن في النهاية كان الدافع للكتابة أقوي وأعمق ويزداد إلحاحا للرغبة في إكمال البحث من زواياه المختلفة وأمانه القلم التي تفوق رغبه الكاتب وإكمال الرؤية واجب لا محيص عنه ومن ناحية أخري وجدت أن عدم الإشارة إليها هو نوع من إنكار الموجود وهي أفة لمن يكتب أو يخطط لسياسة إقليمية وقصور لدي من يريد الفهم أو البحث عن الحقيقة ..

وبداية وجدت من الأمانة قبل التعمق في البحث النظر لرؤية مختلف الأطراف وبالتالي بالأهمية.. وهي وجهة النظر التركية .. حيث يقول ويري أيضاً مهندس السياسة التركية الحديثة أحمد داود أغلو أنه سيكون من المتعذر للغاية وضع تصورات صحيحة لمستقبل المسألة الكردية ما لم يتم تحديد أسس التعامل مع هذه المسألة من الناحية الجيوسياسية و الجيو اقتصادية والجيو إثنية والجيو ثقافية وتحديداً هادئاً ومتروياً ثم طار بالفكر إلي المؤثرات واللاعبون الأساسيون في المنطقة حيث يري أن المسألة الكردية في نظر الولايات المتحدة هي مشكلة عراقية بينما كانت أوروبا تنظر إليها باعتبارها مشكلة تركية في الأساس .. والواقع أن تناول المسألة الكردية يحصرها داخل الحدود العراقية أو الحدود التركية لا يمكن أن يساعد في تحديد المصالح الأوروبية والأمريكية في هذه المسألة تحديداً كاملاً... فتركيا تشعر بانزعاج خطير من كلا الموقفين فالنظرة الأوروبية إلي المسألة الكردية تؤثر علي علاقات تركيا الثنائية مع بعض الدول الأوروبية وفي مقدمتها اليونان وألمانيا .. فضلاً علي أن هذه النظرة تمثل أحد عناصر المفاوضات بين تركيا والاتحاد الأوروبي وهو ما أدي بدوره إلي إثارة ردود أفعال فورية ومباشرة في تركيا .. أما توجه الولايات

المتحدة نحو المسألة الكردية الذي يحصرها داخل المحور العراقي فبالرغم من أنه لم يتسبب في صدام مباشر في الجولة الأولي إلا أنه يجعل تركيا تنظر بحذر وارتياب للموقف الأمريكي بفعل ما قد يتركه الكيان الكردي من مؤثرات داخل تركيا ذاتها .. كما أن مخاوف وهواجس تركيا في هذا المجال قد تزايدت بعد قيام الولايات المتحدة بجمع زعماء شمال العراق في واشنطن دون إطلاع تركيا وتلتقي هذه الهواجس بعدد من التطورات الأخرى مثل رفض تركيا استخدام قاعدة إنجرليك العسكرية استخداماً مكثفاً ضد العراق ويدفع تخوف تركيا بشأن المبادرات المتعلقة بشمال العراق إلي البحث عن اتزان جديد في سياستها العراقية كما أن ثمة إحتمالاً قوياً بأن يكون للولايات المتحدة دور مباشر أو حتى غير مباشر في إقناع اليونان بموقفها من تركيا (الخاصة بعملية كينيا وإحضار أوجلان إلي تركيا) دون علمها مسبقاً .. و من المحتمل أيضاً أن يستمر الدعم الأمريكي في هذا المجال إلي أن يتبدد الغموض الذي يحيط بمسألتي العراق و فلسطين.. وقد وجهت الولايات المتحدة إلي تركيا في هذا رسالة مضمونها أنه بالقبض علي أوجلان فقد أضحت المسألة الكردية تتعلق بالداخل التركي وإدارته و نتيجة لذلك إنخفضت إلي نحو كبير مخاوف تركيا من الوضع العراقي والتطورات في شماله .. وهو اعتقاد أمريكي بأن هذا الموقف وضع حداً لمخاوف تركيا ولكن كان لها هدف أخر هو تجنب التأثيرات التي قد يجرها توجه تركيا للتعامل مع العراق.. أما أوروبا فتري أن الأرتباط المباشر بين علاقات تركيا بالاتحاد الأوروبي وبين المسألة الكردية يجعل من المسألة التركية مسألة أوروبية وتدرك أن أي حل سيتم التوصل إليه بشأن العراق لن يمكنه من القضاء علي المشكلات النابعة من هذه المسألة في أوروبا.. وقد خاضت أوروبا عامة واليونان خاصة امتحاناً بالغ السوء من الناحية الدبلوماسية في عملية القبض علي أوجلان ويعد المأزق الذي سقطت فيه اليونان باستخدامها ورق حزب العمال الكروستاني ضد تركيا واحداً من أبرز الأمثلة علي ذلك وعلي عجز اليونان علي إقامة توازن في النطاقات التي تشهد تضارباً بين الوسائل الدبلوماسية المباشرة وبين الوسائل العملية الغير مباشرة.. وفي إطار أخر تجد تركيا أنه بدأت لعبة جديدة ربما تكون أكثر خطورة ويجب التحلي بقدر كبير من الدقة عن المشاركة فيها فالولايات المتحدة التي تعلن في كل مناسبة أنها تقدم الدعم لتركيا في موضوع حزب العمال الكردستاني سوف تطلب من تركيا تبني سياسة تقترب من الخيارات الأمريكية عن قيام الولايات المتحدة بحملات جديدة في الشرق الأوسط وهذا أقصي ما تخشاه تركيا لتأثير ذلك علي البعد الجديد

الذي تنظر إليه في الشرق الأوسط ورد الفعل المحتمل من دولة وخاصة الدول العربية وتعتقد تركيا أيضا أن هذه المخاوف قريبه وان المطالب سوف تزداد عندما يتعلق الموقف بحل مشكلتي العراق وفلسطين وربما إيران أيضاً ؟.! وبدت تظهر في الأفق أيضاً تعاظم المطالب الأوروبية من تركيا بعد أن كانت الدول الأوروبية مضطرة لتوخي الحذر عند الضغط علي تركيا تخوفاً من أن تتهم بدعم تنظيم إرهابي وقد تأكد هذا الاحتمال بعد قمة هلسنكي .. ففي إطار معايير كوبنهاجن تعزز في أوروبا التوجه نحو النظر إلي المسألة الكردية في الشرق الأوسط باعتبارها مسألة تركية ..

وبين اختلاف الرؤى والمصالح والمخاوف التركية والقلق العربي من مؤثرات لا تزيده إلا ألماً فوق ألامه ووجعاً فوق أوجاعه ترى تركيا أن مصلحتها لا تتفق مع وجهة نظر أمريكا بان المشكلة الكردية ترجع في الأصل إلى العراق ولا تتفق مع وجهة النظر الأوروبية أيضا و التي ترى أن المشكلة الكردية هي تركية في الأصل و ترى تركيا أن المشكلة الكردية تتعلق بعدة دول يعيش على أراضيها أكراد و هي العراق و تركيا و سوريا و لبنان و إيران و كل دولة مسئولة عن من يعيش بداخلها و من هنا وجب البحث والعودة إلي العمق لعلنا نجد الطريق ونبدد القلق أو علي أقل تقدير نتجنب الأزمات والتبعات وإن كان لا يوجد شك في التوصل إلي حل دائم للمشكلة إلا بمدي القدرة علي إعادة تقييم الأبعاد الثقافية والاقتصادية والسياسية والدبلوماسية للمشكلة علي نحو متكامل.

أصول الأكراد وتاريخهم :

كردستان أو أرض الأكراد هي تلك المنطقة الجغرافية التي يقيم فيها الأكراد في الشرق الأوسط والموجودة أساساً في أربع دول هي تركيا والعراق وإيران وسوريا ثم بأعداد قليلة جداً في ثلاث دول أخري هي أرمينيا وأذربيجان ولبنان .. ومن الصعب تحديد تلك المنطقة بدقة لأن هذه الدول جميعها لا تعترف بذلك الكيان .. وقد عرفت تلك المنطقة منذ زمان بعيد في عصر حضارة بين النهرين باسم (أرض الكورد) وكان السومريون يسمونها (كورا) والاشوريون (كوراتي) والبابليون (قاردو) والأغريق (قارد وتشوي) والرومان (كوادرين) أما العرب فقد سموها (ارض الأكراد) ..

وقد شهد تاريخ الأكراد (كما يروون أنفسهم) أنهم أحفاد موجات متعاقبة من الشعوب التي استوطنت المنطقة منذ القدم عن طريق الغزو والهجرة وعند الغوص في التحليل الطبقي نجد أن الأكراد يتكونون من طبقتين من الشعوب والطبقة الأولي كانت تقطن كردستان منذ فجر التاريخ

وتسمي (شعوب جبال زاجروس) وهي الأصل القديم للشعب الكردي والطبقة الثانية هي طبقة الشعوب (الهندو – أوروبية) التي هاجرت من مناطق أسيا الوسطي وهضبة الأناضول واستوطنت كردستان مع شعوبها الأصلية وامتزجت بها ليكونا معاً أمة الكرد وتتكون هذه الطبقة من شعبي (الميديون) و (الكاردوخيون) ... وكان هناك شعب يسمي (شعب هوري) أو (الهوريون) يعيش في بلاد القوقاز وهي المناطق الاسيو اوروبية بين تركيا وإيران وبحر قزوين والبحر الأسود وقد انحدروا جنوبا منذ ما يقرب من 2500 سنه قبل الميلاد وسكنوا في مناطق الأكراد الحالية وشكلوا لأنفسهم ممالك صغيرة من أهمها مملكة (ميتاني) في شمال سوريا وقد سيطروا علي البابليين فترة من الزمن ثم كانت نهايتهم علي يد الأشوريين ومن شعب (هوري) انبثق شعب (ميتاني) ويعتبر هذان الشعبان من الجذور الأولي للشعب الكردي .. وفي عام 1500 قبل الميلاد هاجرت قبيلتان رئيسيتان من الآريين من نهر (الفولجا) شمال بحر قزوين واستقرتا في إيران هما قبيلتا (الفارسيون) و (الميديون) وقد استقر الميديون في الشمال الغربي لإيران وأسسوا مملكة (ميديا) وهي المناطق الكردية حاليا بينما استمر (الفارسيون) في الجنوب وأسسوا مملكة فارس وقد أطلق الشعبان علي بلادهما الجديدة اسم (إيران) والتي تعني أرض (الإيريين) .. وكان أول من أطلق كلمة (كردستان) وخاصة في مناطق سكناهم الأولي في إيران هو السلطان السلجوقي (سنجر) فقد قسم منطقة الجبال إلي قسمين وأطلق ذلك الأسم علي القسم الغربي وبالتحديد المناطق الخاضعة لإقليم (كرمنشاه) في إيران أما تسميه شمال العراق باسم (كردستان) فيرجع إلي الانجليز حين كانوا يخططون لتقسيم الإمبراطورية العثمانية ويرسمون خريطة المنطقة مع الحلفاء .. ويتكلم الأكراد اللغة الكردية وترجع في أصولها إلي اللغات الهندوأوروبية التي تضم الفارسية والكردية والأفغانية والطاجيكسيه ويستخدم الأكراد الحروف العربية للكتابة في العراق وإيران والحروف اللاتينية في تركيا وسوريا أما في أرمينيا وأذربيجان فيستخدمون الحروف الروسية ..

ولقرون طويلة عاش الأكراد في أمه واحدة هي كردستان أو بلاد الأكراد وبالرغم من أنهم كانوا قبائل متنافرة وعشائر متناحرة تفصل بينهم طبيعة جبلية قاسية فإنه لم يكن هناك حدود سياسية تقسم بلادهم أو تفرق جمعهم .. وقد تعرضت كردستان إلي التقسيم مرتين .

التقسيم الأول:

وقد تم في عام (1514م) حين استطاعت قوات الدولة العثمانية بقيادة السلطان (سليم الأول) أن تهزم الدولة الصفوية في إيران بقيادة الشاه (إسماعيل الصفوي) في موقعه (جالد يران) حيث نتج عن ذلك تقسيم كردستان بين الدولتين ففازت الدولة العثمانية بثلاثة أرباع المنطقة بينما سيطرت الدولة الصفوية علي الربع الباقي .

التقسيم الثاني :

بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولي وبموجب اتفاقية (سايكس / بيكو) عام (1916)م تم الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا وروسيا علي تقسيم تركه الدولة العثمانية المهزومة ومن بينها كردستان وفي البداية كان التقسيم إلي ثلاثة أقسام علي النحو التالي :

(1) كردستان الجنوبية في العراق وكردستان الغربية في سوريا وتلحقان بفرنسا ..
(2) كردستان الشمالية في تركيا تلحق بروسيا .
(3) كردستان الشرقية في إيران وتظل تابعة للدولة الإيرانية .

ثم إتفقت بريطانيا وفرنسا علي أن تحصل الأولي علي كردستان الجنوبية في العراق مقابل تقديم نسبة 10% من عوائد النفط لفرنسا – كذلك تخلت روسيا عن حقها في كردستان الشمالية لتركيا بعد قيام الثورة البلشفية وتخليها عن الفكر الاستعماري .. وأخيراً استقر التقسيم إلي أربعة أجزاء بين أربع دول هي إيران وتركيا والعراق وسوريا ..

ومن الملاحظ أنه علي الرغم من الخلافات والصراعات بين الدول الأربع التي يقع فيها موطن الأكراد فإنها أتفقت جميعاً علي هدف واحد مشترك هو عدم السماح للأكراد في أي منها بإنشاء دولة مستقلة لأن الجميع يعلم أن مثل تلك الدولة ستكون نواه إقامة دوله كردستان ألكبري وستنتقل عدوي الاستقلال سريعاً إلي الدول الأخرى .. وهذا ما جعل الأكراد يركنون أحياناً إلي القبول بالحكم الذاتي انتظاراً للجديد ..

علاقة الاكراد بالإسلام :

وتجدر الإشارة هنا إلي أن الأكراد كان لهم دور كبير في كتابه تاريخ الأمة الإسلامية وصل في بعض المراحل أن كانوا السبب في نصرتها وإرتفاع رايتها وكذلك فقد كان لعلمائهم ورجالهم شأن كبير في علوم الشريعة والدين وفنون إدارة الدولة ..

وفي صدر الإسلام جاء في (أسد الغابة) لأبن الأثير اسم صحابي كردي يدعي (جابان أبو ميمون) إتصف بشدة الورع وفي بعض المراجع

ذكر باسم (ميمون الكردي) .. وفي العهد الأموي الذي قام علي العصبية العربية لا تجد كثيراً منهم في المصادر الإسلامية سوي ما ورد علي انضمام بعض إلي عبد الرحمن بن الأشعث في ثورته علي الخلافة الأموية وإرسال الحجاج جيشاً لإخضاعهم ووقوف بعض الأكراد مع مروان (الشجاع) أخر الخلفاء الأمويين الذي يقال أن أمة كانت كردية .. وفي العهد العباسي كان للبرامكة وهم من الأكراد دور كبير في إقامة دعائم ألدوله العباسية وفي المقابل فقد شارك الأكراد في ثورات علي الخلفاء مثل ثورة (الفضل بن سعيد) ضد هارون الرشيد وثورة (علي بن داوود) الكردي علي (المعتمد علي الله) .. وفي العصر الأيوبي دافع الأكراد عن ديار الإسلام ضد دولة الروم البيزنطية في العهد الحمداني ثم في العهد (الزنكي) ثم سادوا الدولة الإسلامية في العهد الأيوبي وأبرز قادتهم وفرسانهم (صلاح الدين الأيوبي) و (نور الدين محمود) و (شمس الدولة توران شاه) و(أسد الدين شيركوه) والملك العادل (سيف الدين بن أيوب) ... وفي الدولة المملوكية استمر الكرد في عهد المماليك يجاهدون ضد الغزاة الفرنجة وأشهر قوادهم في ذلك العهد (حسين الكردي) الساعد الأيمن للسلطان المملوكي (قنصوه الغوري) وفي الدولة العثمانية السنية وقف الأكراد ضد الدولة الصفوية الشيعية وأكتفي العثمانيون بالسيادة الاسمية علي كردستان وفي أزمان لاحقة قامت ثورات ضد الدولة العثمانية منها ثورة الأمير (بدرخان) وثورة عبد الله النهري .. وبعد عدة حروب تولاها الانجليز في محاولات لعدم قيام دوله كردستان إنتهت بضم كردستان (العراق) إلي العراق وبعد عدة ثورات ثم في 11 مارس عام سنه 1970 التوقيع علي إتفاقية للحكم الذاتي للأكراد وفيها إعترفت الحكومة العراقية بالحقوق القومية للأكراد وتم تقديم ضمانات لمشاركتهم في الحكم ..

وفي عام سنة 1975 تلقت الحركة الكردية في العراق ضربه قاصمة ففي ذلك العام وقعت العراق وإيران اتفاقية (أطلق عليها إتفاقية الجزائر) وفيها وافق العراق علي إقتسام السيطرة علي منطقة شط العرب المتنازع عليها بين العراق وإيران وكان السبب في ذلك إزدياد قوة المقاومة العراقية وتصاعدها ضد الجيش العراقي خاصة بعد دعم أمريكا وإسرائيل للأكراد لإضعاف الجيش العراقي في مساندته سوريا في مواجهة إسرائيل وبعد إنتهاء المشكلة تخلت أمريكا وإسرائيل عن الأكراد وأدرك الأكراد أن الولايات المتحدة وإيران وإسرائيل لم يقصدوا نصره القضية الكردية ولكن كانت لهم أهداف أخري ؟! وفي عام 1979 قامت الثورة الإسلامية في إيران واشتعلت حرب السنوات الثماني بين العراق وإيران وشارك الأكراد

الجيش العراقى في حربه مع إيران وبعد غزو الكويت من العراق وإنتهاء حرب عاصفة الصحراء تخلي الأمريكيون عن الأكراد للمرة الثانية أمام الجيش العراقي ولكن بعد احتلال أمريكا للعراق عام 2003 حدث متغيران خطيران قلبا جميع الموازين رأساً علي عقب الأول هو سقوط دولة العراق وإنعدام سيطرة الحكومة المركزية علي شمال العراق والثاني عودة حزب العمال الكردستاني التركي إلي أقوي مما كان عليه ولكن أيضاً لم تتحقق الدولة الكردية حتى ألان لأن موازين القوي العالمية لم تسمح بذلك ..

وعودة إلي وجهة النظر التركية التي لا ترغب في أن تكون المشكلة الكردية عراقية (كما تري الولايات المتحدة) ولا ترغب أيضا في جعلها مشكلة تركية بكاملها (كما يري الاتحاد الأوروبي) ولكنها تريد أن تظل في إطار داخلي ومشكلة داخلية في كل من العراق وإيران وتركيا (مقسمة) لأن أي ميل هنا أو هناك إنما يعني قيام ولم شمل لدولة كردية تؤثر بالطبع علي حدود الأمن القومي كما تخطط له تركيا ؟! حيث أوضح رئيس الوزراء التركي رجب طبيب اردوغان عن نفاذ صبره جراء التهديدات المتواصلة من أراضي العراق مشدداً علي ضرورة أن يسيطر العراق علي أراضيه وذلك في الاجتماع المغلق الذي عقد بين اردوغان ووزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري في أنقره لبحث الوضع في شمال العراق علي ضوء إصرار أنقرة علي تطهير بؤرة الانفصاليين الأكراد من منطقة حزب العمال الكردستاني التي تشن ضربات ضد تركيا إنطلاقاً من الأراضي العراقية وأبلغ أردوغان رسالة للوزير العراقي لكي ينقلها إلي نظير العراقي نور المالكي قال فيها " هذه الأراضي هي أراضيكم ويجب تأمين السيطرة عليها وأنتم مضطرون لتطهيرها وإذا لم يحدث ذلك فسنطهرها نحن " وفي خطوة غير معتادة زار الرئيس التركي عبد الله جول يرافقه رئيس الأركان مدينة " يوكسا أوفا" الحدودية مع العراق جنوب شرق البلاد لتفقد وحدات القوات المسلحة التركية هناك مما يعني أمكانية تحويل الأقوال إلي أفعال أو بمعني أخر إمكانية فرض النظرية التركية علي المشكلة الكردية بموافقة بالطبع مع الموازين الدولية ..

الأحزاب الكردية

في السنة الثانية من بداية الألفية الثالثة وفي 3 نوفمبر/ تشرين الثاني 2002 تخوض تركيا انتخابات تشريعية مبكرة. ركزت المناورات الأخيرة لزعماء الأحزاب على كسب الأصوات الحائرة والتي تقدر بحوالي 25%،

وهي نسبة ليست بالقليلة. ولنا أن نتوقع خروج نتائج مفاجئة من صناديق الاقتراع إلى جانب ما أكدته استطلاعات الرأي.

فقد يتولى حزب العدالة والتنمية بزعامة رجب طيب أردوغان السلطة وحده حاصلا على ضعفي أصوات الحزب الثاني حزب الشعب الجمهوري، علما بأنه حزب لم يبلغ من العمر سوى سنة واحدة. ولا شك أنه من الغرابة بمكان أن يعلن حزب بهذه الحداثة انتصاره قبل الانتخاب بنسبة حوالي 30% كما تقول استطلاعات الرأي.

وقد لا نرى في البرلمان المقبل الأحزاب القديمة حيث يتم دفن كل من حزب اليسار الديمقراطي وحزب العمل القومي وحزب الوطن الأم في صندوق الاقتراع، وهي الأحزاب التي شكلت الائتلاف الحاكم بعد انتخابات 1999.

سيرسل الشعب إلى البرلمان الجديد أحزابا ووجوها جديدة على أمل أن تقوم بسياسات ومشروعات جديدة في سبيل نقل البلاد إلى حياة جديدة. والغريب أيضا أنه مع أننا أصبحنا على بعد خطوة من يوم الاقتراع، لكننا لا نعرف بعد الشخصية التي ستتولى منصب رئيس الوزراء في حال فوز حزب العدالة والتنمية بسبب الحظر المفروض على زعيمه، وما الحل الذي اتفق عليه أعضاء الحزب في ما بينهم حول هذا الشأن.

كما لا نعرف كيف تكون ردود أفعال القيادات الداخلية التي تعتبر نفسها حارسة ومراقبة للنظام منذ تأسيس الجمهورية، وكيف يكون رد فعلها إزاء انتصار حزب العدالة والتنمية الذي تعده امتدادا للحركة السياسية الإسلامية وإن أدخل الحزب بعض التعديلات في آرائه ومقولاته ومشروعاته وتصرفاته.

أضف إلى ذلك ردود الفعل الأميركية في ظل حملة عراقية حتمية أيا كانت صورتها، إلى جانب موقف الاتحاد الأوروبي الذي يراقب التحركات السياسية التركية عن كثب، بعد أن قام البرلمان التركي ببعض الإصلاحات الدستورية الهامة في الصيف الماضي وفقا للمعايير التي طلبها الاتحاد، أملا في تحديد موعد لبدء محادثات العضوية. صحيح أن الاتحاد اعتبر الإصلاحات الدستورية نجاحا كبيرا بالنسبة لتركيا، إلا أنه يطالبها بنقل هذه الإصلاحات إلى حيز التنفيذ.

قضية الأكراد

لا شك أن هناك تساؤلات عديدة لا يمكن حصرها في هذا الشأن. ولكن ما يهمنا في هذا المقال هو: إلى أين ستذهب أصوات المواطنين الأكراد.

كلمة الأكراد تحمل في طياتها حساسيات كثيرة في تركيا، إذ إن الرأي الحاكم والسائد في البلد هو أن القاسم المشترك بين المواطنين هو الجنسية التركية. فكلنا أتراك، وهذا يكفي. ومن ثم درجت الأحزاب السياسية والمؤسسات الرسمية في معالجتها وتناولها للقضية الكردية -بل وحرصت- على استخدام تعبير "مشكلة المنطقة الشرقية"، نظرا لحساسية التعبير الذي أشرنا إليه.

غير أن الواقع هو وجود عدد كبير من المواطنين الأكراد في تركيا منتشرين في جميع المدن والمحافظات ولا سيما في شرقي الأناضول، وجنوبي شرقي تركيا. ولا يقل عددهم عن ثمانية أو تسعة ملايين نسمة وهي تشكل 10%-11% من مجموع عدد السكان الذي يقترب من 80 مليونا. وقد اعتادت بعض الأوساط أن تطرح بين الحين والآخر أن عدد الأكراد الذين يعيشون داخل الحدود التركية يبلغ عشرين أو خمسة وعشرين مليون. غير أن الاعتقاد السائد هو أن هذه الأرقام مبالغ فيها، وقد طرحت لأغراض سياسية.

والجدير بالذكر أن دول الاتحاد الأوروبي تعتبر المواطنين الأكراد ضمن الأقليات، وتطالب تركيا بأن تقوم بمنح هذه الأقلية حقوقها الثقافية. إن منح الحقوق الثقافية حق إنساني لا شك في ذلك. غير أن معايير تحديد مفهوم الأقلية يختلف في تركيا وفي البلاد الإسلامية الأخرى عن البلاد الأوروبية. فالمعيار في ذلك ليس هو اختلاف اللغة والعرق، إنما هو اختلاف الدين. فالأكراد ليسوا أقلية في تركيا ولم يعتبرها أحد في البلد أقلية، حتى الأكراد أنفسهم، لأنهم مسلمون ملتزمون بشعائرهم الدينية. نعم هناك أقليات، ولكنها غير مسلمة، مثل الروم والأرمن والسريانيين.

لقد عاش الأكراد مع إخوانهم من الأتراك والعرب في جغرافية واحدة في حب وتسامح وإخاء تحت مظلة الوحدة الإسلامية. حتى الثورة التي قام بها الشيخ سعيد (يحدث لبس في كثير من الأحيان، فيظن البعض أن الشيخ سعيد هو بديع الزمان سعيد النورسي، وهذا ليس صحيحا) في شرقي الأناضول في الثلاثينيات في عهد رئاسة مصطفى كمال أتاترك لم تستند

إلى مشاعر عرقية، إنما ثار الأكراد آنذاك بعواطف دينية رافعين شعار "ضاع الدين". وبالفعل حكمت الدولة عليهم بالإعدام بذريعة أنهم يريدون إقامة دولة دينية.

أما النداءات التي طالبت بالحقوق الكردية فقد ظهرت وانتشرت بعد الثمانينيات. وكان لظهورها عوامل مختلفة بعضها يمتد إلى خارج البلاد ويهدف إلى إثارة القلق والانشقاق وقطع مسيرة التطور التركية وإنشاء دولة كردية مستقلة في المنطقة. كما يعود بعضها الآخر لأسباب داخلية.

فالبلاد الشرقية كما يؤكد المؤرخون تم إهمالها منذ الدولة العثمانية واستمر هذا الإهمال بعد تأسيس تركيا الحديثة. فهناك فرق شاسع بين غربي البلاد وشرقيها. فمعظم المصانع والجامعات والنشاط الاقتصادي تجده في مدن غربي البلاد، بينما تعيش المحافظات الشرقية حالة من التأخر في جميع المجالات من التعليم إلى الاقتصاد إلى الإعمار إلى الأمن... الحياة نشيطة وحيوية في المدن الغربية، أما المنطقة الشرقية فشبه ميتة. لقد واصل هذا القسم من البلد حياته في جو خال من التعليم والمؤسسات الاقتصادية. وساد الجهل والفقر بين الشعب، بينما كانت المدن الغربية حافلة بالجامعات والمصانع.

ومع أن الحكومات التي تولت دفة الحكم أدركت هذ الفرق بين الصورتين إلا أنها لم تأخذ التدابير اللازمة. فأحدث ذلك غضبا دفينا وحقدا مكتوما في قلوب مواطني الشرق وجهلا شاملا استغلته بعض الأوساط في ما بعد لتلعب لعبتها التي تريدها. وهو الأمر الذي مهد السبيل لنمو تكتلات وتنظيمات أوجعت رأس البلاد حتى اليوم.

لقد نجح المرحوم تورغوط أوزال رئيس الجمهورية الثامن في قراءة هذا المشهد. فقد كان من مدينة ملاطيا، وهي محافظة شرقية، ويقال إنه كان يرجع إلى أصول كردية. وأدرك أن هذه المناطق أصبحت مثل قنبلة موقوتة انفجرت أو كادت. وبعد أن فاز أوزال بانتخابات عام 1983 حينما كان زعيما لحزب الوطن الأم اتجه نحو المناطق الشرقية. أنشأ أضخم سدود البلاد على نهري دجلة والفرات، وقام بمشروع كبير عرف بمشروع الجنوبي الشرقي (GAP)، وأنشأ سد أتاتورك، وأخذ يستصلح أراضي المحافظات الشرقية. فأخذت الأراضي القاحلة تخضر، وانطلقت حملة زراعية واسعة النطاق. وابتسمت وجوه أهل المنطقة ودبت الحياة فيهم وبدؤوا يزرعون ويكسبون. فقد أنشأ تورغوط أوزال لهم بحرا في أرض

قاحلة، هو سد أتاتورك. ولكن المنطقة كانت واسعة جدا، ولم يكن يملك أوزال عصا سحرية يغير بها وجه المنطقة بلمسة واحدة. كان الأمر يحتاج إلى سنوات وأجيال وعمل جاد متواصل.

حزب العمال الكردستاني

في هذه الأثناء بدأت تظهر عمليات إرهابية لحزب العمال الكردستاني الذي أسسه عبد الله أوجلان في 27 نوفمبر/ تشرين الثاني 1978. كان أعضاء الحزب يطالبون بحقوق الأكراد المسلوبة ويدعون إلى إنشاء دولة كردية في شرقي البلاد. وكانت الحركة تتشكل من طلاب جامعيين ينتمون إلى أفكار شيوعية ماركسية. ومارس حزب العمال الكردستاني عمليات مسلحة في المنطقة، فحشد الجيش التركي أعدادا كبيرة من الجنود والمعدات لقلع جذور عناصر الحزب ومؤيديه من شرقي الأناضول. وعاشت المنطقة حالة الطوارئ مدة 15 عاما... عاشت حربا حقيقية، وبقيت مشكلة الشرق عقبة أمام تركيا في حملتها التقدمية. ولم يتراجع حزب العمال الكردستاني عن عملياته المسلحة وأحلامه في تأسيس دولة كردية طوال 15 عاما.

حاولت الحكومات التركية المتعاقبة حل المشكلة بقوة السلاح، ولكن هذه السياسة التي انتهجتها لم تتمكن من حل القضية، إنما عمقت جذورها وساد المنطقة جو من عدم الثقة المتبادلة من كلا الطرفين الدولة والأكراد. وأصبحت كلمة الكردي تعني الإرهابي بسبب العمليات التي كان يقوم بها حزب العمال الكردستاني. ولم يكن ضحية الحزب الجنود والمواطنين الأتراك فقط بل قتل آلاف من المواطنين الأكراد ممن امتنع عن مساندة الحزب في عملياته.

وهكذا استمرت معاناة منطقة الشرق، إذ لم تتمكن الدولة من تقديم أي خدمات للمنطقة بسبب الحرب، فأغلقت المدارس والجامعات والمصانع، وهاجر ما يقارب من ثلاثة ملايين مواطن إلى المحافظات الغربية بحثا عن الأمان وتم تخريب 3500 قرية ومزرعة بسبب المواجهات. أما من بقي ولم يهاجر مسكنه فقد عاش في خوف مستمر.

وازداد السكان فقرا وجهلا، والمنطقة تراجعا وإهمالا. كما أضحت المنطقة بسبب فراغ السلطة إحدى الطرق الهامة في تجارة المخدرات وبيع الأسلحة. أصبحت المحافظات الشرقية شبه معزولة عن العالم، وبات

الذهاب إلى أي مدينة من مدنها مخاطرة تحتاج إلى شجاعة.

تكبدت الدولة التركية أضرارا كبيرة من جراء محاربة عناصر حزب العمال الكردستاني. فقد كانت المصاريف السنوية من أسلحة ومعدات عسكرية لوجستية تقدر بـ7- 8.5 مليارات دولار، فضلا عن الخسائر الناجمة من تعطل نشاطات المنطقة بالكامل. كما تم حشد ونشر 50 ألف كوماندوز من الفرق الخاصة في شتى أنحاء المحافظات والجبال، و220 ألف جندي من المشاة، بالإضافة إلى 45 ألف حارس ومحارب تم انتخابهم من بين أبناء المنطقة. أما حجم مصاريف العمليات العسكرية التي تجاوزت إلى الحدود العراقية والإيرانية فلا أحد يعرف مقدارها. أما الخسارة البشرية التي ظهرت بسبب المواجهات والعمليات الإرهابية التي قام بها حزب العمال الكردستاني في شتى أنحاء تركيا فقد كانت فادحة حيث راح ضحيتها ما يقارب 30 ألف شخص بينهم الجنود والمواطنون الأكراد والأطفال والنساء الذين قتلتهم عناصر الحزب بسبب عدم تقديم الدعم لها.

وفي فبراير/ شباط 1999 تم القبض على عبد الله أوجلان زعيم حزب العمال الكردستاني في كينيا وحكم عليه بالإعدام بعد محاكمته في جزيرة إيمرلي. بيد أنه وبعد الإصلاحات الدستورية التي قام بها البرلمان التركي الصيف الماضي تم إلغاء عقوبة الإعدام وتحويلها إلى سجن مؤبد.

بعد القبض على عبد الله أوجلان أعلن حزب العمال الكردستاني أنه ألقى السلاح وتخلى عن المواجهة المسلحة. لقد غير الحزب أسلوب تعامله مع الدولة وقرر أن يواصل طريقه باستخدام أساليب سلمية وأراد أن يكون له وجود في الحياة السياسية التركية. ومن المؤكد أنه كان لأحداث 11 سبتمبر/ أيلول دور كبير في اتخاذ هذا القرار بعد أن أعلنت الولايات المتحدة حربا شاملة على كل ما أسمته إرهابا.

الأحزاب الكردية

لقد اعتبرت القيادات التركية الأحزاب التي شكلها الأكراد في أوقات مختلفة امتدادا سياسيا لحزب العمال الكردستاني، ومن ثم قامت محكمة الدستور بإغلاق هذه الأحزاب دائما. ولجأت الأحزاب اليسارية إلى عقد تحالفات مع الأحزاب الكردية لكسب مزيد من الأصوات والحصول على

مزيد من المقاعد في البرلمان. ولم يحبذ الشعب ولا القيادات العسكرية هذا العمل مهما كان الدافع. وفي عام 1988 طرد حزب الشعب الديمقراطي الاشتراكي بزعامة أردال إينونو سبعة من أعضائه الذين يعودون إلى جذور كردية بسبب مشاركتهم في مؤتمر انعقد في باريس من قبل المنظمات الكردية وحزب العمال الكردستاني.

وقد تمكن حزب العمل الشعبي (HEP) الذي تشكل عام 1991 من إدخال بعض أعضائه إلى البرلمان في انتخابات 1991 من خلال التحالف التي تم بينه وبين حزب الشعب الديمقراطي الاشتراكي (SHP) بزعامة أردال إينونو. فأثارت ليلى زانا إحدى نائبات الحزب مشكلة حين أرادت أن تقوم بقسم اليمين في البرلمان باللغة الكردية، فكانت ضجة كبيرة أوجعت رأس حزب الشعب الديمقراطي الاشتراكي كثيرا. وانتقدت أوساط سياسية وشعبية حزب (SHP) واعتبروه مسؤولا عن إدخال ممثلي الحركة الإرهابية إلى البرلمان. ولكن بعد فترة أغلقت محكمة الدستور التركية الحزب بدعوى ثبوت لقاء أعضائه بعبد الله أوجلان وأن الحزب امتداد لحزب العمال الكردستاني ويدعو إلى أفكار انفصالية، وتم وضع بعض أعضائه في السجن.

وفي عام 1993 تم تشكيل حزب آخر تحت اسم حزب العمل الديمقراطي (DEP)، غير أن محكمة الدستور أغلقته أيضا بدعوى أنه امتداد للحزب السابق. وفي عام 1995 قام مراد بوزلاق بتأسيس حزب ديمقراطية الشعب (HADEP) وخاض انتخابات 1995 وانتخابات 1999. ومع أنه لم يتمكن من تجاوز الحاجز المطلوب لدخول البرلمان (10%) فإنه حصل على نسبة لا تقل من الأصوات في المحافظات الشرقية. ففي انتخابات 1995 حصل على 4.17%، أما في انتخابات 1999 فقد حصل على 4.76% من الأصوات، وهي تشكل مليونا و 481 ألفا و117 صوتا. ولكن السلطات والمحاكم نظرت إلى الحزب بشك على الدوام واعتبرته الجناح السياسي لحزب العمال الكردستاني. ومن ثم أقامت محكمة الدستور التركية دعوى لإغلاق الحزب، وأعلن رئيس المحكمة أن القرار قد يصدر قبل انتخابات 3 نوفمبر/ تشرين الثاني 2002. ويرجح الخبراء أن يصدر الحكم بالإغلاق.

لذا اتجهت قيادة حزب ديمقراطية الشعب إلى تفعيل حزب آخر تم تأسيسه عام 1997 ولكنه لم يشارك في انتخابات 1999 دعما لحزب ديمقراطية

الشعب آنذلك. هذا الحزب هو حزب الشعب الديمقراطي (DEHAP) الذي أنهى تشكيلاته في 63 محافظة. وقد أصدرت لجنة الانتخابات العليا بأهلية الحزب لخوض الانتخابات القادمة، غير أنها قررت بعدم أهلية مراد بوزلاق زعيم حزب ديمقراطية الشعب للترشيح لعضوية البرلمان. وكان من المتوقع أن يقود بوزلاق حزب الشعب الديمقراطي في هذه الانتخابات. كما أعلن حزبان يساريان آخران هما الحزب الديمقراطي الاشتراكي (SDP) وحزب العمل (EMEP) إلى جانب حزب ديمقراطية الشعب (HADEP) بأنهما يؤيدان حزب الشعب الديمقراطي (DEHAP) بزعامة محمد عباس أوغلو.

تشير استطلاعات الرأي إلى أن أصوات حزب الشعب الديمقراطي في ازدياد بالنسبة للانتخابات السابقة إلا أنه من الصعب أن يجتاز الحاجز الانتخابي، رغم تصريحات قياداته بأن الحاجز لن يشكل عقبة بالنسبة لهم. ففي انتخابات 1995 كان الحزب في المركز الثاني بالمنطقة الجنوبية الشرقية، وفي المركز الرابع بالمنطقة الشرقية، وفي المركز السابع عامة، بينما ارتفعت أصواته في انتخابات 1999 ففاز بالمركز الأول في المنطقة الجنوبية الشرقية، والمركز الثاني في المنطقة الشرقية، ولم يتغير موقعه العام فكان في المركز السابع.

إذا تمكن حزب الشعب الديمقراطي من اجتياز نسبة 10% في انتخابات نوفمبر/ تشرين الثاني 2002 فلا شك أنه سوف يحصل على عدد جيد من المقاعد البرلمانية في المحافظات الشرقية. ولكن إن بقي تحت الحاجز فسوف يكسب المقاعد حزب آخر تجاوز الحاجز.

هناك انتقادات توجه إلى حزب الشعب الديمقراطي، أولها يجب عليه أن يتخلص من صفته كحزب يمثل الأكراد فقط، بل عليه أن يقدم نفسه كحزب يمثل جميع الشعب ويطلب أصوات الجميع. كما عليه أن يتخلص من أفكاره الشيوعية الأيديولوجية ويسعى إلى توسيع دائرة ناخبيه. وعليه أيضا أن يصرح بشدة بأنه لا يمثل الجناح السياسي لحزب العمال الكردستاني، أي عليه أن يزيل ظل الحركة الإرهابية من فوقه، لكي يحظى بثقة الشعب التركي.

ورغم أن بعض القيادات قد صرحوا بذلك وادعوا أنهم لا يريدون سوى المشاركة في النشاط السياسي إلا أن مظاهرات الحزب تنقلب في كثير من الأحيان إلى اجتماعات تعاد فيها شعارات وأعلام وأحلام حزب العمال الكردستاني. ولهذا السبب لم يجرؤ أي حزب من الأحزاب الكبيرة يمينيا أو

يساريا على عقد تحالف مع حزب الشعب الديمقراطي خشية أن يتعرض لانتقاده حادة.

يقول المراقبون إن سعي المواطنين الأكراد إلى تأييد حزب الشعب الديمقراطي إنما ينبع بالدرجة الأولى من شعور الغضب ورد الفعل للدولة بسبب الإهمال والضياع والسياسات الخاطئة التي انتهجتها في المنطقة طوال السنوات الماضية. ويؤكد الخبراء أن 20% فقط من الناخبين في المناطق الشرقية يؤيدون حزب الشعب الديمقراطي بإيمان، و20% يرفضونه، أما الـ60% الباقون فهم يدلون بآرائهم لهذا الحزب نقمة على إهمال الأحزاب الأخرى وسياسات الدولة.

ومن الخطأ بمكان الاعتقاد بأن جميع المواطنين الأكراد قد خرجوا على الحكومات التركية وشاركوا في العمليات الإرهابية أو أيدوها أو أرادوا إقامة دولة كردية مستقلة في شرقي الأناضول. فأهل المنطقة قد سئموا الحرب والدمار والهجرة ولا يريدون الآن سوى الاستقرار والحرية والاستثمار وتحسن الأوضاع الاقتصادية. وإذا تمكن أي حزب من الأحزاب من تقديم مطالبهم فسوف يميلون نحوه بالتأكيد، طبعا بعد أن تعود الأمور في المنطقة إلى وضعها الطبيعي من الاستقرار والهدوء التام والثقة المتبادلة، وذلك يحتاج إلى وقت.

فقد أدرك حتى الأكراد الذين خرجوا إلى الجبال من خلال التجارب القاسية أن المواجهة العسكرية ليست هي الحل، كما أنه ليس من الممكن مواجهة القوات المسلحة التركية المتدربة. إن أكثر الشباب ينتقدون آراء حزب الشعب الديمقراطي الأيديولوجية، ويطلبون تعليما وعملا وخلاصا من البطالة.

ومن الجدير بالذكر أن الأحزاب السياسية الأخرى عندما ترشح أعضاءها في المنطقة تلجأ إلى اختيارهم من الأكراد، لأنها تعرف أنها لن تتمكن من الحصول على الأصوات إن لم تفعل ذلك. كما تقوم بترشيح بعض أعضائها الذين يعودون إلى جذور كردية من محافظات أخرى خارج المنطقة الشرقية، مثل أنطاليا وإستنبول وأنقرة. ومن ثم يمكننا القول إن نسبة أعضاء الأكراد الذين يتم ترشيحهم في جميع الأحزاب تبلغ 35%-40%، وهذا عدد ليس بالقليل. إذن يتم تمثيل الوجود الكردي في البرلمان عبر الأحزاب الأخرى أيضا ولا ينحصر على حزب العمل الديمقراطي. ويجب الإشارة أيضا إلى نظام القبائل والعشائر الذي لا يزال قائما في المناطق

الشرقية. فالحزب الذي يرشح عضوه من العشائر الكبيرة يضمن كمية كبيرة من الأصوات. لذلك علينا ألا ننسى تأثير زعماء العشائر أيضا في العملية الانتخابية.

منذ ثلاث سنوات يسود المنطقة جو من السلام والهدوء والأمان. لقد انتهت المواجهات المسلحة وأخذت الحياة تدب في المنطقة. ورفعت الحكومة حالة الطوارئ وبدأت ترسل خدماتها المختلفة إلى هناك. أما الإصلاحات الدستورية التي قام بها البرلمان في الصيف الماضي بشأن منح حرية استخدام اللغات المحلية في الإذاعة والتلفزيون والتعليم والإعلام فذلك يعد خطوة جيدة في سبيل احتضان الدولة لمواطنيها الأكراد. علما بأن نقل هذه القوانين إلى حيز التطبيق لن يخلو من بعض المصاعب. ولكن لا بد أن تستمر الإصلاحات.

إن المشكلة العظمى الذي يواجهها المواطن الكردي في المنطقة هي الفقر والبطالة والأزمة الاقتصادية. الشباب يبحثون عن أعمال يقيتون بها عائلاتهم. ومن ثم عندما ترتفع عن رؤوسهم الضغوط التي تؤثر على إدلاء أصواتهم فسوف يلجؤون إلى الجهة التي تقدم لهم حرية ثقافية وحياة اقتصادية جيدة. فقد يفوز حزب الشعب الديمقراطي بأغلبية أصوات المنطقة في هذه الانتخابات أيضا كردود فعل أو بسبب ضغوط خارجية أو أشياء أخرى، إلا أن الصورة ستتغير في الانتخابات التالية حتما ويدلي الناخب بصوته للحزب الذي يقدم له مستقبلا أفضل.

لقد كان للقبض على عبد الله أوجلان الدور الرئيسي في تشكيل خارطة انتخابات 1999، أما في انتخابات 2002 فسوف يشكل الخارطة عنصران أساسيان: الاقتصاد والانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

أردوغان يعتذر عن مقتل آلاف الأكراد

خلال حملة وقعت بين 1936 و1939

اعتذر رئيس وزراء تركيا رجب طيب أردوغان عن حملة أمنية قتل فيها آلاف الأكراد بأربعينياتِ القرن الماضي، في أول خطوة من نوعها يقدم عليها سياسي تركي بالحكم، وهو اعتذار يأتي في وقت تتوتر فيه علاقة أنقرة مع الأكراد بسبب حملة عسكرية أعقبت هجوما داميا شنه حزب

العمال الكردستاني.

وقال أردوغان في خطابه إلى حزب العدالة والتنمية الحاكم بأنقرة نقله التلفزيون الرسمي "إذا كانت هناك حاجة إلى الاعتذار أصالة عن الدولة، وإذا وجد مثل هذا العُرف، فإنني سأعتذر، وها أنا أعتذر".

وقد قتل بالحملة -التي كانت ردا على تمرد كردي وجرت بين 1936 و1939 واستهدفت بلدة كانت تعرف بدرسيم (وتسمى حاليا تونسلي)- 13800 شخص وفق وثيقة رسمية تعود إلى ذلك التاريخ.

الحزب الجمهوري

وطلب أردوغان من الحزب الرئيسي بالمعارضة "حزب الشعب الجمهوري" –الذي شكّله كمال أتاتورك مؤسس تركيا الحديثة- أن يتحمل مسؤوليته عن الحملة، لأنه كان في الحكم حينها.

وكان أردوغان يرد على تصريحات لنائب عن هذا الحزب يدعى كمال كيليكداروغلو، تحدث عن الحاجة إلى تسليط الضوء على "التمرد" الذي وقع حينها، والذي هلك فيه نحو عشرة من أفراد عائلته التي تنحدر من قرية تونسلي.

واعتذار أردوغان سابقة في تاريخ تركيا الحديثة، إذ تثير الدعوة إلى اعتذارات رسمية عن الحملات التي تقول بعض الأقليات (مثل الأرمن) إنها استهدفتها وألحقت بها أذى كبيرا، حساسية كبيرة لدى التيارات القومية التركية.

وجاء اعتذار أردوغان في وقت يشن فيه الجيش التركي حملة كبيرة ضد العمال الكردستاني الذي يطالب بحكم ذاتي لـالأكراد في جنوب شرق البلاد.

وجاءت الحملة الأمنية الحالية –التي تقول السلطات إنها انتهت بمقتل عشرات من أفراد حزب العمال- بعد هجومين عنيفين تبناهما التنظيم وقتل فيهما نحو ثلاثين جنديا تركيا.

أردوغان لا يستبعد مفاوضة الكردستاني

لم يستبعد رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان إعادة تحريك المحادثات مع حزب العمال الكردستاني في لهجة تختلف عن تصريحات سابقة حث فيها أكراد تركيا على الانتفاضة ضد هذا الحزب المحظور في البلاد باعتباره تنظيما إرهابيا.

فقد أكد أردوغان في الطائرة التي كانت تعيده من زيارة إلى مقدونيا أن محادثات سرية جرت مع العمال الكردستاني الذي يخوض حركة مسلحة ضد أنقرة منذ العام 1984.

وكشف للصحافيين أنه أرسل حقان فيدان رئيس جهاز الاستخبارات كموفد خاص له في المحادثات التي جرت في أوسلو ونشرت الصحافة تسريبات عنها وأثارت في حينه احتجاجات في صفوف المعارضة.

وقال رئيس الوزراء التركي إن الحوار مع حزب العمال الكردستاني -الذي انقطع بعدما كثف المتمردون هجماتهم مؤخرا- يمكن أن يستأنف إذا دعت الحاجة، مشيرا إلى أنه لم يصدم بالتسريب عن محادثات السابقة بقوله "إن جهاز المخابرات أنشأ لهذه المسائل".

يشار إلى أن الكشف عن إجراء اتصالات بين الحكومة والعمال الكردستاني أثار صدمة في تركيا نظرا لأن حكومة العدالة والتنمية كانت ترفض في مواقفها الرسمية المعلنة إمكانية التفاوض مع من تسميهم بالإرهابيين.

لهجة مختلفة

وتأتي تصريحات أردوغان مختلفة تماما عن دعوته السابقه أكراد تركيا إلى القيام بانتفاضة في وجه حزب العمال الكردستاني عندما وصف الأخير بأنه "وحشي" بسبب مهاجمته للمساجد وقتله لمدنيين.

وجاء ذلك في خطاب ألقاه أردوغان أمام حزب العدالة والتنمية ناشد فيه من دعاهم "أخوانه من أصل كردي" بالانتفاضة ضد العمال الكردستاني الذي اتهمه أردوغان بمهاجمة دور العبادة بالقذائف

الصاروخية.

وشدد رئيس الوزراء التركي في خطابه على ضرورة التعاون بين الشعب والحكومة لعزل عناصر العمال الكردستاني.

هجوم باتمان

يشار إلى أن خطاب أرودغان جاء بعد قتل عناصر الحزب الكردي - بحسب الرواية التركية الرسمية- سيدة حبلى وابنتها بمحافظة باتمان جنوبي شرقي البلاد كما أصابوا زوجها وابنتهما وثلاثة من أفراد الشرطة، بينما لقي ثلاثة من منفذي الهجوم حتفهم في الحادث.

وقالت مصادر إعلامية تركية إن حادث باتمان ليس الأول من نوعه الذي يستهدف فيه الحزب مدنيين مشيرة إلى أن 15 مدنيا لقوا حتفهم بانفجار سيارة ملغومة في أنقرة كما أصيب 58 آخرون في هجمات نفذها العمال الكردستاني
يشار إلى أن جماعة -تطلق على نفسها اسم "حركة صقور كردستان" ويعتقد بصلتها بحزب العمال الكردستاني- هي التي أعلنت مسؤوليتها عن تفجير السيارة الملغومة في أنقرة وهددت بشن المزيد من الهجمات.

الفصل التاسع

تركيا الحائرة بين العمامة والبرنيطة
زيارة بابا الفاتيكان..
الأهداف المعلنة.. والخفية !

لو أن تصريحات بابا الفاتيكان حول الإسلام كانت دينية في أغراضها ومضمونها لكانت هينة وبسيطة وردود أفعالها ولا يحتاج حتى إلي اعتذار لأنها يمكن الرد عليها " قل تعالوا إلي كلمة سواء " .. أي الحوار بالكلمة الهادئة بل والوحدة أيضاً في الهدف وهي توحيد الإله الواحد الذي يؤمن به الجميع أي توحيد الله الواحد القهار ووفق إطار عام وشامل وهو " لكم دينكم ولي دين" ومن هنا كانت النصوص واضحة وصريحة في التحاور بالكلمة وليس الدعوة إلي القتل أو التدمير أو الإرهاب.. وهي نصوص صريحة لا تدخل في منظور الأفكار أو الابتكار وبعيدة أيضاً عن الأوهام أو الإلهام.. ولكن وكما آري فإنها تصريحات وإن كانت دينية في شكلها العام ولكنها في الحقيقة والمضمون لعبة سياسية! .

وطالما هي كذلك فتعال معي عزيزي القارئ لتبحر معنا وفق قواعد وأصول اللعبة السياسية أو النظر إليها بالمنظور السياسي، حيث تبع ذلك واستكمالاً له جاء دخول البابا للأراضي التركية وفي هذا التوقيت بالذات والذي أعتبره قمة في التخطيط السياسي الناجح والسليم.. بل وأعتبره أنجح عمل سياسي مخطط خلال عام 2006، وذلك لأنه بعد أحداث أزمة تصريحات الباب عن الإسلام كان لابد وأن يدخل أرض دولة إسلامية ويقابل بحفاوة وأمان أيضاً.. وكنوع من تثبيت النصر الذي تحقق برفض البابا الاعتذار أو الرجوع عن أقواله وهو ليس بالشخص العادي أو غير الدارس لأصول الأديان ولكنه الرمز والمرجعية ! وتم البحث في الكرة الأرضية عن أرض يعلن فيها عن تواجد البابا .. وسرعان ما وقفت عقارب الساعة علي الأرض التركية .. فهي الأنسب والأقرب إلي القمة وأعني قمة النجاح، فهي في حالة عشق دائم وراء (الحب الضائع) في أوروبا تلهث حول دعوي (اثبات النسب) للإتحاد الأوربي ، وهي مازالت في عمق النفس وقريباً من التاريخ كانت حامل لواء الإسلام ورمز الخلافة لدرجة أن الأستاذ " هيكل" ذكرنا بأننا كنا

ندفع مبلغا للخلافة وقدره عشرون ألف جنيه سنوياً رمزاً للتبعية وإيماناً بها ! وذلك حتى قامت ثورة يوليو عام 1952.

حائرة بين العمامة والبرنيطة

أري عزيزي القارئ أنه لكي نبحث وفق هذا المعني أو الإطار فيجب أن نعلم أنه يوجد أسلوب علي المستوي الشعبي في تركيا وأسلوب ثان علي مستوي المسئولين والعسكريين وأسلوب ثالث علي مستوي المفكرين أو واضعي الإستراتيجية التركية.. ولكن الهدف واحد وهو الانضمام للاتحاد الأوروبي وسوف أشمل بالتحليل تركيا بوجه عام قاصدا ومتعمداً وبوجه عام أيضاً فإن المجتمع التركي يقبل الحضارة الغربية " لا المجتمع الغربي" وهو مندمج حضارياً مختلف مجتمعيا ومن هنا كان الخلاف والاختلاف غير القابل لذوبان في البوتقة الأوروبية علي الأقل حتى الآن " لا يمكنهم هضمه كما لا يمكنه هضمهم" .. وواضعوا الإستراتيجية التركية يبحثون عن الممكن في الدخول إلي القلب الأوروبي معتبرين أن الممكن إنما هو ببساطة " الأفكار المجردة" التي لم تتحقق وتتجسد بعد في الواقع.. و هي قابلة لأن تتحقق وتتجسد علي أرض الواقع عند توافر الظروف المناسبة.. أما الواقع فهو يمثل الأفكار المجردة وتجسدت علي أرض الواقع وصارت بالفعل في الواقع العملي المحسوس.. وأما المستحيل فيري بعض الفلاسفة والكتاب بأنه لا يوجد شئ مستحيل فكل شئ ممكن لأن الواقع العملي الذي يحيط بنا ليس ثابتاً ولا نهائياً. وإنما هو في حالة تغير وتحول بصفة مستمرة وهذا هو ما يجعل كل شئ ممكنا و محتملا وقابلاً للتحقيق والتجسيد في الواقع .. وباختصار (المستحيل هو الممكن المضاد للواقع) .. والإرادة التركية هنا إنما تعني وتتضمن الأيمان الوجداني بالفكرة والهدف والحماسة العاطفية والعزيمة والتصميم علي تحقيق وبلوغ هذا الهدف.. إن كل ذلك إنما يمثل مراحل تحقيق وتجسيم "الفكرة" علي مستوي الأمة.. ويعتمد الفكر التركي ايضاً علي أن الأمر الواقع ليس قدراً وليس حتمية تاريخية .. فمن الممكن أن يتغير ويصير في صالحنا وليس ضدنا .. ومن الناحية الفسيولوجية فيري الفكر التركي أنه يجب أن يتحرك بالضرورة الحيوية في الاتجاه الذي يساعد علي التخلص من اختلال التوازن واستعادة وتحقيق التوازن الحيوي النسبي في مجال العقل علي مستوي الأمة .. حيث أن عالمنا اليوم هو عالم الممكنات والاحتمالات وليس عالم المستحيلات .. والذي ينقصنا فقط هو الاختيار في الوقت المناسب للانتقال من مرحلة الممكن والمحتمل

والمجرد إلي الواقع المجسد ليصبح واقعاً عملياً محسوساً.. وإلي هذا الحد و علي ما يبدو ويظهر من بواطن الأمور وظاهرها.. ولكنني أري أيضاً أن تركيا تقف حائرة بين سهمي الزمان وفقاً لنظرية " ستيفن هوكنج" الذي يشغل الكرسي الذي كان يشغله "نيوتن" ذات مرة في جامعة " كمبردج" ونظريته تعني أن اتجاه الزمان في الماضي يشير إلي اتجاه والمستقبل يشير إلي اتجاه عكسي .. وعندما ينظر الإنسان أو الأمة إلي الزمان الحقيقي يكون هناك فارق كبير جداً بين الاتجاهين الأمامي والخلفي ويبقي التساؤل : من أين يأتي هذا الفارق بين الماضي والمستقبل ؟ ثم يتبعه تساؤل آخر : ولماذا تذكر الماضي وليس المستقبل ..؟! و لكن هذا يتوقف علي منظور الآخرين لتركيا حيث تقف في نقطة التعادل بين السهمين الماضي والمستقبل.. حائرة بين العمامة والبرنيطة ووفق الجاذبية نحو " الحب الضائع" سائرة في دروب المحادثات والمباحثات في دعوي "إثبات النسب" وتتويج الحب بالزواج والاعتراف الشرعي بالاتحاد الأوروبي

النظرة الاوربية

ومازالت أوروبا كما أري و اعتقد تعاني أن القاعدة الأولي للاحتكاك كانت من خلال الشام الأموي أما القاعدة الثانية فكانت عبر الاناضول العثماني و الخطأ الاوروبي هنا هو انه بعد الاتجاه الوحدوي الاوروبي من خلال الاتحاد الاوروبي بعد صراعات رهيبة وذكريات مريرة بين أعضائه فإن الدور يجب وينبغي أن يأتي علي الشرق الأوسط ليكون التقارب الأوروبي الشرق أوسطي .. وربما يكون ذلك لمصلحة الطرفين .. و ربما يقول بعض الساسة الأوروبيين إن الإسلام وحضارة الغرب نقيضان لا يمكن أن يجتمعا .. ليكن ، ولكن يبقي الاثنان وقد جاء كل منهما ليبقي ولابد أن يتعايشا إلي الأبد علي الكرة الأرضية ، ولا يمكن نفي أحدهما، إذاً التعايش محتوم عليهما مقدور ومقرر.. أما الصراع فعبث لأنه لن ينتهي ولن ينهي وجود أي منهما ! وقد وقع الغرب في خطأ أخر أراه عميقا ولا يسير في الاتجاه الصحيح حيث كان الغرب يتحدث عن الخطر الأحمر فابتكر الآن الخطر الأخضر، وبعد عن أساس العلاقة السليمة وهو الاحترام المتبادل والإخاء المتبادل، بل والرخاء المتبادل بعيداً عن المظهر سواء كان عمامة أو برنيطة .. أو لونا أخضر إسلاميا أو أحمر شيوعيا .. وبقيت نظرة أوروبية خفية أراها بين السطور وفراغات الجمل والكلمات وبدون تصريحات صريحة.. وهي أن أوروبا مازالت تنظر إلي تركيا علي أنها حلقة

الوصل من ناحية التميز العنصري أو بنظرة عنصرية علي اعتبار أن تركيا حلقة الوصل بين الجنس الأبيض والجنس الأصفر في عمق آسيا.

أنجح عملية سياسية

ومع الاعتذار لكتاب " العقد النفسية التي تحكم الشرق الأوسط " ولكاتبه الأستاذ هيكل .. فقد ظهرت عقد جديدة في الشرق الأوسط .. فمفتاح الحركة العربية يبدأ بالتلويح بحل " المشكلة الفلسطينية" وكأنها باب الدخول إلي أصعب أبواب الشرق الأوسط وفق نظرية " افتح يا سمسم" وكذلك أيضاً مفتاح الحركة التركية يبدأ مع الإسراع أو الإيقاف لمباحثات انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي أيضاً .. ووفق متغيرات الأحداث الحالية والتي أظهرت خطأ التقدير لقواعد اللعبة السياسية الحالية في الشرق الأوسط فقد ظهر تحليل في مجلة " نيوزويك" الأمريكية بالتلميح أو التلويح بانقلاب عسكري في تركيا وهو تحليل جانبه التوفيق لأصول وقواعد اللعبة التي تقتضي العمل علي مرحلتين أساسيتين وهي أن يتكفل المعتدلون بقوي التطرف وفق مراقبة غربية لقواعد اللعبة وأصول التعامل ثم تأتي الخطوة التالية بالتعامل مع المعتدلين وهي أهون بكثير من التعامل مع التطرف والإرهاب وليتكفل أهل المنطقة يبعضهم البعض .. وقد أستند التحليل في " نيوزويك" علي أن الجيش التركي هو الحامي الوحدوي للديمقراطية العلمانية التركية ومبادئ " أتاتورك" وهذا علي الغرم من أن معظم الأتراك يتفقون علي أن رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان هو أكثر اعتدالاً من سلفه الذي أطيح به " نجم الدين أربكان" وقد ردد هذا القول رئيس هيئة الأركان التركي وهو متشدد في علمانيته ويدعي الجنرال " يساربيوكانيت" الذي أعلن أن "أيديولوجيا" أتاتورك تتعرض للهجوم وأن تركيا مهددة بالأصولية الإسلامية وقد عبر أيضاً عن أن الجيش التركي قلق بشكل خاص إزاء كيفية تعامل الاتحاد الأوروبي مع مشكلته الإسلامية الخاصة، فالحكومات الأوروبية تحاول استرضاء الإسلاميين المعتدلين والهدف الظاهر هو تحويلهم إلي حلفاء يحاربون الإرهاب المحلي .. ويقول النقاد الأتراك أن هذا الأسلوب قد ينجح علي المدى القصير ولكن تلك الإستراتيجية قد تكون غير مقبولة من الأتراك الذين يخشون من أنه في اللحظة التي تفتح فيها الأبواب للإسلاميين المعتدلين فإن قوي راديكالية أخري سوف تدخل وتمسك بزمام الحكم! .

ويبقي ما تعانيه تركيا من علاقة أمريكا مع أكراد العراق وهو الخط الأحمر الأخير في علاقة تركيا مع العالم بأسره ؟! فهل تعني كتابة

حروف اللغة التركية باللاتيني يلغي هويتها ؟ .. وهل يمكن أن تعود إلي الحروف العربية؟

وعودة إلي زيارة البابا التي كانت الواجهة والمدخل للحديث في اختيار البلد الذي يزوره البابا الفاتيكاني بعد تصريحاته في ألمانيا وقد واصل البابا زيارته إلي تركيا وسط أجواء إيجابية غير متوقعة .. وتوجه في البداية إلي مدينة " أزمير" الواقعة غرب تركيا علي بحر ايجه للقيام بالطقوس الدينية في بيت " العذراء مريم" ببلدة أفسس التي دعي إليها 1500 مواطن مسيحي تركي علي أن يتوجه بعد ذلك إلي اسطنبول وقال البابا أنه توجه إلي بيت " العذراء مريم" في رحلة حج علي خطي أسلافه.

ألست معي عزيزي القارئ في اعتبار أنها انجح عملية سياسية مخططة خلال عام 2006 ؟! وقد جاءت مع ذلك تصريحاته خلال اجتماع مع مدير الشئون الدينية في تركيا " علي بردق أوغلو" بصيغة تصالحيه بخلاف كلمته في " ريجينسبيرج" التي اقتبس فيها عن إمبراطور بيزنطي يقول عن الإسلام بأنه عنيف وغير منطقي واقتبس كلمة للبابا جريجوري السابع.. و " لكل مقام مقال" بل وهدف أيضاً وقد كان في استقبال البابا فور وصوله إلي مطار أنقرة رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان وهي المرة الأولي التي يخرج فيها لاستقبال أحد ضيوف تركيا وعقد جلسة ثنائية مع البابا في قاعة كبار الزوار وكان أردوغان قد قال في اجتماع للكتلة البرلمانية لحزبه " العدالة والتنمية" في انقره قبل استقبال البابا إن تركيا تولي أهمية كبري لزيارة البابا وأنها سوف تسهم في السلام العالمي وقد أتت الزيارة إلي تركيا وسط رفض شعبي واضح من جميع التيارات التركية بسبب عدم اعتذار البابا صراحة حتى الأن عن تصريحاته التي أطلقها في منتصف سبتمبر 2006 في محاضرة بإحدى الجامعات الألمانية وزاد من حدة الأجواء الاحتجاجية التركية موقف البابا الرافض قبل جلوسه علي كرسي البابوية لانضمام تركيا إلي الاتحاد الأوروبي فضلاً عن أن زيارته لتركيا تتضمن ذهابه إلي كنيسة أيا صوفيا التي تحولت إلي متحف منذ زمن بعيد ولا تمارس فيها أية طقوس دينية وهو ما يثير قلق قطاع عريض من الشارع التركي المتمثل في القوميين الأتراك الذين يخشون من أن يكون قصد البابا من هذه الزيارة هو إحياء التراث البيزنطي المسيحي.

بقي أن تعلم عزيزي القارئ أن تركيا قامت باستقبال حافل علي أرض الخلافة العثمانية.. وقام الاتحاد الأوروبي بإيقاف محادثات انضمام تركيا للاتحاد الأوربي! وهي ليست نكته بل حقيقة..
فقد أعلنت فنلندا فشل المباحثات بين الاتحاد الأوربي وتركيا بشأن قبرص وذلك بينما تسابق تركيا الزمن لإنقاذ مستقبل مفاوضات انضمامها للاتحاد قبل انتهاء المهلة التي حددتها لها فنلندا رئيسة الاتحاد حالياً والتي مدتها حتى يوم 11 ديسمبر 2006 وفشل الاتحاد الأوربي في إقناع تركيا بتغيير موقفها تجاه قبرص فيما يعرض محاولات أنقرة للحصول علي عضوية الاتحاد إلي الخطر وقد أمهلت فنلندا أنقرة حتى يوم السادس من ديسمبر لتفح موانيها ومطاراتها أمام قبرص دون شروط مسبقة ورفع الحظ المفروض علي جمهورية شمال قبرص التركية وإلا بحث الاتحاد إمكانية تجميد مفاوضات تركيا إليه وقد تم مد المدة خمسة أيام أخري تنتهي في الحادي عشر من ديسمبر 2006 وسوف يصدر زعماء الاتحاد الذين سيلتقون في بروكسل يومي 14 و 15 من ديسمبر ويتخذون قراراً نهائياً حول مستقبل انضمام تركيا للاتحاد ويقول المثل الشعبي المصري " آخر خدمة الغز ... عدم الانضمام!.
ملحوظة: رأيت البابا يقف بجوار مفتي تركيا وكأنه يصلي معه في اتجاه القبلة!
و أقول للبابا فهل تعتذر عما قلته في حقي وعفا الله عما سلف وشأني وشأنك أفضل وأحسن (فهنا تتساوي الرءوس والأكتاف).. أم أن ترفض الاعتذار وهذا إقرار منك بما قلته.. وعندما تبدو متسامحاً معي وودوداً رغم ذلك فهو علو في شأنك وخفض في شأني أكثر ..
وهنا لا تتساوي الرؤوس .. بل إمعان في الظلم ألست معي في ذلك ؟! .

الـفـصـل الـعـاشـر

العالم في عيون تركيا

لم أسمع أو أعرف أن أحداً وقف أمام المرآه ورسم شخصية (بورتريه) لأنها تعني نقل القشرة فقط وسط انعكاسات ضوئية دون الدخول أو إدراك المضمون لتلك الشخصية ولم يفلح أن رسم أحد الشخصية أيضا من خلال نقل صوره فوتوغرافية لأنها تحوي نقل القشرة الخارجية ويعطي المضمون أو المحتوي في فترة زمنية بسيطة جداً لا تعبر عن الواقع الدائم والملامح الثابتة وواقعة تحت ضغط ورؤية ورغبه المصور ذاته وفي مده صغيرة جدا هي زمن ومضة الكاميرا في يد المصور نحو تلك الشخصية وما تعنيه صوره البورترية الزيتية مثلاً هو دوام الشخصية لأنها لا تعني حاله الشخصية وقت وميض الكاميرا فقط ولا تكون بذلك نقلاً للشكل الخارجي دون المضمون الدائم والمعبر وهي تعني التعبير عن الشخصية من خلال الفهم وربط الشكل بالمضمون كما درسه واستوعب تبعاته الرسام نفسه مستعيناً بأدوات وألوان مختلفة لزوم دقة التعبير وإيصال القشرة الخارجية بالمضمون والمحتوي فتجعلها خالدة بقدر الدقة والتعبير لنظرة دائمة وواعية ومتقبلة أيضاً .. وهذا ما فعله الدكتور أحمد داود اوغلو مهندس وراسم الشخصية التركية ليوضحها فكيف تري تركيا العالم أو بمعنى أخر هو العالم في عيون تركيا .

حيث يقول أنه توفر لصانعي السياسة التركية إمكانية الوصول إلي جذور الميراث التاريخي مره أخري نتيجة ظهور تأثير الديناميكية الاجتماعية الثقافية علي النظام السياسي وبنائه بشكل كبير في مرحلة ما بعد الحرب الباردة وبدأ ذلك في الأرضيات الثقافية التي تستند إليها التيارات السياسية المتراوحة بين الصعود والهبوط بإيقاعات سريعة .. إن التيارات التي برزت في الرؤية السياسية التركية الداخلية والخارجية والمناخ

الاجتماعي الثقافي الذي شكلته هذه التيارات في مرحلة ما بعد الحرب الباردة كل هذا وفر إمكانية الوصول إلي جذور الميراث التاريخي مره أخري .. مما عاشته تركيا في الحقبة الماضية من جهة ووضعها الدولي ومن جهة المناخ الثقافي السياسي علي المستوي الداخلي هو موجز مصغر لما ظهر خلال قرن كامل طوال المرحلة التي تمتد منذ القرن التاسع عشر والذي يعتبر أطول قرن وطأة علي الدولة العثمانية وحتى القرن العشرين .. وشهدت المعايير الخارجية التي تحدد الوضع الدولي (المكانة والموقع) بأبعادها السياسية والاقتصادية والأمنية كذلك تغيرات هامة مع إنهيار البنية السياسية ثنائية القطب والتي شكلت الخاصية الأساسية للنظام الدولي خلال الحرب الباردة وأفرزت العناصر الجديدة التي ظهرت في النظام والقانون الدوليين والتي تعكس التأرجح بين مراكز القوة العالمية وضعاً سياسياً دولياً جديداً يفرض إعادة قراءة وضع تركيا في الساحة الدولية – وتنقسم الدول من جهة وضعها في النظام الدولي حسب قدرتها الإستراتيجية وقدرتها علي المناورة السياسية إلي أربعة أصناف هي الدول العظمي ، والدول ألكبري ، والقوي الإقليمية والدول الصغيرة ، ويرتبط تحديد العلاقات الثنائية أو العلاقات متعددة الأطراف في النظام الدولي بشكل مباشر مع الوضع في هذه الصورة البيانية .. وظهرت هذه الصورة البيانية بوضوح بعد الحرب العالمية الثانية بشكل خاص حيث ساد فيها نموذج العلاقات الدولية ذات القطبين حيث قامت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي كقوتين عظميين بضبط ساحات المرونة التكتيكية وتوسيع ساحة مناطق مصالحها الإستراتيجية من جهة أخري أما الدول ألكبري مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا والصين واليابان فقد حددت سياساتها الخارجية بثلاث محددات :

(1) إتباع سياسة تقل فيها درجة الخطورة من أجل ضمان أمنها .

(2) عن طريق التحالفات قامت بتقوية وضعها الدولي في مقابل القوي العظمي (كما فعل الاتحاد الأوروبي) .

(3) العمل علي توسيع ساحة التأثير من خلال إتفاقيات تكتيكية مع القوي الإقليمية وبحيث لا تزعج القوي العظمي بهدف امتلاك وضع أفضل عند حدوث أي تغير جذري في النظام الدولي .

(4) القوى الإقليمية مثل تركيا والهند والبرازيل ومصر والأرجنتين والعراق أيضا فقد اضطرت إلي جعل ساحات تأثيرها الإقليمية وسياساتها الخارجية تابعة لسياسات قوة عظمي طبقاً لتطورات الأوضاع الدولية..

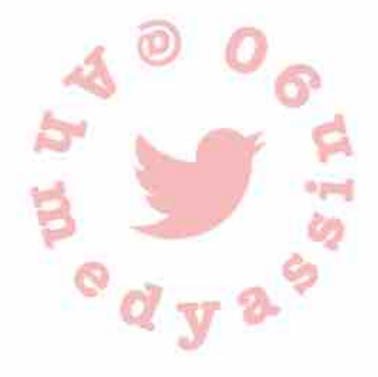
وتغيرت الأوضاع طبقاً لرؤية واضعي السياسة والإستراتيجية الدوليه وجاء نظام عالمي جديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية التي ظهرت كقوة عظمي وحيدة في أول هذه المرحلة الانتقالية ولم تتجاوز كونها خطابات سياسية تستهدف إضفاء المشروعية علي العمليات العسكرية في أرجاء العالم كما حدث في الخليج والصومال .. أو في محاولة فرض القوانين التي تتبناها واشنطن من أجل تحقيق التوازن في الاقتصاد السياسي الدولي .. وان اظهر ذلك (وما حدث علي أرض الواقع أيضاً) عدم وضوح الرؤية أمام العالم حول مفهوم " القيم الديمقراطية العالمية " والذي تصادم مع مفهوم المصالح الأمريكية وأهدافها في هذه المرحلة.

وقد أدي هذا المفهوم إلي الجدل الذي بدأ في أوائل عقد التسعينيات والذي طرحت فيه مسألة متغيرات النظام الدولي هو البنية التي يفترض أن يأخذها مجلس الأمن الدولي وقد أدي الجدل حول بنية الأمم المتحدة إلي دخول أغلب دول العالم في نقاشات شاملة وإلي طرح المشاكل التي ستنجم عن ذلك مثل أن يكون لمجموعه الدول ألكبري ألثمان دور أكبر وأكثر أهمية في مجلس الأمن الدولي ومن اللافت للنظر انتقال المسائل الدولية الهامة كمشكلة كوسوفو بشكل مباشر إلي منبر المجموعة الدولية ألكبري (ألثمان) في السنوات الأخيرة واتخاذ القرارات النهائية المتعلقة بهذا الموضوع .. كما أن عدم وجود دوله مثل ألمانيا والتي تدخل بشكل مباشر في المسائل الدولية المشابهة ضمن الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن يدفع بقوه في اتجاه ضرورة إجراء تغيير في بنية الأمم المتحدة (نظرة تركية) ولذا فهناك صعوبة إلي حد ما في استقرار النظام الدولي في الحالة الحالية التي تبتعد عن مؤثرات إقليمية مثل ألمانيا واليابان .. فقد نجحت اليابان في الاستفادة بشكل قوي في البنية الاقتصادية العالمية وعززت تأثيرها في اقتصاديات أمريكا وأوروبا وكذلك الصين التي تستعد للدخول في الالفيه الثالثة كقوة عظمي من خلال التكامل بين موقعها الاستراتيجي واستقرارها السياسي وبين التنمية الاقتصادية التي تزداد فاعلية يوماً بعد يوم .. أما روسيا فتحاول الحفاظ علي وضعها الذي يستمد قوته من القوة العظمي للإمبراطورية السوفيتية كما تحاول مواصلة سيطرتها التقليدية علي طرق العبور الأوروبية الأسيوية واستخدامها كأساس لإستراتيجية دولية في مرحلة متوسطة .. ولقد كانت كل هذه المؤثرات بمكان التأثير الذي لن يتمكن من دعم الوضع التركي وتعزيز التأثير السياسي في هذه الألفية إلا إذا دمجت إمكانياتها السياسية والاقتصادية وتراكمها التاريخي من خلال سياسة داخلية منسجمة وفعالة ؟! .

وقد عاشت تركيا بعد الحرب الباردة مرحلة من الجدل و التدافعات الداخلية المكثفة حول قضايا الهوية السياسية والثقافية والمؤسسية والمشروعية أيضا وأمتد هذا الجدل من الهوية الثقافية والعرقية إلي طبيعة المواطنة الدستورية ومن النظام البرلماني إلي النظام شبه الرئاسي ومن بنية الدولة الواحدة إلي الفيدرالية .. وكل هذا أدي إلي ظهور ما يشبه الفوضى أثر بالتالي في حالات التأرجح بين الهبوط والصعود السياسي .. ومن هنا كان لابد من تكوين ثقافة سياسية سليمة تؤثر علي صنع السياسة الخارجية بشكل إيجابي وكان لابد من العودة لفهم البنية التحتية للثقافة السياسية الخاصة بتركيا قبل كل شيء وهو امر ضروري لتحقيق الانسجام بين القيم الذاتية والقيم العالمية ولتقليص التناقضات بين البنية السياسية الداخلية وصنع السياسة الخارجية والمشكلة الحقيقية وفي العمق التي تعاني منها تركيا هي تأثير القطيعة بين الموروث الثقافي التركي ونداءات العولمة أو الإقتراب الأوروبي وإن محاولات برنامج الاتحاد والترقي وأنور باشا في عهد المشروطية الثاني قد سعي إلي توافق وانسجام بين الوضع الدولي وبين الثقافة السياسية الداخلية وذلك في رد فعل علي التطورات التي شكلتها حركات الوحدة الألمانية والايطالية القومية ولكن علي ما يبدو أن كل ذلك لم يكن بالقدر الكافي أو المؤثر أو بالطريقة السليمة للوصول إلي عمق الداء ليؤثر الدواء ..

ولكن يبدو من الواضح الوصول إلي عمق التأثير بشفافية أملتها الظروف والأحداث الدولية في المحيط العالمي والإقليمي بل والتركي أيضا قد بدا يؤتي ثماره في الحركة التركية السياسية في دوائر أمنها الإقليمي وبشكل متواصل مع الهوية التركية وموروثها الثقافي في حركات محسوبة (وإن كان يشوبها بعض المخاطر) لتحقيق التوازن بقدر الإمكان بين متطلبات المشاركة الفعالة في سياسة (وانعكاس عسكري بالطبع) في حلف الناتو ومتطلباته أيضاً ؟! وخاصة في الشرق الأوسط بالذات ؟! وبالتالي التشابك مع الاتحاد الأوروبي وهو اليد السياسية للتنفيذ من خلال الناتو (حلف شمال الأطلنطي) وبين الواجبات والمتطلبات من خلال الدور التركي الفعال من خلال المؤتمر الإسلامي والتي تعتبر بشكل جزئي منظمة خارج نظام القوي ولكنها أيضاً تمثل حلقة الوصل بين متطلبات الداخل التركي ومتطلبات السياسة الدولية وبمعني أوضح هي حلقة الوصل بين المفهوم التركي الداخلي ومفهوم الوضع الدولي والذي من خلال هذا التوازن يمكن التوافق والفهم لرؤية العالم لتركيا ورؤية تركيا لنفسها في صورة (بورترية) دائم الرؤى وبين ما حدث في الماضي القريب من

لقطات فوتوغرافية لا تعبر عن المضمون وإنما لحظة إنفعال تمثل زمن ومضة الكاميرا في يد المصور الدولي للأحداث .



الـبـاب الـثـانـي

تـركـيـا و الـشرق الأوسط

الـفـصل الأول

<u>مصر .. و تركيا.. بين المنهجية والعاطفة</u>

حين نقول مصر القوية فنحن نقصد مصر العزيزة الكريمة في الخارج والداخل والقوة وحدها وعلي خطورتها لا تكفي.. فالصوت في الغناء لا تكفيه القوه ولكن لابد من القوه والجمال.. والقوه :هي التحرر الوطني والسيادة الوطنية والعزة القومية ونفي التبعية.. والجمال:هو عزة الإنسان المصري في دولته القوية بالعدالة والمساواة وإعادة توزيع الملكية والدخل ... والقوة هنا تعني أيضا المنهجية والتفكير العقلي المبرمج وفقاً للمعايير والأهداف وحساباً للإمكانيات والعاطفة : هي الجمال والإعجاب بدون مرجعية للأسباب وباختصار هي الحركة بالدافع بدون تعليل أو الخضوع إليه، وما أعنيه هنا هو زيارة رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان إلي القاهرة .. فقد جاء محملاً بالمنهجية واستقبله جماهير ومحللين ومثقفين محملين بالعاطفة، وبقدر المسافة بين المنهجية والعاطفة كان البعد في التفكير والفهم أيضاً ...

وكان يتحدث بما يريد أن يقوله .. وكانوا يسمعونه بقدر ما يريدون أو حتى يتخيلون .. ولكنه استطاع في النهاية أن يحول المسافة عن بعد إلي مساحة يتحرك عليها، أو بموجبها في بحر السياسة الدولية أو الأوروبية.. والغربية بدقة أكثر .. ثم طار إلي بلاد الربيع العربي في ليبيا وتونس بعد الاستئذان والدخول من باب الشرق الأوسط في القاهرة .. وصارت المساحة بالقدر الكافي بعد تحويلها من مسافة اقتراب إلي مساحة للحركة ثم تحويلها إلي حجم بأبعاده الثلاثة ليزيد من الثقل التركي في ميزان الاستراتيجية الدولية .. ومن أول السطر .

حيث صاحب الزيارة سؤ فهم وخطأ في التوقيت وتبعات ومكاسب أيضاً ..

خطأ في التوقيت :

وهو خطأ في إحداثيات نقطة البداية وفي إرجاع العلاقات التركية – المصرية إلي العصر العثماني وهو خطأ فادح لكونه نقطة البداية.. وبالتالي ستكون النهاية خطأ والطريق مضل .. حيث أن عصر محمد علي والذي شمله وأحفاده قد فرق وأوجد الفاصل بين العصر العثماني والجمهورية التركية (أعلنت عام 1923) وانحاز هذا العصر نحو الشخصية المصرية إثباتاً لذاتيتها وقوتها أيضاً .. وتحول العصر العثماني إلي جزء من التاريخ المصري في حلقة من حلقاته بعد العصر الفرعوني أو الروماني أو الفتح الإسلامي في سلسلة من الحلقات كانت ظلال وأضواء في صورة مصر الحديثة وجاءت ثورة يوليو لتنهي عصر محمد علي، والعثماني أيضاً، وبشكل مكثف لتتجه نحو المصرية القومية العربية ... ومن هنا وفي الحقيقة وجب أن نعرف ونحدد بالوجه الصحيح نقطة البداية في العلاقات المصرية – التركية وأقصد هنا (الجمهورية التركية – الجمهورية المصرية) ليكون القياس والتفاعل صحيحاً (وبصرف النظر عن أولوية زمنية في بداية الثورتين) لأن ذلك كان في خصوصية وبعيداً عن التأثير المتبادل .. ووجب الفصل في تعامل العصر الحديث بين الإمبراطورية العثمانية بما لها و ما عليها والجمهورية التركية الأتاتوركية وبين مصر الولاية العثمانية ومصر الجمهورية والثورة فليس لكل منهما امتداد أو تبعية في العلاقات وسمة العصر الحديث .

حلقات الأمن القومي التركي:

فعندما بدأت تركيا التطلع نحو المكانة كانت هناك دوائر (أو حلقات) خمسة تتحكم في رؤيتها نحو المستقبل.. وفي الدائرة الأولي كانت الولايات المتحدة هي الدائرة الأساسية الأولي.. والثانية هي الاتحاد الأوروبي وعندما بدت بوادر المعوقات في الدائرة الثانية الأوروبية (وخاصة من ألمانيا وفرنسا) لم تيأس وجمدت الحلقة إنتظاراً لأحداث مواتية ومزيداً من الثقل في الدوائر التالية لتضغط وتؤثر في هذه الدائرة الهامة لها واتجهت نحو الدائرة الثالثة في القوقاز ... ولها فيها الكثير من الموروث الثقافي وقدمت ما يمكن أن يزيل العقبات أو الشوائب والمنغصات بتقديم حزمة قوية من المصالح والحوافز لأرمينيا من خلال البروتوكول الذي وقعته معها بوساطة سويسرية وباركته

أمريكا وأوروبا .. ولكن لم تستطع تجاوز تلك المعوقات والتي يمكن أن تؤثر ليس بالمكانة فقط ولكن بتوابع اقتصادية ليست بالهينة وكان أبرز هذه المعوقات المشكلة الأرمينية الأذربيجانية ومشكله الإبادة الجماعية، وظهر إقليم كاجونو كاراباخ المتنازع عليه بين أرمينيا وأذربيجان صخرة يصعب تجاوزها علي الأقل في الوقت الحالي ، فجمدت الموقف انتظاراً لأحداث ولعدم ضياع الوقت واتجهت نحو الدائرة الرابعة وهي إسرائيل ولها فيها سبق الفضل بالاعتراف المبكر (عام 1949) والتعاون الفني والعسكري والاقتصادي ونقل تكنولوجيا هامة صناعية وعسكرية ولكن يوجد أيضاً في تركيا (وهي شهادة حق) ديمقراطية تؤثر في الرأي العام ولها قوتها وتستطيع أن تفصل بين مصالح الدولة وأصحاب القرار وبين رأي الشعب والجماهير بعيداً عن نظرية الكبت والقمع وتحدث أصحاب القرار بلغة عقيمة مفادها (أنا الشعب) .. وكانت وللحق تستجيب السلطة في تركيا في النهاية نحو الرغبات الشعبية (وإن كانت تعود بعد ذلك وفقاً للمصالح التركية الخاصة وأحداث ما خلف الأبواب المغلقة)... و ظهر ذلك في رحلة ما بعد الاعتراف بإسرائيل في أدانه العدوان الإسرائيلي علي مصر في عام 1956 استجابة لنداء ونبض الجماهير ومصلحتها مع أمريكا أيضا.

وبعد أحداث نكسه 67 وإدانتها للموقف الإسرائيلي وسحب السفير وجعل العلاقات الدبلوماسية في حدها الأدنى علي مستوي السكرتير الثاني (وإن عادت بعد اتفاقية السلام بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل) "رابين – عرفات" .. ثم سقطت في هوة الهبوط مرة أخري بعد العدوان علي غزة واستجابة لنداء جماهيري أيضاً فصل بين السلطة والإرادة الشعبية .. و بعد انتهاء الأزمة عادت العلاقات بالتالي إلي طبيعتها، ولكن في المرة التالية لم يكن التأثير السلبي استجابة لنداء شعبي في الفصل والرؤية ولكن تركيا (حقيقة) كانت تبحث في الاتجاه نحو الحلقة (الدائرة) الخامسة والتي تأخرت فيها باستبدال مؤقت مع الدائرة الرابعة.

وجاءت بالمفتاح السليم والمنطقي للشرق الأوسط والذي كانت قد ألقته من زمن بعيد وطواعية " فلسطين" .. " وقد قرأت في جريدة الأهرام القاهرية منذ ما يقرب من عامين وفي باب " صدق أو لا تصدق " والذي أحرص كثيراً علي متابعته أن الوالي العثماني علي القدس أقسم بأغلظ الإيمان علي إعطاء مفتاح القدس لأول جندي إنجليزي يدخل القدس وكان هناك معسكر إنجليزي قريباً من القدس وذهب جنديان إنجليزيان لشراء بعض الخضروات لطهي طعام الغذاء للضباط من

سوق القدس ونفذ الوالي قسمة وأعطاهما المفتاح وأقفل عائداً إلي دار الخلافة؟! ..

وكانت تركيا ترقب تأثير محاولة الدخول بذات المفتاح ونحو نفس الباب (مصر) والذي حاولته القيادة المنافسة التقليدية " إيران " في الشرق الأوسط والتي حاولت من فترة وجيزة الصراخ والنداء بالحق الفلسطيني وأحقية الدولة الفلسطينية وصعدت ذلك بالنداء نحو محو إسرائيلي من الوجود كمرض سرطاني يجب استئصاله من الشرق الأوسط وطرقت علي الباب المصري (اختيار صحيح) أيضاً وبنداء وغطاء إسلامي أيضاً بأن مصر قلب العرب والشرق الأوسط وأن أهلها سنه المذهب شيعه ألهوي نحو أهل البيت " هكذا تري إيران مصر " .. ولكن النظام السابق في مصر كان قد أوصل الباب أمام أية تطلعات نحو المكانة في الشرق الأوسط ولم يلبي النداء وكانت الجماهير منكبه علي أحداث جسام ومتربصة بالنظام نحو رفض التوريث ومقاومة الفساد، وأغلق الجانب الإيراني باب الطرق مؤقتاً أيضاً .. ، وجاء الجانب التركي ليطرق الباب بنفس المفتاح السحري للشرق الأوسط (فلسطين) ولكن من بعيد وبترقب في أحداث مؤتمر " دافوس" للسلام

موقعة دافوس

ثم بلغ السجال ذروته في الموقف الشهير لأردوغان الذي سماه البعض موقعه دافوس حينما انسحب من جلسة جمعته بالرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز في مؤتمر دافوس الاقتصادي بسويسرا لعام 2009م ، احتجاجا علي عدم إعطائه الوقت الكافي للرد علي كلمة بيريز بشأن العدوان الإسرائيلي علي غزة .

وكان بيريز في كلمته برر العدوان الإسرائيلي الذي دام 33 يوما ووصفه بأنه دفاع عن النفس ، وبعد انتهاء كلمته صفق له الجمهور وهو ما حمل اردوغان علي أن يخاطبهم قائلا (عار عليكم أن تصفقوا لمن يقتلون الناس والأطفال بدم بارد) ، مطالبا رئيس الجلسة بمنحه مزيدا من الوقت أسوة بالوقت الذي منحه لبيريز (للعلم اردوغان أعطي 12 دقيقة مقابل 25 دقيقة لبيريز !) .

ومما أثار سخط بيريز بدرجة أكثر هو تأكيد اردوغان في كلمته أن حماس قد تم انتخابها ديمقراطيا ، وأنه علي المجتمع الدولي احترام هذا الخيار بل يجب أن تضم طاولة المفاوضات محمود عباس وأعضاء حماس جنباً إلي جنب لأن حماس من نسيج المجتمع الفلسطيني .

لكن رئيس الجلسة قطع الميكرفون متذرعاً بانتهاء الوقت حينها علا صوت اردوغان علي بيريز بالقول (عندما يتعلق الأمر بالقتل فأنتم تعرفون تماماً كيف تقتلون الأطفال) وعلي أثرها لملم أوراقه وخرج وهو يقول (لن احضر أبداً إلي دافوس) ثم اتصل به بيريز هاتفياً وقدم له الاعتذار ..!!

وقد احتشد ألاف الأتراك في المطار لاستقبال اردوغان بعد انسحابه الشهير هذا مرددين الهتافات المعادية لإسرائيل وملوحين بلافتات مكتوب عليها : مرحبا بعودة المنتصر في دافوس ، الامر الذي عزز مكانة أردوغان عند المواطن التركي بل والعربي والإسلامي .

ثم عندما انتقدت إسرائيل تصريحات اردوغان ، واستقبلت السفير التركي استقبالاً مشيناً فإن الحكومة التركية ردت بأن تلك الاهانة موجه إلي الدولة التركية بغض النظر عن الاختلافات الداخلية بين الحكومة ذات التوجه الإسلامي وبين المعارضة العلمانية .

وهذا أيضا هو الأسلوب ذاته الذي رد به اردوغان علي بيريز في (دافوس) حينما علق علي خطابه غير اللائق قائلاً : " إن الرئيس بيريز لايتوجه إلي زعيم قبيلة ، عليه أن يتعلم كيفية التحدث مع رئيس وزراء تركيا وأضاف : إنني رئيس وزراء تركيا وعلي الدفاع عن كرامتها وأنا لست دبلوماسيا متقاعداً .

ونال ما يتمني برضاء شعبي جماهيري في الشرق الأوسط وبالقدر المطلوب منه كمرحلة انتقالية.

ولكن النجاح أغري القيادة التركية بتقليل المسافة بالاقتراب والعمق في دعم الشعب الفلسطيني المحاصر في غزة بسفن سلام تحمل المساعدات الإنسانية وبضجة إعلامية غير مسبوقة (وهي تعلم من خبرتها الدولية ومعلوماتها المؤكدة بمخاطر ما يمكن أن يحدث) ولكنها كانت مغامرة محسوبة المخاطر بكل تبعاتها حيث عارضت إسرائيل الدعم التركي وكعادتها بعنف وغطرسة. كما توقعت تركيا تماماً ليكون التصعيد في مستوي ومقابل لأفعال إسرائيل .. وكان من نتيجة ذلك وفاة تسعة من أفراد الشعب التركي علي السفينة (مرمره) وتعالت الاحتجاجات وبدا علي الجانب التركي التصرف بحذر وتحقيق الهدف وأستمر ذلك برباط جأش علي الجانب التركي مدة عام كامل أو قريباً منه حتى حان موعد بدء الطرق علي باب الشرق الأوسط وبمراعاة الأحداث الجديدة في مصر بعد ثورة 25 يناير وبدأ التصعيد وتجميد العلاقات مع إسرائيل والتلويح بالمكانة التركية وما يمكن أن تفعله في

إسرائيل غير السلام الحتمي وخياره الاستراتيجي فألهبت مع كل خطوة نحو التصعيد وحتى بإمكانية مضايقة السيطرة الإسرائيلية علي شرق البحر المتوسط ووضع المعوقات في قبرص (حلقة الوصل الإسرائيلي بين إسرائيل وأوروبا) ؟!! ثم وقف التعاون والتسهيلات العسكرية التكنولوجية واللوجستية وتسهيلات المناورات والتحليق في سماء الأناضول وقريباً من سوريا والشرق الأوسط و لم تترك الولايات المتحدة الأمور لتتعمق أكثر من ذلك و بعيدا عن القدر المحسوب

تركيا .. واسرائيل

وتناقلت وكالات الأنباء أن هناك محادثات سرية بين تركيا وإسرائيل بتدخل أمريكي في محاولة ثالثة لإنهاء الأزمة بين الطرفين وكشفت صحيفة " ها أرتس " الإسرائيلية ومعناها بالعربية " الأرض " عن إجرائها فيما حذر المحلل السياسي التركي " حسن الطهراوي " من أن عودة العلاقات إلي طبيعتها دون تحقيق الشروط التركية ستؤدي إلي وضع رئيس الوزراء التركي رجب طيب اردوغان في مأزق .. وأوضحت الصحيفة أن المحادثات تجري عبر قناتين.. قناة مباشرة بين مسئول من قبل رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نيتنياهو وبين المدير العام لوزارة الخارجية التركي " فريدون سينيرلي أوغلو " وهو أحد كبار الداعمين للعلاقات بين تركيا وإسرائيل ..

وقد نشأت هذه القناة عقب المساعدة التي قدمتها تركيا إلي إسرائيل في إخماد حريق الكرمل ثم ردت إسرائيل برغبتها في المساعدة بعد الزلزال الذي ضرب غرب تركيا ؟! أما القناة الثانية فهي بين ممثل إسرائيل في لجنة التحقيق في مجزره أسطول الحرية الأول والتي شكلها الأمين العام للأمم المتحدة وبين الممثل التركي في اللجنة.. وبجانب هاتين القناتين . أجرت واشنطن في الشهور الأخيرة اتصالات علي مستوي عال مع الحكومة التركية لتحسين العلاقات مع إسرائيل ولمحاولة منع انطلاق أسطول الحرية الثاني (ورقة سياسية فقط) من التوجه إلي قطاع غزة المحاصر إسرائيلياً منذ أعوام... وتربط الصحيفة بين المحاولة الحالية وهي الثالثة لإنهاء الأزمة وبين ثلاثة أمور تعكس وجود مصلحة مشتركة في حل المشكلات أولها اقتراب موعد نشر تقرير لجنة التحقيق التي شكلها الأمين العام للأمم المتحدة والتي أشارت فيما بعد إلي أحقية إسرائيل في الدفاع عن نفسها ؟! .

وثانيها فوز حزب أردوغان بولاية ثالثة لأنه بحسب مسئولين إسرائيليين لم يكن باستطاعته إبداء مرونة بشأن مطالب تركيا من إسرائيل

لأسباب سياسية وأخرها التطورات علي الجبهة السورية وهي ذات تأثير استراتيجي وامني حيوي علي مقدرات أوراق اللعب السياسية في الشرق الأوسط بكامله ويتفق المحلل السياسي التركي حسن الطهراوي مع " ها أرتس " في أن الأحداث الثلاثة السابقة أسهمت في إعادة المحادثات بين الطرفين خاصة في ظل الضغوط الأمريكية .. ومضي الطهراوي يقول أن عدم مشاركة السفينة التركية " ما في مرمره " في الأسطول المزمع إرساله إلي غزة (إن أرسل من الأساس ؟!) قد يكون أحد نتائج هذه المحادثات وإن كانت عودة العلاقات بين تركيا وإسرائيل إلي طبيعتها دون أن تعتذر إسرائيل رسمياً ودون أن تقدم إسرائيل تعويضات لأسر الضحايا فإن هذا سوف يضع اردوغان في مأزق لاسيما أن المعارضة التركية ستتربص به لكونه هو من وضع هذه الشروط – ومن هنا نجد أن المحادثات ربما تركز الآن علي مخرج يحفظ ماء وجه اردوغان أمام الأتراك والعرب والفلسطينيين أيضاً والذي صرح علي الملأ عندما حضر إلي القاهرة حين قال " في الماضي كانت تركيا بقيادة حزب الشعب الجمهوري أول من أيد إعلان دولة إسرائيل .. ولكن انظروا القدر.. اليوم اختلفت نظرتنا بما فينا ذلك الحزب لدولة إسرائيل لأنها لا تحترم السلام.. نعم كانت بيننا اتفاقيات عسكرية واقتصادية لكنها أضاعت حليفها في المنطقة حينما اعتدت علي مواطنين أبرياء دون سلاح في المياه الدولية رغم تحريم ذلك دولياً.. اعتدوا عليهم جواً وبحراً وقتلوا تسعه شهداء أتراك من بينهم أمريكي من أصل تركي لكن أمريكا لم تحترم حقوقه بينما إسرائيل كافأت جنودها الذين قتلوا الشهداء ألتسعه .. قلنا لهم أننا نطالبهم بالاعتذار لتركيا ودفع تعويضات لأسر الشهداء ورفع الحصار عن غزة لكنهم ماطلوا ورفضوا .. وكان هناك الكثير من اللقاءات و لكن بسبب الخلافات بينهم اتخذوا قرارات غير صحيحة وكان علينا اتخاذ حزمه من القرارات مثل تسيير السفن في البحر المتوسط وهو من حقوق تركيا وسنواصل الدفاع عن حقوق الشهداء ونقيم لهم دعوي بمحكمه العدل الدولية في الإرهاب .. كما علقنا الاتفاقات العسكرية والاقتصادية .. ولا أحد يستطيع اللعب بكرامه الشعب التركي وزرت إسرائيل ولكن عندما أردت زيارة الجانب الفلسطيني تركوني علي المعبر نصف ساعة وهو ما يعني أنه ليست لديهم أخلاقيات دبلوماسية " وانتهت تصريحات رجب طيب اردوغان الملتهبة والمتشددة (وإن كانت حقه ؟!)

ولكن دائماً كما قرأت وتعودت من خلال الغوص في بحور صانعي السياسية بأنه دوماً ما يكون لديهم وفي جعبتهم الكثير ليقدموه أمام

التصريحات والمعوقات ولا يخلو جرابهم الذي يشبه الحاوي من الألعاب والمخارج والمبررات والأسباب وتلك طبيعتهم وتنظر لهم الشعوب بحيرة وقلق واستغراب أيضاً .. وتتوالي الأحداث ؟!

وطرقت تركيا الباب من جديد فوجدت الترحاب والهتاف بأكثر مما تريد (مراعاة للمواقف الدولية والإقليمية) والأمريكية علي وجه الخصوص فهي لم تأتي بغطاء إسلامي فكل شئ واضح وموجود ولا داعي لإعلاء نغمة نشاز في المخطط التركي وجاءت إلي مصر بغطاء إعلامي أعلي نحو إمكانيات تعاون اقتصادي ثم اتفاق استراتيجي وتجنباً لحساسية النداء الإسلامي علي رغبة تركيا أو ما يضر مصالحها الأوروبية والغربية و الأمريكية أيضاً وحمل رجب طيب اردوغان الأمنيات الطيبة ودفء العلاقة المصرية التركية ووفد ضخم (مقصود) بما يقرب من 20 وزيراً و 200 من رجال الأعمال الأتراك باتفاقات اقتصادية تفوق مدة الزيارة ووقتها أيضاً وحدث خطأ في التفعيل علي أرض الواقع ...

خطأ وليس سؤ فهم

حيث استقبلت التيارات الإسلامية والمثقفون والإعلاميون (أغلبية) الحضور التركي بالمحاور الجديدة ضد إسرائيل ولا شئ غيرها والمحللون السياسيون بالآمال في تعاون اقتصادي مبهر والتيارات الإسلامية بنداء الخلافة الممتع ؟!! والذي انتظروه طويلاً ومن أي اتجاه وبأي رياح ؟!! وباختصار بنداء العاطفة ؟! وتركيا ووفدها حضروا إلي مصر بنداء ألمكانه والمنهجية في إحدي دوائر الأمن القومي التركي في رحلة البحث عن الذات ؟! تركيا بمنهجية والتيارات بالعاطفة والإعلاميون بأحلاف ... مما جعل رئيس الوزراء التركي ينادي (تركيا ومصر أيد واحدة) معبراً عما يريد والهتافات تقابله بالخلافة علي جانب آخر.. وأدرك الجانب التركي أن المجلس العسكري المصري وضع الأمور في نصابها الصحيح وبالميزان المطلوب وهو التعاون التركي المصري في إطاره الاقتصادي بالمرتبة الأولي ثم التفاهمات السياسية بما يخدم البلدين

تركيا ومصر

في تطور الميزان التجاري بين البلدين ففي عام 2005 كان الميزان التجاري 420 مليون دولار وفي عام 2006 تقلص إلي 316 مليون دولار ثم إلي 322 مليون دولار ليعاود الارتفاع إلي 484 مليون دولار ثم انطلق إلي 1977 مليون دولار في عام سنه 2009 ثم إلي 1147 مليون دولار في عام 2010 وذلك تبعاً للظروف وبالطبع المناخ السياسي في المنطقة التي تؤثر بطبيعة الحال علي الميزان التجاري وهي الدافع الحقيقي للاستثمار والتطور الاقتصادي ..

وفي إطار الترويج الإعلامي المكثف والذي تتولاه أحدى الجرائد المصرية والذي يحتوي أيضاً علي مخالفات ومغالطات تاريخية ربما تخضع للتمويل الإعلامي بعناوين ضخمة مثل " تركيا تستعيد ذكريات أمجادها علي أرض مصر " ولا أدري أو أعرف أي أمجاد تحققت بفضل تركيا علي أرض وادي النيل العظيم ولا أنكر أن لدي من المراجع التاريخية والوثائق ما يكفي لكي أقول " وهو قول حق " أن تركيا القديمة لم يكن لديها مطلقاً الدافع والنية بل والفعل أيضاً لتحقيق أمجاد علي أرض مصر في الماضي وأراقب وأتأمل الخطوات التركية واستثماراتها تحت مانشت عريض أيضاً لذات الصحيفة يقول " أمجاد الأتراك تبدأ من التجمع الخامس " موضحاً أن أنظار تركيا اتجهت إلي تأسيس أول مدرسة لهم في مصر " استثمار تعليمي مدروس " ؟! ما لبث بعد النتائج الأولية أن تحول إلي مشروع لسلسلة مدارس بدأت بمدرسة " صلاح الدين الأيوبي " ؟! واغلب المدرسين بها من الأجانب ثم توالت إلي مرحلة ثانية بعشرين مدرسة أسستها تركيا لهذا الغرض ويصرح " محمد فتح الله كولان " مؤسس شركة أفق التركية أن هدف المدرسة ليس الربح ولكن " أفضل ما يمكن أن يقوم به الإنسان في حياته أن يعلم إنسان أخر ؟! " .

وعلي الجانب الأخر نلاحظ أن مصروفات المدرسة تبدأ من 25000 جنيه لرياض الأطفال لتصل إلي 27000 جنيه للمرحلة النهائية بها ؟! فأي سنه أو فضل في تعليم الأخر بهذا القدر ولا يهدف إلي الربح الوفير والاستثمار الأكيد المغلف بغلاف رقيق من الكلمات الطيبة والأمنيات الحالة بجذور زائفة ؟!

إنني أري أنها تعدت العاطفة نحو القدوم التركي إلي الخبل السياسي أو التزوير المتعمد بلا ضابط أو انتماء أو أمانه المعرفة أو القلم لدرجة أن أحد الكتاب يحلل ويستعرض كتاب الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي قائلاً " إن التأثير الايجابي لأردوغان علي المحيطين له – أنظر وتأمل زيارة

رئيس الوزراء التركي لمصر .. وكيف أثر في الناس فهو واحد من فصيلة الذين تنظر إليهم فتحبهم "

فهل في الدول والعلاقات الدولية الحب من أول نظرة ؟! وقد رسم احد الفنانين لوحه كتب تحتها " رجب طيب أردوغان .. الراعي الرسمي الجديد للدول العربية ؟! و هنا تحول الحب من أول نظرة إلي دعوة للزعامة علي الأمة العربية من أول وهلة ؟! وزاد علي ذلك احد الكتاب بعنوان " الأتراك قادمون ؟! ؟ ثم علق احد الكتاب قائلاً " فلاشك أن توجه الأتراك نحو مصر مولد أقدم الحضارات وموطنها بعد هجرتهم من أسيا الوسطي إلي الغرب " وعجباً ولا ادري كيف حدث هذا ومتى ؟ قبل أن يفتحها المسلمون في العهد الأموي ؟!

..... وطار الوفد التركي نحو بلدان الربيع العربي في ليبيا وتونس لتركيز المجهود وتوسيع الأفق نحو المكانة وزيادة الوزن والثقل (علي الأقل في المرحلة الحالية) ... وذهب الوفد إلي أمريكا (اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة) وقابل رجب طيب اردوغان رئيس الوزراء التركي الرئيسي الأمريكي باراك أوباما والمسئولين الأمريكيين لمعرفة قيمة ونتائج الوزن الجديد لتركيا الجديدة وتقييم نتيجة الاختبار في منحني جديد ربما يؤثر في دائرة الاتحاد الأوربي (الدائرة الثانية) ويساعد نحو الصعود التركي نجم ساطع جديد (علي الأقل دولة من الدرجة الأولي) بعد رفع المرتبة التركية في الترتيب الاقتصادي إلي المستوي السابع عشر وبعض المنظمات الدولية ذات الصلة تتفائل بالوصول إلي المستوي الثاني عشر ؟! و لكن الجانب الايرانى المنافس هل يترك الأمور تسير في هذا الاتجاه ؟ وهل أحداث الشرق الأوسط وربيعه العربي الذي يلهث حوله كل متابع سوف تسير في أي اتجاه وبأية رياح .. في انتظار المستقبل .. وإن كانت بعض الظواهر تلوح في الأفق بقدر المسافة بين المنهجية التركية والعاطفية الجماهيرية والتيارات الإسلامية في المنطقة وبقدر رغبة ما في العمق والمصلحة السياسية) وهل ستطغي دائرة من دوائر تركيا الخمسة علي أخري أم ستحاول القيادة التركية التوفيق والربط لتكون مساعدة في التسلق نحو القمة أو قريباً منها ... ويبقي في الحديث تجربة تركية قريبة عندما تعاملت تركيا في القوقاز مع كل من أرمينيا وأذربيجان ووقعت تركيا مع أرمينيا اتفاق المصالحة في الحادي عشر من أكتوبر 2010 بوساطة سويسرية وغربية وقدمت تركيا العطايا والمزايا بفتح الحدود مع أرمينيا

وأعلن البنك الدولي أن ذلك سوف يرفع معدل النمو في أرمينيا بمقدار 30% ؟! وهو عطاء سخي للغاية ولم تكن تتوقع الدوائر التركية إلا اللهث الأرميني ولكنها وجدت الجانب الأرميني فاهم

لقواعد اللعبة بقدر فهمه لحاجته و تعامل بمنهجية و ظهر الفرق بين التعامل بمنهجيه و التعامل بالعاطفة وبالقراءة الرشيدة يمكن الفهم والتفريق والجمع بلا تردد أو خجل ..

ويقول أحمد داود اوغلو وزير الخارجية التركي في حوار حول تثبيت وتدعيم الروابط المصرية التركية " تعتبر كل من تركيا ومصر من الأسواق الواعدة فمجموع مساحة البلدين مجتمعين يقرب من 2 مليون كيلو متر مربع تمتدان في ثلاث قارات بينما يبلغ مجموع سكانهما 150 مليون نسمه فتية ونشيطة إذا ما تم جمعهما معاً .. فإن بلدينا تمثلان اقتصاداً يبلغ إجمالي ناتجة القومي تريليون دولار ويبلغ حجم تجارته الخارجية نصف تريليون دولار ونحن نعتزم تحقيق أقصي استفادة ممكنه من هذه الإمكانيات لشعبينا .." .



الـفـصـل الـثـانى

تركيا .. والعرب .. وفلسطين أيضاً

لقد ظلت تركيا عضواً في أسره الشرق الأوسط بالرغم من جنوحها للنزعة الأوروبية عقب نهاية الخلافة العثمانية فيها عام 1923 وبالرغم من ابتعادها عن الخوض المباشر في شئون الشرق الأوسط التي يقوم هيكله الأساسي علي القوائم العربية .. والتي كانت تعتبرها تركيا توابع سابقة لها .. ولم يكن الشرق الأوسط العربي الإسلامي في أغلبه بالنسبة لتركيا سوي صندوق من الميراث العتيق للأجداد لم يعد يصلح ما به في ذلك الوقت للتعامل في العصر الحديث وكان مفتاحه كما قدر التاريخ وقدرت الأقدار هو فلسطين وقلب هذا المفتاح في القدس أيضاً ؟!! ومن هنا تكون تركيا الحديثة والعثمانية سابقاً قد تركت مفتاح الشرق الأوسط طواعية وبأغلظ الإيمان أيضا ؟! وبما أنها تركت المفتاح في القدس فلا داعي للاحتفاظ بالصندوق (الشرق الأوسط العربي) ولا بغطاءه في القاهرة ؟! وعادت بالنظر والفعل نحو الجديد في العالم ...

وعقب إنتهاء الحرب العالمية بدأت تنظر إلي الشرق الأوسط من جديد .. ولكن علي إستحياء ومن منظور الصاعد إلي القمة الجديد في الولايات المتحدة التي بدأت تتجه بدورها إلي تلك المنطقة بصورة إيجابية عام 1946 أي منذ أن نشطت الشيوعية في منطقة البلقان وإيران نشاطاً دامياً أدي إلي ثورات أو حروب لإعادة تنظيم العالم وتنظيم هيئة الأمم المتحدة .. ومن هنا كان لابد لتركيا من القيام بنصيبها المفروض كما حددته لها الولايات المتحدة وأن تكون عضواً عاملاً في الشرق الأوسط من أجل تكييف مستقبله بالصورة التي رسمتها السياسة الغربية علي يد الولايات المتحدة .. وفي عام 1947 أعلن ترومان رئيس الولايات المتحدة في ذلك الوقت مشروعه الخاص بحصر الشيوعية في مناطقها ومنع توسعها... وذلك بتقديم المساعدات الأمريكية إلي الدول الصغيرة التي تقع في طريق التوسع الشيوعي المنتظر (وكان يقصد بذلك تركيا – واليونان) ولكن أفلحت الشيوعية وقتها في إثارة حرب أهلية في شمال اليونان عقب نهاية الحرب مباشرة .. فلم يعد أمام أمريكا وقتها غير تركيا ... وتضمن مشروع ترومان في تطبيقه علي تكريا تقديم مساعدات عسكرية ومادية ضخمة إذ جاء في هذا المشروع ما يأتي " يجب أن تكون سياسة أمريكا موضوعه علي أساس مساعدة

الدول الحرة التي تقاوم السيطرة عليها من جانب الأقليات المسلحة أو الضغط الخارجي " ...

وهكذا فسرت الولايات المتحدة قيمة تركيا بالنسبة لها مما دفعه للتعجيل بتطبيق مشروعه علي تركيا تحت عنوان " الأمن القومي الأمريكي".. وقد سارت المساعدات الأمريكية لتركيا في نفس الوقت الذي سارت فيه مساعداتها إلى غرب أوروبا تحت اسم إنعاش أوروبا و بلغت المساعدات الأمريكية لتركيا حتى عام 1956 ما يقرب من 800 مليون دولار أنفق معظمها لتقوية القوات التركية المسلحة وتنمية الاقتصاد التركي علي اعتبار أهميته القصوى في سلامة الجبهة الداخلية التركية وفي مضمار التعاون السياسي ايضاً وبدون معوقات علي قدر الإمكان.

وبعد إرتباط تركيا بالولايات المتحدة بهذه الصورة المادية الوثيقة وقعت أزمة فلسطين وترتب عليها خروج الانجليز منها وقيام إسرائيل وتوقيع الهدنة بينها وبين العرب في رودس عام 1949 .. ولقد ساهمت تركيا في هذه المرحلة الدامية في تاريخ الشرق الأوسط بدور سياسي سلبي إذ تجاهلت القضية الفلسطينية تماماً ولم تشأ حتى تأييد العرب في دعواهم وكان قد سبقت هذا بوقت طويل أن تركت المفتاح ثم الصندوق الشرق أوسطي بكل طواعية وذلك لعدم رغبتها في التورط في قضية تتبناها الدول العربية التي كانت كلها (وأيضا فلسطين) ضمن ممتلكاتها وتعزز ذلك عند ما قام العرب (كما تري) بثورتهم المعروفة في الحرب العالمية الأولي ضد تركيا .. وهو الأمر الذي ساعد في انهيار الإمبراطورية العثمانية (راجع الأعمدة السبعة لورانس العرب) ولهذا لم تشأ تركيا تأييد هذه الدول التي خذلتها من قبل .. وإن بدا عليها نظرة طمع في الموقف الجديد ولكنها وجدت الدول العربية قد سبقتها نحو الوحدة بشكل ما في نطاق الجامعة العربية مما جعل تركيا تتأثر سلباً ويخفت صوتها نسبياً ورأت أن تبتعد عن هذه المجموعة العربية ذات المشاكل المتداخلة مع غالبية الدول الكبري من بقايا وتبعات الاستعمار الجديد...

ثم عادت تركيا لمجاملة الولايات المتحدة والبحث عن المصالح (وليس الذات والدوام والمستقبل؟!) وأظهرت تأييدها ورعايتها الكاملة لقيام إسرائيل وخصوصاً وأن المعونة الأميركية لعام 47-1948 التي خصصت لتركيا من شهور قليلة كانت قد سبقت قيام أزمة فلسطين أو أكثر دقة لم تكن قد انتهت أو أسدل الستار عنها وهذه المعونة وصلت

إلي تركيا وبدأت تنهل منها في سخاء ونهم لإصلاح مرافقها ولم تشأ في هذا الوقت الوقوف أمام العرب منعاً لأثاره صاحبه الفضل والريادة الجديدة (أمريكا) .. ؟! .

وكانت تركيا في رحلة البحث عن المصالح والاستفادة رغبة كذلك في التخلص من اليهود المقيمين فيها ومعظمهم من الفقراء والذين كانوا قد لجأوا إليها بأعداد ضخمة أمام مذابح هتلر لليهود في ألمانيا وهاجر كثيرون منهم إلي تركيا ورأت تركيا أن تشجيعها لإسرائيل والإعتراف بها إنما يساعد كثيراً علي هجرة هؤلاء اليهود من تركيا إلي إسرائيل وتخفيف الأعباء عنها بجانب ما يحققه ذلك من تأييد الصهيونية العالمية لمطالب الأتراك في المنظمات الدولية ولدي الدول الكبري لاستمرار تدفق العون الخارجي لها .. وفي ذات الوقت لا يوجد أي مصلحة مباشرة لتركيا في الدول العربية تستحق أن تقوم تركيا من أجلها بتأييد القضية الفلسطينية.. أليس هي التي تركت المفتاح بيدها بكل طواعية وبأغلظ الإيمان ثم الصندوق أيضاً؟!

وازداد إهتمام الولايات المتحدة بتركيا بعد قيام إسرائيل إذ اعتبرت أمريكا أن تركيا هي قاعدة الارتكاز الحقيقة لتوجيه وتنفيذ السياسة الأمريكية في شرق البحر الأبيض المتوسط وفي الشرق الأوسط .. خصوصاً وأن باقي هذه المنطقة كان يدخل في ميدان النفوذ البريطاني حتى تلك اللحظة إذ كانت بريطانيا لاتزال محتفظة بقاعدتها في قناة السويس وفي السودان وليبيا والأردن والعراق ومنطقة الخليج العربي وفي جنوب الجزيرة العربية ومن هنا لم يكن هنا منفذ مناسب للدخول وتخطيط مستقبل الشرق الأوسط الجديد (في هذا الوقت خاصة بعد ظهور الذهب الأسود الجديد وتدفق منابع النفط) .. لم يكن هناك أفضل من تركيا ؟!! ..

ولهذا جذبت أمريكا الجمهورية التركية إلي حظيرة جديدة من التحالف والتفاهم في صورة (اتفاق المساعدات للدفاع المشترك عام 1949) ثم تطورت في طور جديد إلي (اتفاق الأمن المشترك عام 1951) .

وبمقتضي هذا الاتفاق الجديد ضوعفت المساعدات الأمريكية لتركيا !! ثم أثمر ذلك عن إشراك كل من تركيا واليونان في حلف شمال الأطلنطي في نهاية عام 1951 .. و هو نفس عام توقيع اتفاق الأمن المشترك وكانت الولايات المتحدة تدعو دائماً إلي كسب تركيا في أي ميدان تشترك فيه الدول الأوروبية والتي كانت تعارض إقحام تركيا

عليها... وكان منطق الدعاية الأمريكية ووجهة نظرها ينحصر في أن تركيا في الاعتبار الأمريكي أكبر دولة تتمتع بالاستقرار السياسي في الشرق الأوسط وتمتلك أكبر قوة عسكرية في حوض البحر الأبيض المتوسط بالإضافة إلي موقعها الاستراتيجي والذي يمكنها من وقف الزحف الشيوعي إذا وقع ؟! كما يمكنها القيام بحلقة الاتصال الغربية في الشرق الأوسط كما أوحت السياسة البترولية الجديدة إلي إنشاء خط جديد من الأنابيب قطر 42 بوصه تصل بين آبار البترول العراقية في الموصل عند كركوك إلي ميناء الإسكندرونه وذلك لتخفيف أعباء نقل البترول بالوسائل الأخرى وتم تنفيذ الخط الجديد (وقتها) بقيمة 500 مليون دولار لينقل 800.000 برميل نفط يومياً وتقدر هذه الكمية بنسبة 66% من مجموع البترول الذي ينقل بالناقلات عبر قناة السويس مما أثر بالسلب عليها وهذه الكمية تساوي ثلث حاجة أوروبا الغربية كلها في هذا الوقت ثم تم تعديل مسار هذا الخط بفرع جديد يمتد جنوباً إلي آبار البترول علي الخليج العربي بتكلفة تقدر 300 مليون دولار لضمان نقل كل البترول من منطقة الخليج إلي البحر الأبيض دون حاجة إلي مروره في قناة السويس أو سوريا بصفة خاصة ... ونظراً للاوجود ولا أهمية للإنطلاق أو التواجد في المنطقة العربية من الإقليم الشرق أوسطي وللمصالح التركية الأوفر قيمة وتكنولوجية عالية بل ونفوذ أقوي بدأت تتجه وتعاود التعميق وبمزيد من العمق مع الولايات المتحدة الأمريكية وبدت لها بعض الصعوبات نتيجة للمشكلة القبرصية واليونانية من ناحية ومن ناحية أخري عدم الضغط بالقدر الكافي علي أوروبا (وخاصة فرنسا وألمانيا) نحو تخفيف القيود علي العضوية الكاملة لتركيا في الاتحاد الأوروبي واتجهت إلي القوقاز الواعد نحو مزيد من الثقل للقيمة والتواجد التركي وذلك في محاولة مع أرمينيا ولكن تبع ذلك بمشكلة أكبر مع أذربيجان (إقليم كاجورنوكاراباخ) المتنازع عليه بين أرمينيا وأذربيجان وتعارض ذلك مع المصالح التركية الاقتصادية الكبيرة مع أذربيجان فجمدت الموقف وعادت إلي مفاوضات الاتحاد الأوروبي في الدائرة الثالثة (الأولي الولايات المتحدة والثانية القوقاز) وبعد العديد من المراوغات الأوروبية عادت إلي مزيد من محاولات إثبات الذات ومزيد من الثقل للدور التركي فأتجهت نحو المفتاح الشرق أوسطي (فلسطين وبابه في القاهرة) في الدائرة الرابعة وفي البداية أثرت أن تستبدل باب الشرق الأوسط ومفتاحه ونقلته إلي الدائرة الخامسة وبدأت في أولوية الدخول وجعلت إسرائيل في الدائرة الرابعة ؟! .

ومن هذا المنظور أدركت تركيا أهمية الارتباط الاستراتيجي مع إسرائيل وخاصة بالنسبة لاستراتيجية القطب الواحد في النظام الدولي الجديد كمرتكز أساسي في منطقة الشرق الأوسط وذلك بما يؤدي إلي تعظيم مقدراتها السياسية والاقتصادية والعسكرية لتحقيق المكانة والثقل حتى تضمن تأهيلها لأن تكون قائدة للتفاعلات في النسق الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط .. وهكذا أتت التفاعلات التركية الإسرائيلية في الأعوام الأخيرة لتصب في هذه الاستراتيجية.

تركيا وإسرائيل فى الدائرة الرابعة :

بدأت تطورات العلاقة متسارعة منذ بداية حكم تانسو تشيللر ولكن بتبؤ نجم الدين أربكان رئاسة الحكومة الائتلافية التركية بدأت بعض الدوائر الغربية والإسرائيلية إبداء قلقها حول مستقبل العلاقات التركية الإسرائيلية وفي هذه النقطة وجب الرجوع إلي نقطة البداية فيها أو من أول السطر ..

حيث شهدت العلاقات التركية – الإسرائيلية في عهد رئيسه الوزراء السابقة تانسو تشيللر تطوراً ملحوظاً تزامن مع بدء تحرك عملية السلام علي المسارات العربية – الإسرائيلية وذلك بانعقاد مؤتمر مدريد عام 1991 وقد زاد وتيرة هذا التطور بعد توقيع بعض اتفاقيات بين بعض العرب (الأردن والفلسطينيين) وإسرائيل فقد حدث توسع ملحوظ في العلاقات السياسية والاقتصادية والسياحية بين البلدين وبدأت هذه العلاقات تصل إلي مرحلة الذروة بأول زيارة علي الإطلاق يقوم بها مسئول سياسي تركي رفيع المستوي لإسرائيل وهي رئيسة الوزراء التركية تانسو تشيللر في نوفمبر 1994 وذلك عودة وتكرار لوجهه النظر التركية الا وجود ولا أهمية للتواجد في المنطقة العربيـة حتى الآن) والانتقال بالمنطقة العربية من الدائرة الرابعة إلي الخامسة ؟؟؟!!

ولا تنبع أهمية هذه الزيارة من كونها أول زيارة لمسئول تركي بهذا المستوي لإسرائيل منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين عام 1949 ولكن ايضاً مما تم خلال هذه الزيارة من إبرام الاتفاقيات المهمة للتعاون الثنائي كاتفاق التعاون الثنائي في مكافحة الإرهاب وفي مجال الاتصالات كما تم في هذه الزيارة بحث فكرة التعاون العسكري بين البلدين ومشروعات تجارة ومياه ومنطقة حرة ..

ومع بداية عام 1995 بدأت أخبار التعاون العسكري تتسرب إلي الصحف وفي شهر يناير أشارت تقارير عن وجود اتصالات تركية

لتحديث طائرات فانتوم في إسرائيل لصالح القوات المسلحة التركية والثاني عن اهتمام تركيا بالتعاون مع إسرائيل في الإنتاج المشترك للصواريخ الموجهة .. وفي ذات الشهر أشارت بعض التقارير إلي أن مصر رفضت اقتراحاً أمريكياً لإقامة حلف عسكري مع تركيا والأردن وإسرائيل لتنفيذ مهام الأمم المتحدة في المنطقة كما قام الرئيس التركي بزيارة إسرائيل وأعلن بعدها عن احتجاز السلطات التركية لشحنة أسلحة إيرانية كانت مرسلة إلي مقاتلي حزب الله في جنوب لبنان وفي 8 فبراير من نفس العام قام نائب رئيس الأركان التركي بزيارة لإسرائيل بحث خلالها موضوع التعاون العسكري بين البلدين وبعد مضي سبعة أسابيع من هذه الزيارة كشف النقاب عن توقيع اتفاقية بين تل أبيب وأنقرة للتعاون في مجال التدريب العسكري وعلي الصعيد الاقتصادي أرتفع حجم التبادل التجاري بين البلدين عام 1990 من 263 مليون دولار إلي نحو 363 مليون دولار خلال عام 1995 .

ملحوظة هامة :

توجد في بعض المراجع الإسرائيلية ذات الصلة بالمؤسسات الأمنية الإسرائيلية أن تانسوتشيللر رئيسة الوزراء التركية في هذا الوقت كانت تتقاضي مبالغ مالية ضخمة لتعاونها المثمر مع الموساد الإسرائيلي والمخابرات المركزية الأمريكية وكان مكتوب علي الملف الخاص بها في الموساد " وردة الأناضول" ..

وهكذا يبدو للمتتبع للعلاقات التركية – الإسرائيلية في عهد تانسوتشيللر أنها تأخذ منحني صاعد وصل ذروته بالتوقيع عام 1996 علي اتفاقية للتعاون العسكري الأكثر عمقاً وهو الأمر الذي يدعو إلي التساؤل عن الأسباب التي دفعت بتركيا إلي إنتهاج هذا النهج في علاقاتها مع الدول الإسرائيلية وإن كنت أرجح ذلك تداخل المشكلات الداخلية في تركيا بمؤثرات خارجية مثل المشكلة الاقتصادية التي عانت منها تركيا في هذه الفترة من زيادة العجز في الموازنة التركية إلي 129 تريليون ليرة تركية (الدولار 33 ألف ليرة تركية) وذلك في الأشهر الأربعة الأولي من عام 1995 وبلغ معدل التضخم 150% سنوياً وانخفض دخل الفرد من2192 دولار سنوياً إلى 2004 دولار

وللخروج من هذه الأزمة المعرقلة لجهود تركيا علي صعيد توفير الشروط اللازمة لتطوير علاقاتها مع الاتحاد الأوروبي وجدت تركيا في علاقاتها مع إسرائيل مدخلاً لتحسين الأداء الاقتصادي إلي بحث إمكانية

إقامة منطقة تجارة حرة بين البلدين ويضاف إلي ذلك أن تعزيز العلاقات التركية الإسرائيلية علي كافة الأصعدة يعزز بدرجة كبيرة وضع تركيا في مفاوضاتها مع مؤسسات التمويل الدولية للحصول علي قروض جديدة تدعمها إسرائيل مع الولايات المتحدة أمام صندوق النقد والبنك الدولي كما أنه يمكن لإسرائيل أن تلبي طلبات تركيا في الحصول علي الأسلحة المتطورة والتي قد تكون في حيز الخطر من جماعات الضغط في أمريكا أو حتى أوروبا إذا ما واجهتها في مشكلة حقوق الإنسان .. كما أن المشكلة الكردية يمكن أن تجد الحل أو التهدئة بإيقاف الدعم بضغط إسرائيل علي أمريكا والغرب بشكل مكثف .. ولكن بدأ يظهر في الأفق صعود تيارات أوصولية إسلامية واغتيالات لعناصر علمانية مؤثرة في الداخل التركي..؟

وقد أثار صعود حزب الرفاه الإسلامي للسلطة ومشاركته حزب الطريق القويم في حكومة ائتلافية لأول مرة منذ إنتهاء الخلافة الإسلامية في تركيا عام 1923 آثاراً توجسياً كبيراً ليس في الأوساط العلمانية في تركيا بل في دول الجوار الإقليمي ودول غربية أخري.

وقد صدقت بعض من هذه التوقعات في بداية حكم نجم الدين أربكان والذي كان قد أكد أثناء حملته الانتخابية علي رفضه للتعاون العسكري مع إسرائيل وعلي تصميمه علي تعزيز علاقاته مع العالم الإسلامي بل أنه قام بعد ذلك بإصدار قرار لوزرائه بعدم توقيع قرض 650 مليون دولار مع إسرائيل لتحديث 45 طائرة فانتوم تركية لعدم مناسبة القرض في شروطه لتركيا ؟! إلا أن الموقف لم يستمر طويلاً فقد تعددت الزيارات المتبادلة بين مسئولية الدولتين بداية من وزير الدفاع التركي توهان تايان مروراً بالرجل اقوي في المؤسسة العسكرية التركية نائب رئيس هيئة الأركان التركي الجنرال شفيق بيير علي رأس وقد يضم 26 ضابطاً كبيراً ومسئولاً عسكرياً في الصناعات العسكرية التركية لتعزيز التعاون العسكري بين البلدين ؟! ومما يذكر هنا اللقاء الذي تم بين الرجل الثاني في حزب الرفاه قبل الانتخابات البرلمانية مع رجال سفارة أمريكا في أنقره وأكد فيها علي أن أربكان في حالة وصوله إلي الحكم سيحافظ علي علاقات التعاون الوثيق مع الولايات المتحدة الحليف الرئيسي لها ومع حلف شمال الأطلنطي.. كما منع الحزب – قبل توليه السلطة مسيرة الاحتجاج الشعبية التركية ضد زيارة الرئيس الإسرائيلي لتركيا بل امتدت عمقاً بمساحه لوفد برئاسة رئيس البرلمان التركي بزيارة إسرائيل وقد ضم الوفد لأول مرة نواباً من حزب الرفاه الإسلامي ايضاً ؟! ومن

هنا وجب علينا الفكر و التأمل نحو المنهجية التركية في التعامل والعلاقات بعيداً عن العاطفة أو تجنبها بحيث لا تطغي علي الفكرة والمصلحة في دوامة الأمنيات أو الحب الضائع؟! .

وتطورات العلاقات التركية الإسرائيلية حتى بلغت حد تشبع الاحتياج التركي وبدأت تتجه نحو الشرق الأوسط العربي في بابه أو نحو (الحلقة) الخامسة في مجال الأمن القومي التركي بالمسافة ثم المساحة ثم الحجم بأبعاده الثلاثة..

تركيا وإسرائيل

حدد أحمد داود اوغلو وزير الخارجية التركي نقطة البداية في العلاقات التركية الإسرائيلية عند اختيار تركيا الانضمام مضطرة للمعسكر الغربي بسبب التهديدات السوفيتية بعد الحرب العالمية الثانية واصفاً إسرائيل بأنها وليده دعم المحور الأطلسي (انجلترا – الولايات المتحدة) في الأساس وأن نجاح تركيا في الانضمام للمحور الغربي جعلها بالتالي في مأمن من الخطر السوفيتي وبالتالي وجب عليها أن تكون شريكا حتمياً لإسرائيل لكونها حلقة الوصل الهامة والواجبة في خطوات الانضمام لحلف الناتو (المعسكر الغربي بطبيعة الحال) ومن هنا كانت العلاقات التركية الإسرائيلية قد اتسمت بخصوصية تبادلية مع العلاقات التركية الأمريكية فقد أدت فعاليات اللوبي اليوناني والأرميني ضد تركيا إلي سعي تركيا إلي الحصول علي دعم اللوبي اليهودي باعتباره عنصراً متوازناً أدي إلي فتح الطريق أمام العلاقات التركية – الإسرائيلية .. وإن كنت أري من الأحداث وما واكبها بعد ذلك من تداعيات شرق أوسطية تدحض الأسباب التي ساقها احمد داود أغلو مهندس السياسة التركية الحديثة لأن تركيا كانت في موقع حتمي علي الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلنطي بكامله أن يساندها وبكل قوه مهما كانت الأسباب أمام حتمية تطويق الاتحاد السوفيتي لمنع اقترابه من الخليج العربي وما فيه من مصالح غربية تمثل الحياة والموت وبعيداً عن كافة الايدولوجيات أو الأفكار الشيوعية واثبت ذلك الأزمة العنيفة بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا في كوبا (خليج الخنازير) كما أطلق عليها فقد كانت رداً علي تواجد الصواريخ الإستراتيجية الذرية الأمريكية علي الأراضي التركية وموجهه إلي الاتحاد السوفيتي ؟! وانتهت باتفاق معلن من جانب الاتحاد السوفيتي بالانسحاب من كوبا مقابل سحب الصواريخ الأمريكية من تركيا ولكن غير معلن محافظة علي الهيبة الإمبراطورية الأمريكية الجديدة ؟! والدعم الغربي سوف يأتي بكثافة

مطلوبة كلما أمكن ذلك .. ولا داعي للتخلي عن الإرث التاريخي والثقافي بل والديني في الحقيقة في تابع من توابع الإمبراطورية العثمانية المنزوية في جانب التاريخ وقتها .. ولكن في الحقيقة إن تركيا تركت كل ما حولها مندفعة بقوة نحو القطار الجديد في العالم الذي تقوده الولايات المتحدة وإلا فلماذا تدخلت في حلف الغرب في الحرب الكورية وليس لها فيها ناقة ولا جمل ولم تملك أدوات الاستعداد الكافية بعد خروجها مهزومة في الحرب العالمية الثانية تعاني التمزق والاستقطاع في أقاليمها التي كانت إمبراطورية عثمانية ؟! ...

وبعد أن وضحت الرؤية لتركيا بأنها في وضع يفرض علي الغرب دعمها بدأت تركيا تميل نحو العمامة العربية بعد حرب حزيران في يونيو سنة 1967 بين مصر وإسرائيل وما تبع ذلك من إعلان إسرائيل بان القدس عاصمة أبديه لها فخفضت تركيا من علاقتها بإسرائيل إلي مستوي سكرتير ثاني ... ولكن بعد انهيار الاتحاد السوفيتي و إنتهاء الحرب الباردة وجلوس أمريكا علي قمة العالم ظهرت بوادر جديدة وخطط غربية نحو شرق أوسط جديد بما في ذلك نتائج جديدة لاتفاقية السلام في الشرق الأوسط و (كما تري تركيا) إنهاء المقاطعة الدولية لإسرائيل فعادت العلاقات التركية الإسرائيلية إلي وضعها الطبيعي بل وعوضت فترة المقاطعة والتجميد لتتسم تلك العلاقة ببعد علني ورسمي وايدولوجي في بعض الأحيان ؟! ولم تهتم تركيا بعبء علاقات تركيا مع دول أسيا وإفريقيا ومنظمة المؤتمر الإسلامي اسراعاً نحو سحب الوقت لصالحها قريباً من القمة خاصة وأن إسرائيل باتت تسعي إلي المزيد من الدعم الدولي والشرعي والحاجة إلي تعاون فعال (خاصة في المجال العسكري) مع دول من الشرق الأوسط غير عربية وبالطبع كانت تركيا .. وعندما ظهرت الحاجة إلي الموارد الاقتصادية وأموال الخليج العربي واحتمالات تخفيض الدعم الأوروبي بعد إنتهاء الحرب الباردة وجب علي تركيا التوازن بين التكاليف الأمنية والمصالح الاقتصادية بزيادة التقارب العربي والاتفاقيات الاقتصادية مع دول الخليج العربي .. ولاحت في الأفق خطوة جديدة تساعد في ذلك وهي البحث عن الذات قريباً من القمة وموضع قدم سياسي يساعد علي مكانة اللاعب الثانوي الهام في المنطقة وظهر ذلك خلال مباحثات السلام التي أجرتها إسرائيل مع سوريا من عامي 1995 وحتى عام 2000 بشأن الانسحاب من الجولان وهي مسألة تتعلق إلي درجه كبيره بالأمن القومي التركي كادت تدفع تركيا ثمناً لهذا بالموافقة علي دعم سوريا مائياً بما يعوضها عن مياه بحيرة طبرية عندما أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي أن

حل هذه المسألة يكمن في استمرار السيادة الإسرائيلية علي موارد المياه حتى وإن تم الانسحاب منها وتركها لسوريا؟! وجمدت المفاوضات حتى الوقت الحالي ولكنها أظهرت إمكانية تركيا في لعب دور الوسيط الفعال في منطقة الشرق الأوسط وأغري هذا النجاح واضعي السياسة الإستراتيجية التركية فزحفت نحو خطوات تاليه في مؤتمر دافوس للسلام وأسطول الحرية ورفض الاعتداء الإسرائيلي علي غزه ودعم حماس مما أوجب عودة العلاقات إلي المربع رقم واحد (مؤقتاً بطبيعة الحال) وعادت العلاقات الدبلوماسية إلي مستوي سكرتير ثاني بين إسرائيل وتركيا انتظاراً لحدث جديد شمالاً أو جنوباً طبقاً لما تأتي به الرياح والمصالح أيضاً ؟! .

وفي إطار التصعيد الأخير بين الجانبين التركي والإسرائيلي كشفت صحيفة " يدعوت احرنوت " الإسرائيلية وبخلفية مرجعية لوزير الخارجية الإسرائيلي ليبرمان عن خطة ثلاثيه الأبعاد ضد تركيا رداً علي إجراءات أنقرة الأخيرة ضد تل أبيب والتي شملت طرد السفير الإسرائيلي ووقف العمل بالاتفاقيات العسكرية المبرمة بينهما وأشارت الصحيفة إلي أن الخطوات العقابية الإسرائيلية تتضمن دعم المليشيات الكردية الانفصالية والتعاون مع الأرمن وبدء حملة دبلوماسية وقضائية لرصد الانتهاكات التركية لحقوق الإنسان .. وطبقا لتقرير يدعوت احرنوت فقد تلقي افيجدور ليبرمان وزير الخارجية الإسرائيلي تقريرا يفيد بأن ما يشغل تركيا في المقام الأول ليس الفوز باعتذار إسرائيل عن قتل النشاط الأتراك لدي توجههم ضمن قافلة الإغاثة إلي غزة وإنما استثمار خلافاتها مع تل أبيب لتدعيم مكانتها في العالم الإسلامي وإذلال إسرائيل .. ومن ثم نصح التقرير بالتركيز علي معاقبه انقره عبر صندوق أدوات عقابية سياسية وأمنية .. وأضافت الصحيفة أن الخطة الإسرائيلية تتضمن ايضاً تحذير كل من خدم في الجيش الإسرائيلي من السفر إلي تركيا ودفعهم للتعاون مع الأرمن من خلال الاعتراف بمجزرة الأرمن التي ارتكبتها تركيا مطلع القرن العشرين والجبهة الثالثة التي تعتزم إسرائيل فتحها ضد تركيا تتعلق بالاقليه الكردية في شرق تركيا التي تطالب بالاستقلال بإقليم كردستان المقسم بين تركيا وسوريا والعراق وإيران وفي هذا السياق يعتزم ليبرمان عقد لقاءات معلنه مع قياديين أكراد في أوروبا بهدف التعاون معهم وأوضحت الصحيفة أيضا انه اضافه إلي ذلك سيطالب ليبرمان السفارات الإسرائيلية في العالم برصد انتهاكات حقوق الإنسان في تركيا تقود لرفع دعاوي قضائية ضد تركيا ونقلت في النهاية تصريح قاله ليبرمان في اجتماع بوزارة الخارجية "

سوف نجني ثمناً من اردوغان يوضح له انه ليس مجدياً التحرش بإسرائيل ....".

و لم تترك صاحبة الإمبراطورية وحيدة القطبية الأمور تخرج عن هذا الإطار أكثر من ذلك حيث دعا الرئيس الأمريكي باراك أوباما تركيا وإسرائيل إلي أصلاح علاقتهما وذلك خلال محادثات مغلقة مع رئيس الوزراء التركي اردوغان علي هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة وعادت الطلبات الأمريكية من تركيا حيث أكد أوباما أن علي رئيس الوزراء التركي اتخاذ قرارات في شأن موضوعات عدة لتعزيز الديمقراطية مع دول الربيع العربي أو بمعني أكثر وضوحاً مع دول الشرق الأوسط العربية وتجاهل في ذات الوقت الإشارة إلي الملف الاسرائيلى – الفلسطيني الذي وعد به في بداية ولايته و قال بن رودس نائب مستشار البيت الأبيض لشئون الأمن القومي إن اوباما سينقل نفس الآراء إلى رئيس الوزراء الاسرائيلى بنيامين نتنياهو

و كشفت وثائق استخبارية أميركية سرية نشرها موقع ويكيليكس عن ما وصفته بتوتر العلاقات التركية الإسرائيلية، وعن أن الأميركيين محبطون وغاضبون بشأن السياسة الخارجية التركية غير المتناغمة مع الرؤى والتطلعات الأميركية وأشارت صحيفة لوس أنجلوس تايمز إلى أن المسؤولين الأميركيين حاولوا جهدهم إبقاء التوتر والخلافات المتزايدة بين اثنين من حلفائهم في أنقرة وتل أبيب بعيدا عن النشر على العلن.

وأضافت أن تركيا سرعان ما طردت إسرائيل وحرمتها من الاشتراك في مناورة عسكرية مشتركة قبل ساعات من بدئها عام 2009 في ظل الحرب الإسرائيلية على غزة، مما أزعج واشنطن التي شجعت أنقرة على تجاوز الخلاف حيث اعتبرت الولايات المتحدة عدم اشتراك إسرائيل في المناورات بأنه مجرد تأخر في الحضور للمشاركة و من هنا يظهر التداخل في العلاقات بين تركيا و إسرائيل و أمريكا

تركيا .. وسوريا

هي علاقة متشابكة وصعبه لأن كلا الطرفان لا يريدان الخوض إلي عمقها لعدم قدرة كلا الطرفان عن التخلي عن وجهة نظره وتمسكه بما في العمق النفسي والسياسي والثقافي والتاريخي أيضا انتظاراً لما تسفر عنه أحداث الحاضر والمستقبل الذي ربما يكون بعيداً ولكنه يمثل الأساس والأصل ويقوم كلا الطرفان بالضغط علي الأخر ولكن ليس إلي حد التصادم الساخن والعلاقات بين الدولتين تذكرنا بمباراة للملاكمة في جولتها الأولي حيث يتعرف الملاكم علي قوة الأخر .. وقد تحولت سيكولوجية الحسابات المتبادلة هذه إلي سمه أساسيه لا تتغير في سياق العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بحيث لا يتوقف أي من الطرفين عن الدخول إلي ساحة تصادم قريبه من الأخر ويمتنع الطرفان عن إنهاء الجولة وبدء مرحلة جديدة من العلاقات الودية الجديدة تفرضها التوازنات الدولية المتجددة دائماً طبقاً لتغير المصالح و تتدخل فيها الصلات الإقليمية بين تركيا واليونان وبين سوريا وإسرائيل فالسياسات الاسرائلية تجاه تركيا والسياسات اليونانية تجاه سوريا تنفخ في نيران التوتر التركي – السوري كلما هدأت ألسنتها ولازال الموقف في طور الترقب القطبي لم يحن بعد أو لم يصل بعد إلي التأثير السلبي الذي يوجب التدخل ويظل في موقف المراقب للأحداث ولكن عن كثب حيث رأينا في الحالات التي يضغط فيها التوتر الموجود في العلاقات التركية – السورية علي تركيا تكون إسرائيل هي الطرف الذي يوظف تحالفه النابع من فكرة التهديد المشترك علي أفضل نحو ممكن وفي الحالات التي يضغط فيها التوتر علي سوريا تقوم اليونان بالدور الذي تقوم به إسرائيل ؟! وهذا ما حدث في طرح إسرائيل خلال مباحثاتها مع سوريا فكرة أن تغطي سوريا احتياجاتها من المياه من تركيا في مقابل ترك مصادر المياه في مرتفعات الجوالان تحت الإشراف الإسرائيلي وذلك بعد أن استغلت إسرائيل مشكلة المياه بين تركيا وإسرائيل في عمليه السلام ؟! و تكرر ذلك من اليونان في سعيها نحو تحييد العالم العربي في مسألة قبرص مستغلة في ذلك التوتر التركي – السوري.. و سوريا تدرك أنها لن تتمكن من إحراز أيه نتيجة في ملف المياه من خلال الحرب مع تركيا فلا التوازن العسكري ولا الوضع السياسي بين الدولتين يصب لصالح سوريا.. كما أن أي صدام ساخن لن يسفر عن نتائج من شأنها إخراج الفرات ودجلة من الرقابة التركية.. فقد تطرح مسألة المياه في فترات معينة بوصفها عنصر ضغط دبلوماسي بوجه خاص .. غير أن التوتر القائم بين سوريا وتركيا يمكن أن يشهد مزيداً من التصعيد لأسباب

أخري ربما لا علاقة مباشرة لها بتركيا أو سورياً ؟! و صدام علي هذا النحو قد يكون مرهونا بعنصر أخر يوظف مشكلة المياه في فترات معينه.. فعند تصاعد اهتمام تركيا بدول البلقان والقوقاز تطل التهديدات في الجنوب التركي ومشكلة المياه برأسها ويتصاعد التوتر في العلاقات السورية – التركية وعندما يصبح المطلوب من تركيا أن تتراجع عن اهتمامها الدبلوماسي والعسكري بدول البلقان والقوقاز (دور القوي العظمي في تحريك الدول الثانوية ولكنها الهامة أيضاً نحو الاستفادة من تحالفاتها في اتجاه مصالحها).. فالتحالفات التي جرت خلال الحرب الإيرانية – العراقية بين سوريا وإيران من جهة والعراق ومصر والسعودية من جهة أخري تعد أيضاً من هذه التوازنات الداخلية في الشرق الأوسط كما انه يجب علي تركيا أن تضع في الحسبان بعد الأمن القومي المصري عند الضغط علي سوريا الذي دفع مصر الي التدخل الحاسم والسريع عند تصاعد الخلاف بدرجة مؤثرة بين تركيا وسوريا ومسارعة إيران للتدخل فيها أيضاً والتي قد تمتد إلي الدور العربي بشكل عام يؤثر بشكل قوي في توازنات الشرق الأوسط وهذا ما تضعه تركيا في الاعتبار بحيث لا تؤثر التصاعدات علي التوازنات ؟! وتري تركيا في النهاية أن العلاج الناجح لهذه العلاقات السياسية المتوترة يتمثل في تشكيل نطاق من المصالح الاقتصادية المشتركة (وإن كنت أراها من المسكنات المهدئة الموقوتة بقوة تأثيرها) ووجدت

تركيا بغيتها في مباحثات السلام التي أجرتها إسرائيل مع سوريا في أواخر عامي 1995 : 2000 والخاصة بشأن الانسحاب من الجولان ومنابع المياه في شرق الأناضول نجد إن الأرضية والإشراف .بل قل الاشتراك التركي لأن إسرائيل تري أن ألمساهمه التركية أساسيه في المباحثات وبالطبع الإسرائيلي الذي لا يريد أن يخسر شيء كسبه وإن أمكن يأخذ مقابل التفاوض ويحاول أن يكسب اضافياً من تفاوضه ويقول في هذا شيمون بيريز " إنه من غير الممكن التوصل إلي اتفاق مع سوريا دون التوصل إلي حل حول الموارد المائية في مرتفعات الجولان .. ثم أضاف أن حل هذه المشكلة يكمن في سيطرة إسرائيل علي موارد المياه في الجولان حتى وان تم الانسحاب منها علي أن يتم تعويض سوريا بمياه من الموارد المائية التركية ، مما يعطي لتركيا دوراً اكبر وتأثيراً أعمق في المنطقة بشكل عام وعلي سوريا بشكل خاص وتحصل إسرائيل علي الشرعية في ابتلاع المياه (مفاوض لا يخسر إلا مجبراً) ؟!

و من هنا نجد انه يوجد في العمق ما هو أشد وأخطر من العلاج والذي يحتاج إلي تدخل ربما يكون جراحي بشكل مؤلم حيث تري سوريا أن لواء

الاسكندرونة هو مشكلة أو أزمة في العمق والنفس تطالب بها سوريا التي لا تعترف حتى الآن بالإجراء الذي اتخذته فرنسا بتنازلها عن لواء الاسكندرونة لتركيا وتري سوريا أن هذا التنازل لم يستند إلي أي حق أو سند قانوني لعدم اعتراف سوريا بحق فرنسا في هذا التصرف وإن حاولت تركيا إيجاد حل سابق لحل المشكلة عن طريق ضم سوريا إلي حلف بغداد الذي لو تحقق فقد يزيل مثل هذه المشكلة ولكن لم تنجح هذه المحاولات ؟! و تبقي في النفس المرارة والانتظار لما قد يكشف عنه المستقبل وهو كثير بل أكثر مما يتوقع المحللون والدارسون لأغوار وتاريخ الشرق الأوسط سلباً أو إيجاباً وليست خطط الشرق الأوسط الغربية بشكل عام والأمريكية بشكل خاص ببعيدة عن تلك الأحداث لإعادة اللعب من جديد وبقواعد وأسس جديدة في النهاية تصب في المصالح الأمريكية في المنطقة ولكن يبدو أن رياح الربيع العربي قد يكون لها رأي أخر في تأثيرها علي سفن السياسة في الشرق الأوسط ؟!..

تصاعد الخلاف

تتطور الأحداث سريعا بين تركيا وسوريا ، بعد أن تصاعدت حدة الخلافات بين البلدين الجارين ، بسبب الموقف التركي المساند للشعب السوري الباحث عن حريته ، وفتح أراضيه أمام اللاجئين الفارين من رصاص الجيش والأمن السوري واستضافة المعارضة علي أراضيها وكذا ضباط الجيش المنشقين علي النظام ، الأمر الذي دعا سوريا إلي اتخاذ موقف عدائي من الحكومة التركية ، واتهامها بتسليح المعارضين والعمل علي دحض دورها المحوري في المنطقة بصفتها دولة الممانعة والمقاومة وان تركيا تلعب هذا الدور لمصلحة إسرائيل حتى تفرغ لها الساحة

أسئلة كثيرة لابد أن تقفز دفعة واحدة إلي الذهن عند متابعة الموقف التركي مما يجري في سوريا إلي درجة أن الكثير من المتابعين يرون انه سيكون لهذا الموقف تأثير بالغ علي مستقبل الأزمة السورية ومصيرها في ظل الحدود الطويلة بين البلدين والتي تصل إلي نحو 800 كلم وتداخل العوامل الاجتماعية والتاريخية والثقافية و الامنيه والبشرية ، في ظل الحديث التركي المتواصل عن أن الأزمة باتت شأن تركي داخلي . وبدأت تركيا تتخذ موقفين في نفس الوقت الأول : هو الإعلان المستمر عن الحرص الشديد علي الإصلاح من خلال النظام وتحديدا من خلال الرئيس بشار الأسد والحفاظ علي استقرار سوريا وأمنها ووحدتها . والثاني : التصعيد والتهديد بما في ذلك التلويح بالتدخل العسكري وإقامة منطقة أمنية عازلة بين البلدين علي غرار ما جري مع العراق في السابق ، بل وحتى

المشاركة في عمل عسكري إذا ما تطورت الأمور أكثر وذلك علي غرار ما جري مع ليبيا ، حيث أشار رئيس الوزراء التركي رجب طيب اردوغان أكثر ن مرة إلي أن تركيا لن تتخلف عن التحرك إذا ما اتخذ المجتمع الدولي إجراءات ضد سوريا في إشارة إلي إمكانية القيام بعمل عسكري ما ضد دمشق .

فتركيا تتحرك تجاه المشهد السوري كأخطر لاعب إقليمي ، ترسل الموفدين من جهة ، وتحتضن مؤتمرات المعارضة السورية وتؤمن المنبر الإعلامي للمراقب العام لحركة الإخوان المسلمين محمد رياض الشقفه من جهة ثانيه ، والأخطر من هذا وذاك وضع الخيار العسكري علي الطاولة من جهة ثالثه .. كلها مؤشرات تؤكد ليست نهاية نظرية صفر المشكلات التي طرحها وزير الخارجية التركي احمد داود أوغلو وما سمي بنظرية العمق الاستراتيجي فسحب ، بل العودة إلي ما قبل المربع الأول ، أي أمكانية الصدام انطلاقا من جمله عوامل وأسباب كامنة تحت رماد التاريخ ومصالح السياسة والعلاقات الدولية والصراعات الجارية والتطلعات المستقبلة لخريطة المنطقة .

والمتتبع للعلاقات السورية – التركية يجد أنها وصلت قبل بدء الاحتجاجات في سوريا قبل نحو سبعة أشهر إلي مستوي القمة ، إذ وقع الجانبان خلال الفترة الماضية علي عشرات الاتفاقيات وتم فتح الحدود وإلغاء تأشيرات المرور ، ومارس الجانبان معا سياسة مشتركة هدفت إلي منع اقامه كيان كردي في المنطقة ، وشكل البلدان المجلس الأعلى الاستراتيجي للعلاقات ، وللمرة الأولي في التاريخ العلاقات بين البلدين تطورت العلاقات العسكرية بينهما إلي درجة أن الجيشين السوري والتركي اجريا مناورات مشتركة بعدما كان الجيش التركي طوال العقود الماضية يرتبط بعلاقات وثيقة مع إسرائيل وعلي شكل تحالف ضد العرب .

تري تركيا أن تجربتها الإصلاحية تجربة رائدة تصلح لتحقيق التغييرات الديمقراطية في عموم المنطقة ولاسيما في سوريا حيث دور وتأثير العوامل والعلاقات التاريخية والجغرافية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية بين البلدين ، وعليه تبدي تركيا اهتماما خاصا بالأزمة السورية خلافات للوضع في تونس ومصر وليبيا واليمن والبحرين ، وهي تنطلق في ذلك أن التغيير ينبغي أن لا يؤدي إلي انهيار الاستقرار في سوريا ، فقضية استقرار سوريا قضيه حساسة بالنسبة لتركيا وأمنها القومي ، فهناك 800 كيلو متر من الحدود المشتركة ووجود قرابة مليوني كردي سوري في المناطق الحدودية المجاورة لتركيا يشكلان قلقا لتركيا خاصة في

ظل علاقة أكراد سوريا مع أبناء بلدتهم في أكراد تركيا والعراق والخوف التركي الدفين من قيام دولة كردية في المنطقة .

كما أن تركيا التي ترفع راية الإصلاح والديمقراطية وأيدت بقوة ثورة الشعب المصري ضد نظام حسني مبارك ولاحقا ثورة الشعب الليبي ضد نظام العقيد معمر القذافي لا تستطيع أن تتخذ موقفا مغايراً في الحالة السورية ، كما أن السياسة التركية ورغم انفتاحها الكبير علي العالمين العربي والإسلامي في عهد حزب العدالة والتنمية فإن تركيا في سياساتها العليا لا تزال تتحرك وفق العديد من العوامل المرتبطة بالغرب وإستراتيجيته تجاه منطقة الشرق الأوسط ، وذلك في إطار التطلع إلي فرض مشهد إقليمي سياسي محدد علي المنطقة ، فتركيا ورغم فتور علاقاتها مع إسرائيل لها علاقات قوية مع واشنطن والغرب عموما كما أنها عضو مهم في الحلف الأطلسي الذي بات يشكل الجناح العسكري الأهم للسياسة الأمريكية تجاه العالم .

من الواضح ، أن أولويات الجانبين باتت مختلفة ، فبعد أن وصلت الأمور في سوريا إلي نقطة حرجة تقف فيها البلاد عند مفترق الطرق باتت أولوية النظام هي الأمن وبأي ثمن كان كخطوة لابد منها لتأمين الأجواء المناسبة لتنفيذ الخطوات الإصلاحية التي بدأ النظام بها حيث أصدر العديد من القرارات والمراسيم وشكل العديد من اللجان لهذه الغاية ، فيما يري الجانب التركي أن الأولوية باتت للتغيير السياسي والانتقال إلي مرحلة جديدة ، وأن تحقيق الأمن والاستقرار لم يعد ممكنا بالأدوات الأمنية وأصل المشكلة هنا ، هو أن ثمة اختلافا بين رؤية الجانبين لما يحدث ، فالنظام السوري يضع الأمر في خانة المؤامرة ، فيما تركيا تري أن لا مؤامرة و دمشق تقول أنها شرعت في إصلاحات مدروسة وشكلت لجانا لهذه الغاية وبطريقة لا تخرج الأمور عن السيطرة ، فبينما تري تركيا أن الإصلاحات التي أعلنت عنها حتى الآن غير ملبية للتطلعات ، وتقول المصادر التركية أن المبعوثين الأتراك الذين ذهبوا إلي دمشق خلال الفترة الماضية حملوا معهم العديد من المطالب للرئيس الأسد

وأمام المطالب التركية التي تأخذ طابع الإلحاح والتغيير باسم الإصلاح يري النظام السوري الذي يعتز بمواقفه الوطنية والقومية وقدراته الدبلوماسية في إدارة الملفات الإقليمية .. يري صعوبة كبيرة في هضم (الدروس التركية) التي تحدد مجالات الإصلاح والتغيير وما الذي ينبغي فعله والأهم ما تريده أنقرة وما يمكن أن تفعله في المرحلة المقبلة إذا تطورت الأمور أكثر بين أنقرة ودمشق . ومع تطور الأزمة السورية

ونزوح ألاف من السوريين إلي داخل الأراضي التركية هربا من الأوضاع الأمنية في بلادهم ورفع أردوغان من سقف تصريحاته النارية تجاه دمشق ، هناك تأكيد بان العلاقات السورية . التركية دخلت مرحلة الخطر ، ومرشحه للمزيد من التوتر .

وفي المقابل، فإن هناك إحساسا سوريا عميقا بأن تركيا في سياستها الجديدة تجاه الأزمة السورية الجارية غير بعيدة عن الموقف الأمريكي والغربي عموما، بل أنها تلعب دوراً إقليميا لفرض واقع سياسي معين في سوريا وعليها. كما أنها تشعر أن الغرب يتحرك عبر تركيا علي هذا النحو .

إذن فالموقف بين البلدين في غاية الصعوبة وتطوراته بشكل سلبي ستؤثر بطريقة مباشرة علي منطقة الشرق الأوسط بأسرها في ظل التصعيد المحتمل وبالأخص العسكري بعد إعلان تركيا أن سوريا نشرت صواريخ اسكندر علي حدودها بعد المناورات العسكرية التركية التي تمت علي الحدود بين البلدين .

استمرار التصاعد

حيث تعتزم الحكومة التركية فرض عقوبات على نظام الرئيس بشار الأسد و"ليس الشعب السوري". يأتي ذلك بينما تبحث الأمم المتحدة إدانة دمشق على قمع المحتجين دون إقرار عقوبات. وفي سوريا أصدر الأسد مرسوما جديدا يقضي بتشكيل اللجنة العليا للانتخابات في البلاد.

ونقلت وكالة رويترز للأنباء أن حكومة رجب طيب أردوغان تحضر قائمة عقوبات ضد نظام الأسد يستكمل الحظر المفروض بالفعل على الأسلحة التي شرعت به أنقرة مؤخرا، في خطوة تقرب السلطات التركية من الموقف الغربي، وتباعد حكومة أردوغان عن موقف حافظت عليه حتى الآن في معارضة فرض عقوبات على جيرانها في الشرق الأوسط.

ويتوقع أن تعلن قائمة العقوبات التركية الجديدة عقب زيارة يقوم بها أردوغان إلى مخيمات اللاجئين السوريين في المناطق التركية على الحدود مع سوريا، والتي تؤوي قرابة سبعة آلاف لاجئ.

وقالت الحكومة التركية إن العقوبات المتوقعة سوف تستهدف نظام الأسد وليس الشعب السوري، لكنها لم تقدم تفاصيل حول طبيعة تلك العقوبات

وحجمها. وقال مسؤولون أتراك طلبوا عدم كشف هوياتهم إن العقوبات تمس الجوانب العسكرية والمالية وقطاعات الطاقة بين البلدين.

وكان رئيس الوزراء التركي قد صرح في حديث لوسائل الإعلام الأميركية أن الشعب السوري سوف يسقط نظام الأسد عاجلا أو آجلاو أعلنت تركيا أنها بصدد إجراء تدريبات عسكرية قرب الحدود مع سوريا وأن رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان قد يكشف عند زيارته مخيمات اللاجئين السوريين في بلاده في الأيام القادمة عن خطوات يتعين على أنقرة اتخاذها ضد دمشقوأشارت صحيفة وول ستريت جورنال الأميركية إلى أن هذه التحركات والتصريحات التركية تأتي بالتزامن مع ظهور الضابط السابق في الجيش السوري العقيد رياض أسعد وإعلانه من تركيا بطلان تقارير تحدثت عن اعتقاله وتسليمه لدمشق وذكرت القوات المسلحة التركية في موقعها على الإنترنت أنها ستجري تدريبات عسكرية في منطقة هاتاي (لواء الإسكندرون) على مقربة من الحدود السورية وأضافت أن التدريبات تجرى ضمن عملية روتينية باشتراك لواء عسكري ميكانيكي ونحو سبعمائة من جنود الاحتياط.

وفي حين قال أردوغان للصحفيين -أثناء زيارة له إلى جنوب أفريقيا- إنه "لا يمكن لنا البقاء متفرجين لوقت أطول على التطورات التي تجري في سوريا"، أضافت وول ستريت جورنال أن رئيس الوزراء التركي أعلن دعم بلاده لمشروع قرار ضد سوريا في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

و توقع رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان أن يطيح الشعب السوري بالرئيس بشار الأسد "عاجلا أم آجلا"، قائلا إن "زمن الحكم الدكتاتوري يتلاشى في أنحاء العالم".

وقال أردوغان -في مقابلة مع شبكة سي أن أن الأميركية، موجها كلامه إلى الأسد- "لا يمكنك أبدا أن تظل في السلطة عن طريق القسوة، لا يمكنك أبدا أن تقف في وجه إرادة الشعب".

وأضاف "هذه العملية ربما تستمر لفترة أطول قليلا، لكن عاجلا أم آجلا إذا اتخذ الناس قرارا مختلفا في سوريا فإن ذلك القرار سيلبى، فالشعب يريد الحرية مثلما حدث في مصر وتونس وليبيا".

كما قال إن "خطى الديمقراطية أصبحت تسبق الحكم الاستبدادي، والأنظمة الدكتاتورية تحترق وتسقط أرضا".

وتطرق أردوغان إلى تقارير عن قضائه عطلات مع الأسد، فقال إن الرئيس السوري دعاه إلى مكان لقضاء العطلات في سوريا، لكن لمناقشة العلاقات بين البلدين، موضحا أنهما لم يقضيا معا أي عطلة في إطار علاقة شخصية.

وقال مجددا إن "صبره على الأسد نفد أخيرا". وأضاف موجها كلامه إلى الأسد "إذا كنت ستتخذ إجراءات ضد الحقوق الأساسية والحريات والقانون، فسوف تفقد مكانك في قلبي كأخ وصديق". واستطرد قائلا "لقد تحليت بالصبر الشديد، الصبر الصبر الصبر، وبعد ذلك ضقت ذرعا".

و إلى هنا تصدق ألحكمه الامريكيه و إن كنت لا اقبلها لان المبادئ لا تتجزأ و هي انه يوجد تحالف دائم و لا عداء دائم و لكن مصالح دائمة و تلك هي سياسة اليوم .....



الـفـصـل الـثـالـث

تركيا وإيران

إن العلاقة بين إيران وتركيا لها سمات خاصة وطبيعة تختلف عن أي حلقة أو دائرة من دوائر الأمن القومي التركي.. ولذا لم تدخل في ذلك الحيز لعدم التشابه واختلاف المصالح والأهواء أيضاً بين كلا الدولتين وعلاقة تركيا بدوائر الأمن القومي الخمسة الأخرى.. وإن كان هناك تشابه في الهدف لكل منهما وهو التواجد المؤثر و ربما الهيمنة في أحداث الإقليم الشرق أوسطي و أيضا لكي يكون دولة من الدرجة الأولي وقريباً من القمة ؟ ومن دواعي الاهتمام بتلك العلاقة أن النظرة الغربية والأمريكية لكل منهما تؤهل إلي ذلك .. ويقف الغرب أمام خط البداية لهما معاً وانتظاراً لمن سيكون السبق وأيضا في العمق يتمني الغرب الأوروبي (وإن لم يظهر ذلك) بأن تكون الغلبة والفوز من نصيب إيران ورغماً عما يبدو في الظاهر وفي أوراق الصحف والكتب والفضائيات أيضا ؟! ولأسباب واضحة ولكنها أيضاً خلف الستارة (الأبواب المغلقة) لأن معضلة العلاقة بين تركيا والاتحاد الأوروبي (رغبه تركيا في الانضمام للاتحاد الأوروبي) وهذه المعضلة أو العقبة غير موجودة بالنسبة لإيران ومن ناحية أخري فإن كون تركيا تدين بالمذهب السني فهذا أيضاً غير محبب بأن تكون للعاطفة (والتأثير الشعبي) بالتالي وجوداً أو مؤثراً في علاقة لابد أن تحكمها المصالح وطبيعة الدور المنتظر لمن يتولي الوكالة أو التنفيذ للسياسات الغربية في الشرق الأوسط.

خط البداية :

يقف كل منهما علي خط واحد وظروف متشابهة فكل منها دولة ملاصقة للإقليم الشرق أوسطي العربي ويدين كل منهما بالدين الإسلامي (الأغلب والأعم في المنطقة) وذلك رغم اختلاف المذهب وكل منهما يتطلع لدور الوسيط أو الوكيل الغربي والأمريكي وكل منهما يتمتع بوفرة سكانية تؤهله لذلك والوضع الاقتصادي لكل منهما (بترول إيراني) و(اقتصاد تركي) يؤهل لهذا الوضع ايضاً ؟!.. ولكل منهما أيضاً وأخيراً مرجعية

تختلف عن مرجعية دول الشرق الأوسط العربية ولكل منهما لغة خاصة به (الفارسية الإيرانية) و(التركية بحروف لاتينيه) ؟! ويغطي كل ذلك أو علي سقفه شعور كل منهما بعلو الكعب والمستوي عن باقي دول الشرق الأوسط العربي (الخليفة الايرانيه للإمبراطورية الفارسية) و(الخلفية التركية للإمبراطورية العثمانية) .. أليس كل ذلك بموجبات الوضع في الاعتبار عند التفكير أو التطرق للعلاقة بين ايران وتركياً ؟! .

العلاقة الخاصة بينهما :

وهي علاقة بدأت علي أرض الواقع في القرن الثامن عشر حيث كانت أفغانستان (وهي محور ومفصل العلاقة بينهما في هذه الفترة) تتقاسمه ثلاث حكومات (دوما ما يعود التاريخ في دوراته) وهذه الحكومات هي كابول الخاضعة للحكم الهندي وبلخ الخاضعة للأزبك وهراة وقندهار الخاضعتان للفرس وفي عام (1706) ثار أفغانيو قندهار بقيادة مير (أمير) فايز وطردوا الفرس وغزا ابنه مير محمود فارس وخلع الحاكم الصفوي حسين ونصب نفسه شاهاً (بدعم ديني) لأن الأفغان في هذا الوقت كانوا يتبعون المذهب السني ويكفرون الفرس المتشيعين وقتل محمود في ثورة غضب ثلاثة آلاف من حرس (حسين الفارسي) وثلاثمائه من أشراف الفرس ونحو مائتي طفل اشتبه في إنهم استنكروا قتل آبائهم ؟! وفي يوم (7 فبراير سنه 1625) قتل جميع أفراد الاسره الملكية الفارسية عدا حسين واثنين من أبنائه الصغار ثم قتل الملك محمود نفسه علي يد ابن عمه اشرف في (22 ابريل عام 1725) ونادي بنفسه ملكاً (شاه) واستنجد ابن حسين ويدعي (طهماسب) بروسيا وتركيا فأستجابت كل منهما للنجدة وان اتفقا فيما بينهما علي اقتسام فارس ؟! ودخل الجيش التركي فارس واستولي علي همدان وقزوين والمراغة ولكن هزمه أشرف قرب كرمانشاه (وظهر الدعم الديني أيضاً) حيث كان الجنود الأتراك يفتقدون ألحماسه فقد تساءلوا عن أي سبب يدعوهم لمقاتله الأفغانيين وهم أخوة سنيون علي شاكلتهم ليردوا الصفويين الشيعيين الزنادقة إلي الحكم وتصالح الأتراك مع أشرف ولكنهم احتفظوا أيضاً بالأقاليم التي فتحوها في فارس (عام 1927) وان كان للتاريخ كلمه أخري بعد ذلك علي يد مقاتل فارسي غير الأحداث واسمه " نادر فيلي " وهي تعني بالعربية (عبد الله) .. وتلك البداية كان لابد ولازماً الاشاره إليها في العمق والعبد لأن الشعوب لا تنسي ؟! ..

مسرح العمليات :

ولطالما بدأت الحركة من نقطة البداية فكان لابد من مقدمات للاقتراب نحو التنافس ولكن في الدائرة القريبة (الخليج مثلاً) الظروف والمحددات الدولية لا تسمح بالتنافس والخطوط الحمراء بل والأحمر القاني فوق الرقاب لا تسمح بالتفاعل أو التنافس وبشكل متعرج لا يفهم فك طلاسمه شرق أوسطيون لذلك وجب اختبار القوة وتحديد الفائز بالغنيمة الشرق أوسطية نحو الوكالة في ملعب قريب لا يمكن بالطبع أن يكون قريباً من القوقاز أو الأوروبي أو الأسيوي أو حتى الإسرائيلي ولم يكن ما يناسب الصراع سوي مكان متسع وفسيح للاختبار والتباري ولم يكن مناسباً لذلك (مؤقتاً) إلا الملعب الأفريقي فماذا حدث من تلك هي القضية ..؟! .

ملحوظة هامة :

" الشرق الأوسط كان لزيادة المكانة والثقل مع الإدراك الكامل لكل قواعد اللعبة وشروط السباق !! ولكن اللقاء في الملعب الإفريقي أرحب وأوسع وأنسب أيضاً ..."

تركيا وافريقيا :

في مايو سنه 2008 وافق البنك الأفريقي للتنمية (أكبر مؤسسة مالية إفريقيه) علي انضمام تركيا وهو الأمر الذي يسمح لها بالمساهمة في رأس مال البنك وبعد أن كان إجمالي التبادل التجاري بين تركيا والقارة الإفريقية في عام 2003 نحو 5.4 مليار دولار قفزت الصادرات التركية إلي إفريقيا لتصل إلي 13 مليار دولار في عام 2009 وقد دخلت تركيا بين شركاء تنمية القارة بفضل مشاريع و فاعليات متزايدة للوكالة التركية للتنمية والتعاون الدولي ..

وبدأت أول خطوة بزيارة الرئيس التركي عبد الله حول إلي جمهورية الكونغو الديمقراطية في مارس سنه 2010 بداية جديدة وفي إثيوبيا وبتأثير الرجوع إلي الخلق في العلاقة الثنائية بين إثيوبيا وتركيا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني والإمبراطور مينيلك الثاني وزادت في عام 1926 بعد تأسيس الجمهورية التركية في عام 1923 إلي مستوي السفارة و إن أغلقت في عهد النظام الشيوعي وتم إعادة الافتتاح في عام 2006 ؟!! وقد بلغ حجم التجارة الثنائية 115 مليون دولار في عام 2006 كما عززت تركيا وجودها في إثيوبيا من خلال زيادة عدد الشركات التركية العاملة بشكل رئيسى في صناعه المنسوجات والسلع المعمرة في إثيوبيا.. وقد وصل عدد الاتفاقات والمعاهدات والبروتوكولات ومذكرات التفاهم الثنائية بين البلدين إلي تسع وعشرين اتفاقية منذ عام 1993 وتجري حالياً دراسة إنشاء منطقة

تجاره حره بين البلدين ... و بالنسبة للسودان فقد كانت تركيا من أولي الدول التي أعترفت بالسودان بعد الاستقلال وتشارك حاليا؟ في بعثه الأمم المتحدة الموجودة في السودان كما تساهم تركيا في ميزانية بعثه الأمم المتحدة في السودان .. وبلغ حجم التجارة الثنائية عام 2008 إلي 225 مليون دولار علاوة علي ذلك فقد بلغت الاستثمارات المباشرة التركية في السودان إلي ما يقرب من 50 مليون دولار ويجري حالياً إتخاذ الخطوات اللازمة لجعل الائتمانات التركية متاحة في بنك التصدير والاستيراد التركي إلي السودان والتي من شأنها أن تسهم بقدر كبير في تحقيق مشاريع ضخمة للبنية التحتية في السودان ففي ابريل سنه 2006 تم افتتاح مكتب تنسيق وتنفيذ برنامج المساعدة في الخرطوم ومنذ ذلك الحين نفذت الوكالة أربعة مشاريع لشبكات مياه الشرب في جنوب ولاية كردفان وتوجد مذكرة تفاهم لإنشاء آلية للمشاورات السياسية بين وزارتي الخارجية وإتفاقية إنشاء مجلس أعمال تركي – سوداني وبالنسبة لكينيا فقد مثلت زيارة الرئيس التركي عبد الله حول إلي نيروبي في فبراير سنه 2009 تحولاً في العلاقات الثنائية وارتبطت تركيا وكينيا بالعديد من الاتفاقيات المشتركة وهناك بروتوكول تعاون ثنائي بين وزارتي الخارجية للبلدين في عام 2002 واتفاق للتعاون التجاري والاقتصادي وفي عام 2009 تم توقيع مذكرة تفاهم لرحلات الطيران واتفاق بشأن تأشيره الدخول والجوازات ووصل حجم التجارة الثنائية إلي 90 مليون دولار في عام 2008 واستفادت الشركات التركية من اتفاقية التسهيلات التي منحتها لها كينيا في ميناء مومباسا والتي لها دور رائد في التجارة مع شرق إفريقيا .. وإلي هنا نجد أن تركيا تسابق الزمن بمعدل مخيف لا يضيع معه وقت اليوم الواحد فهي حركة تتناسب وتتوافق أيضا مع حركة الأحداث وبمنهجيه مدروسة بشكل جيد وكافي لأن الزمن يضيع مع الغافلين بين الأساطير وصراع طواحين الهواء ؟! ..

ولم تترك إيران الملعب في يد الأتراك ولكنها تتحرك وبصوره أعنف ربما لعدم القدرة علي الحركة الاقتصادية في ظل ظروف الحصار والتدخل الأوروبي لتسهيل الدور التركي لتحقيق الضغط المطلوب علي إيران لتزداد طواعية وتبتعد عن الغطرسة وتدخل تحت الجناح الأوروبي والأمريكي بشكل يحقق المصالح الأوروبية والأمريكية لتتولي ما يمكن أن يوكل إليها من أدوار في المستقبل .. ولكن إيران سعت إلي الحركة في حدود الممكن والأسرع وأسرعت الخطي بشكل أسرع من المتوقع ويرتبط ذلك بما أعلنه قائد الحرس الثوري الإيراني الجنرال علي جعفري عن أقامه قواعد بحرية إضافية في بحر عمان وقامت بالتواجد علي الملعب الإفريقي

من خلال مؤسسات ما يسمي " البنياد " وهي مؤسسات خيرية تعمل بمعزل عن الحكومة الإيرانية بشكل رسمي ولكنها تتبع في النهاية المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية وبشكل مباشر ؟! وهي تمثل كيانات اقتصادية عملاقه تناطح إمكانية الدول الإيرانية ذاتها مثل مؤسسة المستضعفين والشهيد والإمام الرضا والخامس عشر من خرداد وتمارس أنشطة دينية وسياسية وتقديم الخدمات الاجتماعية وهي معفاه من الضرائب وهي في الاعتبار الإيراني خادمه للمصالح العليا الإيرانية .. ومنذ عام سنه 2009 أسرعت إيران من خطواتها وقام كبار المسئولين الإيرانيين بأكثر من عشرين زيارة لأفريقيا وكان أخرها في عام 2010 التي قام بها نجاد في ابريل سنة 2010 لأوغندا وزاد الاهتمام الإيراني بالسودان وسط تقارير تفيد باستئناف التعاون العسكري بين البلدين وعودة الخبراء العسكريين الإيرانيين إلي السودان لتنضم إلي التواجد في خليج عدن واليمن والقرن الإفريقي وخليج عمان وذلك لتأكيد طموحاتها وتأثرها الإقليمي وتحسين أوراقها التفاوضية عبر فرض دورها في معادلات جديدة علي الأرض.

عند خط التماس أيضاً: ولكن بحذر وقيود..

حيث عبر عن ذلك الأستاذ الدكتور أحمد داود اوغلو مهندس السياسة الخارجية التركية ووزير خارجيتها أيضا وهو تعبير جديد يتمثل في الارتباط الوثيق بين الرؤية والتخطيط ثم مهام التنفيذ أيضا بما يشكل تناغم يبتعد عن تعدد الأيدلوجية أو الانتماء أو حتى الخلفية العلمية حيث يري أن إيران اكتسبت أهميه دولية فضلاً عن تأثيرها الإقليمي نتيجة للتصورات المتعلقة بخصائص الثورة الايرانيه المعادية لأمريكا في تصوراتها للنظام الدولي وبالتموج الذي يمكن أن يؤدي إليه هذه الثورة لاسيما في الشرق الأوسط ولذا جعل التوتر الأمريكي الإيراني الذي بدأ مع الثورة وتصاعد مع أزمة الرهائن من إيران عنصراً من عناصر التوتر الدولي خلال عقد الثمانينات – كما أدي إلي رفض الولايات المتحدة لإيران وإقصاؤها من الساحة الدولية إلي خروج إيران عن مسارها التقليدي ذي المحور الأمريكي الذي اتخذته في عهد الشاه واقترابها من الاتحاد السوفيتي والاتحاد الأوروبي والقوي الأسيوية . وكانت جهود إيران الرامية إلي تشكيل ساحة سياسية خارجية جديدة وفقاً للمعيار الأوروبي الأسيوي تحظي بثقل واضح خلال مرحلة الإصلاح البرجماتي الذي قاده رافسنجاني وإن كانت العلاقة التركية الإيرانية لم يمنع التأثير والتأثر فيها البعد العقلاني المستند إلي تراكمات التجربة التاريخية في العلاقة المتبادلة بينهما (عودة التاريخ والجذور) مع مراعاة الوضع في الاعتبار الوضع الدولي و

الإقليمي لمرحلة ما بعد الحرب البادرة بتأثير بين الضروريات الجغرافية – التاريخية وتطورات أوضاع النظام الدولي .

وبينما كان من المتوقع أن ينعكس التوتر الذي نجم عن الخيار الاستراتيجي الذي اتخذته تركيا بتوجهها إلي الولايات المتحدة بينما توجهت إيران نحو الاتحاد السوفيتي علي العلاقات التركية – الإيرانية تلاحظ أن الضرورات الإقليمية والاقتصاد السياسي قد دفع بالمسارات إلي خلاف ما كان متوقع فبعد الأزمة الاقتصادية الطاحنة في نهاية التسعينيات تبنت تركيا سياسة اقتصادية تقوم علي التصدير ونجحت في تحويل أسواق الشرق الأوسط إلي ساحة إستراتيجية بالنسبة لها في نفس الوقت الذي أدت التوازنات الإقليمية التي أسفرت عنها الحرب العراقية الإيرانية إلي توجه تركيا نحو تبني سياسة عدم الانحياز الفعال في الحرب (بتوازن حساس ودقيق) .

بينما أبدت إيران اهتماماً كبيراً بالمحافظة علي عدم توتر علاقاتها مع تركيا المشاركة لها في حدود غربية تشكل ثاني أطول حدود مشتركة لها حتى تتحرك بشيء من الأمان وطبقاً للإمكانيات المتاحة أيضاً بعدم القدرة علي مواجهات إضافية قد تؤدي بمزيد من السلب علي الوضع العسكري (الإيراني) علي أرض الواقع .. وقد أدت تلك الضروريات المتبادلة إلي استمرار سياسة التأني والحذر التي كانت سائدة في العلاقات الثنائية لدي النخب السياسية في كلتا الدولتين إلا أن توازنات جديدة بدت تظهر فوق سطح الأحداث ما بين السيناريوهات التركية الأمريكية في قضية تقسيم أذربيجان (المائلة نحو التوجه الإيراني) أدي إلي صعود تيار التنافس والاعتماد المتبادل قريباً من التوتر في مسافة بعيدة عن التوجه العقلاني من خلال الخيارات الدولية والتوازنات الإقليمية لاسيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والتأثيرات الجديدة في القوقاز وأسيا الوسطي وظهور فراغ سياسي هام في هذه المنطقة .. ثم نتج عن التقارب التركي الإسرائيلي المطرد والمتعمق أيضا نحو تعاظم تلك العلاقة ووقوع النخبة السياسية في كلتا الدولتين بين أهداف ومطالب داخلية ومتطلبات السياسة الدولية أدي أيضاً إلي تصاعد التوتر في العلاقات الإيرانية التركية استمر حتى نهاية التسعينيات وزاد من ذلك استمرار تصاعد التوتر في العلاقات الإيرانية الأمريكية الناتج عن استمرار السياسة الأمريكية في إقصاء إيران عن الساحة الدولية والإقليمية كما كان في العمق أيضاً التأثير السلبي الخلفي نحو ميل الاتحاد الأوروبي نحو الميزان الإيراني تفضيلياً عن الميزان التركي الذي يريد ويضغط علي الاتحاد لعضوية كاملة وهو لا يرغب في

القبول (دوله إسلامية ؟!) وهي عقبه عقيمة وكبيرة لا تحتاجها السياسة الإيرانية في علاقاتها مع أوروبا وكان لكل العوامل السابقة بعناصرها المتشعبة التأثير علي خط العلاقات التركية – الايرانيه .

ومع نهاية التسعينيات وبداية الألفية الثانية بدأ الوصف التركي للعلاقات التركية الإيرانية بوصفها بؤرة منافسة ولعدم قدرة تركيا علي تحقيق التوازن بين الخيارات الدولية والسياسات الإقليمية الجديدة التي ظهرت في تباعد وتضاد طبقاً لطبيعة الأحداث نفسها وتعارض المصالح الخاصة أيضاً لكلا الدولتين .

وظهر ذلك جليا في أحداث الشرق الأوسط حيث بدأت القاهرة تضيق وتنظر بحذر لتنامي العلاقات الإسرائيلية التركية وبشكل مكثف وبخاصة علي الجانب العسكري والذي قد يخل أيضا بالتوازنات العسكرية في الشرق الأوسط وفي ذات الوقت تصاعد الخلافات التركية السورية (وخلفياتها التاريخية السيئة في العمق بظهور مشاكل المياه والحدود وفي العمق (لواء الاسكندرونه) ومما جعل سوريا تزيد من التقارب والتفاهم الاستراتيجي مع إيران في مواجهة ما يحيط بها علي الجانب التركي والإسرائيلي

حيث قال المستشار العسكري للقائد الأعلى للثورة الإيرانية يحيي رحيم صفوي " إنه يتعين علي تركيا أن تعيد النظر بشكل جذري في سياستها تجاه سوريا والدرع الصاروخية لحلف شمال الأطلنطي وأن تراجع سياستها بالترويج لعلمانية مسلمه في العالم العربي وإلا فإنها ستواجه مشاكل مع شعبها ومع جيرانها ؟!

ووصف صفوي دعوة رئيس الوزراء التركي الدول العربية لتبني نهج الديمقراطية التركي بأنها غير متوقعه ولا يمكن تصورها .. ثم أضاف قائلاً وإذا لم تبتعد تركيا عن هذا السلوك السياسي غير التقليدي فإن الشعب التركي سوف ينصرف عنها داخليا وستقوم الدول المجاوره سوريا والعراق وإيران بإعادة تقييم روابطها السياسية بها .. ثم أضاف في النهاية " إن العلاقات التجارية مع تركيا التي تستورد الغاز من طهران وتصدر لإيران مجموعة كبيرة من السلع المصنعة ستتعرض للخطر إذا لم تغير تركيا من سياستها " .. وفي محاولة للتهدئة من الجانب التركي صرح وزير الخارجية التركي احمد داود أوغلو بأن بلاده ستقف بوجه من يحاول شن هجوم عسكري علي إيران ؟! ..

وبدأت تركيا في المقابل في زيادة التقارب مع الأردن ودول الخليج الخائفة من الأفعال الإيرانية ألمستفزه علي حدودها وكان للجانب الاقتصادي المغري لتركيا الجانب الأكبر من هذه الكعكة الجديدة بدأت مع إيران في زيادة مساحة التواجد والتأثير في لبنان عن طريق (حزب الله) ليكون مؤثراً ومباشراً علي إسرائيل (المواجهة العسكرية بين حزب الله اللبناني وإسرائيل) وتوالت الأحداث وتتوالي لتتغير معها التوازنات طبقاً للمصالح والأهواء وجذور التاريخ أيضاً .

وأخيراً ... وما بين إصدار تركيا وثيقة عن توجهها الجديد تجاه إفريقيا أطلقت عليها اسم " السياسة الإفريقية " وما بين تصريحات قائد الحرس الثوري الإيراني يبدو أن دول الجوار الإقليمي غير العربية وبالأساس إيران وتركيا قد استغلت كل منهما حالة الضعف الإستراتيجي التي تتسم بها المنطقة العربية وراحت تبحث عن ادوات جديدة لإحياء وتدعيم المنطقة بأدوارها الإقليمية ومثل التوجه جنوباً نحو إفريقيا بشكل عام أبرز الملامح المشتركة التي تجمع بين إيران وتركيا التي تحلم باستعادة الأمجاد

الإمبراطورية القائمة علي اعتبارات تاريخيه أو أيديولوجية أو علي الأقل قريباً منها إن أمكن ذلك وليس أفضل من القرب من القمة إن تعزز الوصول إليها .. و لو بالوكالة وتحت الطلب..

الـفـصل الــر ا بــع

تركيا والبرنامج النووي الإيراني

عندما يكون الاقتراب من دوائر الأمن القومي التركي يكون بالطبع الاهتمام الذي يعقب الترقب وعندما يكون قريباً من الدائرة الأولي والحدود البرية فهنا يكون بالطبع التجاوز عن التنافس الطبيعي وطي صفحة الخلافات القديمة وتكون المصلحة العليا هي الحاكم والمسيطر علي الأحداث وفي المقدمة وبلا هوادة أو بطيء وهذا ما فعلته تركيا عندما تصاعدت وتيرة الحرب الإعلامية نحو البرنامج النووي الإيراني والذي يؤثر في المنطقة ويكون الوضع الأكبر علي تركيا بطبيعة الحال والتي تسعي للمحافظة علي معدل النمو الاقتصادي المبهر والذي قفز بها إلي المرتبة السابعة عشر عالمياً وهي في طريقها كما أوضحت تقارير البنك الدولي وصندوق النقد إلي قربة من ألمرتبه الثانية عشر والنزاع قرب الحدود سوف يؤثر بالسلب وربما يؤدي إلي الرجوع للخلف وهو ما لا تتحمله تركيا في الوقت الراهن وهذا ما جعل تركيا تسارع بالتدخل والتهدئة بادئه باستضافة ورعاية البرازيل وإيران لمبادلة الوقود النووي تفادياً للصراع ولكن وعلي ما يبدو أن الفشل في ذلك يرجع لعدم الرضي بجدوى الاتفاق علي المصالح الأوروبية... ولم تيأس تركيا ولكنها حاولت مره ثانيه ومع الدول المعنية مباشرة بأزمة البرنامج النووي الإيراني بتواجد مباشر لإيران وممثلين للاتحاد الأوروبي وأمريكا وعلي الأراضي التركية .. ولكن من الواضح حتى الآن أن هذه المباحثات لم ترقى إلي مستوي النجاح حيث كان الأقرب هو الإخفاق وفي اعتقادي أن تركيا لن تكف عن محاولات ثالثه ورابعة كلما كانت الظروف ملائمة لذلك ومن المتابعة لما ورد في هذه المحاولة في البداية وحتى النهاية نلاحظ وندرك هذا ..

حيث وصفت إيران المحادثات التي بدأت في إسطنبول بتركيا بشأن برنامجها النووي مع الدول الخمس الكبرى الدائمة العضوية في مجلس الأمن إضافة إلى ألمانيا، بأنها جرت في أجواء إيجابية.

وفي الوقت الذي لم ترشح فيه نتائج اليوم الأول من المحادثات أعلنت الولايات المتحدة أنها لا تتوقع "انفراجا كبيرا" في إسطنبول، معربة عن

أملها أن تكون المحادثات "عملية جدية وملموسة".

ففي بيان نقله التلفزيون الإيراني، قال المجلس الأعلى الإيراني للأمن القومي إن المحادثات بدأت في "أجواء إيجابية".

وتأتي هذه الجولة -التي تستمر يومين- استكمالا لمحادثات أجريت من شهر تقريبا في جنيف بين الطرفين على أمل إحراز تقدم ملموس.

ويترأس الوفد الإيراني كبير المفاوضين النوويين، سعيد جليلي، بينما تتفاوض مسؤولة السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، كاثرين آشتون، نيابة عن كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا والصين وألمانيا والولايات المتحدة.

وفي الوقت الذي تؤكد فيه إيران أنها لن تسمح بمناقشة مسألة تعليق أنشطة تخصيب اليورانيوم خلال الاجتماعات، تطالب القوى الكبرى طهران بأن توقف أنشطة التخصيب.

استمرار التخصيب

وقد رد مبعوث إيران لدى الوكالة الدولية للطاقة الذرية علي أصغر سلطانية -الذي زار موسكو مؤخرا- على هذا الطلب المتكرر بالقول "إنّ تخصيب اليورانيوم سيستمر حتى لو تعرضت منشآت إيران لهجوم عسكري".

ضمن نفس الإطار، قال مسعود زهروند -وهو مساعد لجليلي- "لن نسمح بمناقشة أي محادثات متعلقة بتجميد أو تعليق أنشطة التخصيب الإيرانية خلال اجتماع إسطنبول".

وأضاف "حتى الآن لم تناقش القضية ولم تثر أو يذكرها أي طرف، لا يمكن مناقشة الحقوق النووية لإيران".

إعلان طهران

وقال أعضاء في الوفد الإيراني المفاوض لوكالة رويترز للأنباء إن طهران لا تعتزم تقديم عرض جديد بشأن تبادل الوقود النووي ولكنهم مستعدون لمباحثات بشأن مبادلة الوقود النووي استنادا إلى إعلان طهران الذي وقعت عليه إيران والبرازيل وتركيا في 17 مايو/أيار 2010

وينص الإعلان على أن ترسل طهران إلى تركيا 1200 كيلوغرام من

اليورانيوم المخصب بنسبة 3.5%، مقابل 120 كيلوغراماً من اليورانيوم المخصب بنسبة 20%.

جدير ذكره أنه ومن أجل تهيئ الأجواء لإنجاح هذه المحادثات، اجتمع كبير المفاوضين الإيرانيين في الملف النووي أمين المجلس الأعلى للأمن القومي سعيد جليلي وممثلو الدول -التي تضم فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة وروسيا إضافة إلى ألمانيا- للمرة الأولى على مأدبة عشاء أقامتها الدولة المضيفة تركيا.

استبعاد الاختراق

في الجهة المقابلة، جاء موقف واشنطن على لسان المتحدث باسم الخارجية الأميركية فيليب كراولي الذي قال "نريد إطلاق عملية جدية وملموسة تبحث في العمق المشكلات الناشئة من البرنامج النووي الإيراني".

كما صرح المتحدث الأميركي باسم الخارجية مارك تونر "لا نتوقع أي اختراق كبير" في اجتماع إسطنبول، متحدثا عن بداية عملية "ستدفع إيران إلى التحاور مع المجتمع الدولي".

وضمن مجموعة الأعضاء الدائمين بمجلس الأمن، قال وزير الخارجية البريطاني وليام هيغ إنه "من المهم جدا أن تتعامل إيران مع هذه المفاوضات بجدية، حيث يجب مناقشة برنامجها النووي بالتفصيل".

وأضاف "هذه المفاوضات اختبار لرغبة إيران في التطرق إلى التزاماتها الدولية والوفاء بها بموجب معاهدة حظر الانتشار النووي وبموجب قرارات متتالية لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة".

يشار إلى أن وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف أعلن -في مؤتمر صحفي مشترك مع نظيره التركي- أن موضوع رفع العقوبات عن إيران ينبغي أن يتم التطرق إليه في إسطنبول.

فى 22.1.2011 انتهى يوم طويل من المحادثات بين إيران والقوى الست الكبرى في مدينة إسطنبول بتركيا دون إحراز تقدم ملموس، باستثناء الاتفاق على استئناف المحادثات بعد يومين ، وذلك وسط رفض إيراني تام لطرح قضية تخصيب اليورانيوم للنقاش.

فمنذ بداية المحادثات وضع أبو الفضل زهروند أحد مساعدي كبير المفاوضين النوويين الإيرانيين سعيد جليلي، خطا أحمر بشأن مناقشة أنشطة إيران في مجال تخصيب اليورانيوم أثناء الاجتماع.

وقال زهروند "لن نسمح بأي محادثات متعلقة بتجميد أو تعليق أنشطة التخصيب الإيرانية خلال اجتماع إسطنبول"، مؤكداً أن القضية لم تناقش حتى الآن ولم تثر أو يذكرها أي طرف لأنه "لا يمكن مناقشة الحقوق النووية لإيران".

وتريد الدول الخمس الكبرى الدائمة العضوية في مجلس الأمن إضافة إلى ألمانيا للمحادثات التي تجري على مدار يومين أن تركز على البرنامج النووي الإيراني المثير للجدل، والذي تخشى تلك الدول أن إيران تستغله لإنتاج أسلحة نووية، وهو أمر تنفيه طهران.

وفي المقابل دفع المسؤولون الإيرانيون بأجندة تغطي تقريبا كل شيء عدا برنامج بلادهم النووي، مثل نزع السلاح العالمي، والترسانة النووية الإسرائيلية، ومخاوف طهران من القواعد العسكرية الأميركية في العراق ودول أخرى.

وقد عكس طول محادثات الجولة الأولى التي استمرت نحو 14 ساعة الفجوة بين الجانبين، في حين أكدت تصريحات أميركية أن تلك المحادثات لم تحرز أي تقدم ملموس.

لكن إيران أبدت التفاؤل في وقت سابق عندما قال زهروند إن الاختلافات تضيق بين الجانبين، وإن المحادثات تعقد في أجواء إيجابية مقارنة بمحادثات جنيف في سويسرا منذ شهر والتي انتهت باتفاق على الاجتماع في تركيا.

اجتماعات ثنائية

وكان جليلي قد التقى بشكل منفصل مع مسؤولة السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي كاثرين آشتون التي ترأس الوفد الممثل للدول الست الكبرى، ونظيريه من روسيا والصين قبل انتقال الاجتماع إلى جلسة كاملة.

وقد طلبت آشتون عقد اجتماع ثنائي بين جليلي ووفد أميركي برئاسة وكيل وزارة الخارجية الأميركية للشؤون السياسية بيل بيرنز في إطار سلسلة اجتماعات ثنائية بين إيران والدول الست الكبرى، لكن الغموض بشأن موافقة طهران على هذا الاجتماع أدى إلى إثارة شكوك بشأن احتمالات إحراز تقدم.

وقال المتحدث باسم الخارجية الأميركية فيليب كراولي في واشنطن "إننا مستعدون تماما لإجراء حوار مع إيران، ولكن مازلنا ننتظر معرفة ما إذا كان ذلك سيحدث".
وأضاف "نود أن نرى عملية تفاوض جدية وعملية يكون تركيزها الأساسي على برنامج إيران النووي"، معتبرا أن "هذه الاجتماعات فرصة لإيران لمعالجة المسائل التي تشكل مصدر قلق كبير للمجتمع الدولي، وعلى رأسها برنامجها النووي".
ورفض كراولي التعليق على جدوى محادثات إسطنبول، مفضلا الانتظار حتى انتهائها في وقت لاحق و فى صباح 22.1.2011 بدأت في إسطنبول الجولة الثانية من المحادثات بين مجموعة 5+1 وإيران بشأن البرنامج النووي الإيراني وسط أنباء متضاربة عن نتائج الجلسة الأولى التي تردد أنها كادت تطيح باستمرار المفاوضات بين الجانبين بشكل نهائي.

فقد أكدت مصادر دبلوماسية أن الجلسة الثانية من المباحثات النووية بين الطرفين عقدت حيث يترأس كبير المفاوضين النوويين سعيد جليلي الوفد الإيراني بينما تترأس مسؤولة السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي كاثرين آشتون وفد الدول المنضوية تحت اسم مجموعة الـ5+1 التي تضم الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن بالإضافة إلى ألمانيا.

وتعتبر هذه الجلسة الثانية من المفاوضات الجولة الحاسمة بين الطرفين وسط أنباء عن أن ممثلي المجموعة الدولية -والتي تعرف أيضا باسم مجموعة مسودة فيينا- عقدوا في وقت سابق مشاورات ثنائية تركزت على مقترح تبادل الوقود النووي الذي قدمته المجموعة لإيران عام 2009 مقابل وقفها أنشطة تخصيب اليورانيوم.

ونسبت وكالة الصحافة الفرنسية إلى دبلوماسي غربي قوله إن مجموعة 5+1 تدرس نسخة معدلة من اقتراح المبادلة، تأخذ بعين الاعتبار الكميات الجديدة التي حصلت عليها إيران من اليورانيوم منخفض التخصيب

وفي هذا الإطار، قال الدبلوماسي الغربي إن مسؤولة السياسة الخارجية بالاتحاد الأوروبي قدمت الخطوط العريضة لعرض منقح محتمل للقيام بتبادل للوقود النووي يستتبع قيام إيران بتسليم كمية كبيرة من مخزونها من اليوارنيوم بيد أن الدبلوماسي أشار إلى أن العرض لم يقدم للجانب الإيراني حتى الآن باعتبار أن من بين الشروط المسبقة التي تطالب بها إيران تعليق العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها من قبل مجلس الأمن الدولي أو العقوبات أحادية الجانب التي فرضتها دول محددة

يُشار إلى أنه -وفقا للمقترح الذي قدمته مجموعة الـ5+1 في 2009 تحت اسم مسودة فيينا- كان من المفترض أن تتلقى إيران وقودا نوويا لتشغيل مفاعل طهران للأبحاث الطبية المعد لإنتاج النظائر المشعة المخصصة لعلاج مرضى السرطان، مقابل تسليم مخزونها من اليورانيوم المخصب محليا بنسبة 20% وما دون.

فشل محادثات نووى إيران بإسطنبول

انتهت في مدينة إسطنبول التركية جولة المحادثات الثانيه بين إيران ومجموعة 5+1 الكبرى بشأن ملف طهران النووي، بالفشل ودون الاتفاق على تحديد موعد جديد للمفاوضات بين الجانبين.

فبعد يومين من المحادثات بين المجموعة -التي تضم الأعضاء الخمسة الدائمين بمجلس الأمن بالإضافة إلى ألمانيا- أعربت مسؤولة السياسة الخارجية بالاتحاد الأوروبي كاثرين آشتون عن خيبة أملها من نتائج محادثات إسطنبول.

واعترفت في مؤتمر صحفي بإسطنبول في ختام المحادثات أن مجموعة 5+1 التي تترأسها لم تتمكن من التوصل إلى نتيجة إيجابية

مع إيران، مشيرة إلى أن شروط إيران المسبقة غير مقبولة.

كما أوضحت آشتون أن وفد المجموعة كان تهدف لعقد اجتماع مفصل وبناء مع إيران لكن طهران لم تكن جاهزة على حد تعبيرها، وأكدت عدم وجود نية الوقت الحالي لعقد مزيد من الاجتماعات.

لكنها في نفس الوقت أبقت الباب مفتوحا أمام إيران إذا اختارت طهران الرد بايجابية، وقالت "نحن ننتظر الآن سماع إذا كانت إيران ستجيب بعد التفكير في المسألة".
وعلى ما يبدو إن المفاوضات فشلت و آشتون قالت في مؤتمرها الصحفي إن القوى الكبرى قدمت عروضا وصفتها بالعملية والبراغماتية رفضتها إيران، لكن المسؤولة الأوروبية لم توضح ماهية تلك العروض.

الموقف الإيراني

وعلى الجانب الإيراني تمسكت طهران بحقها في امتلاك التكنولوجيا النووية. وقال مسؤول الملف النووي سعيد جليلي في مؤتمر صحفي بإسطنبول إن أي اتفاق بين طهران والقوى الكبرى بشأن البرنامج النووي يجب أن يحترم حقها في التكنولوجيا النووية بما فيها تخصيب اليورانيوم.

ورفض جليلي وصف ما تطالب إيران به بالشروط المسبقة بل قال إنها مطالب كفلتها اتفاقية منع الانتشار النووي، مؤكدا أن إيران مستعدة للمفاوضات متى ما كان هناك أرضية مشتركة تحترم حقوق الدول وتتجنب الطرق الخاطئة على حد تعبيره.

كما شدد على ضرورة تحديد مجالات مشتركة ومناقشة كيفية تطوير التعاون، مشيرا إلى أنه سمع أن الدول الكبرى ستقدم أساسا لتواصل المفاوضات، معتبرا أن مفاوضات إسطنبول فرصة يمكن البناء عليها.

وبشأن مسألة تبادل الوقود النووي، قال جليلي إنه يمكن القيام به في سياق تعاون دولي يستدعي تعاون كافة الأطراف واحترام حقوق

الدول. وكان الوفد الإيراني رفض مناقشة مسألة تعليق أنشطة تخصيب اليورانيوم.

ونقلت وكالة رويترز عن مسؤول إيراني قوله إن المحادثات بين الجانبين ستستأنف لكن لم يتحدد موعدها ولا مكانها.

و في النهاية نجد القول الحق بان حدود الأمن القومي يفوق كل الخطوط و الضوابط أيضا بل و الثوابت عندما تقتضى الضرورة ذلك .....

الـبـاب الـثـالـث

تـركـيـا و الـعـالـم

الـفـصل الأول

تركيا في عيون العالم
لا شرقية ولا غربية.. جرأة الاختيار

أعلنت المحكمة الدستورية التركية إلغاء قانون يحد من صلاحيات المحاكم العسكرية. هكذا يعزز هذا القرار، مثله مثل قرار حظر أكبر حزب مناصر للأكراد، التوتر الكامن المرتبط بمحاولة إرساء الديمقراطية في تركيا. مع ذلك، هناك إجماع يلوح في انقره حول السياسة الخارجية الجديدة لتركيا.

يؤكد أحمد داوود أوغلو، وزير الخارجية التركي، أن المسألة تتعلق أولاً برؤيتنا للأمور. ورؤيته ليست ضيقة فهو يريد السلام و الأمن في المنطقة، يعتبر أن بلاده العضو في الوقت نفسه في مجموعة الدول العشرين G 20

و في منظمة حلف شمال الأطلنطي NATO تحتل موقعا يخولها المساهمة فى تحقيق ذلك

و داوود أوغلو هو مهندس سياسة أنقرة الجديدة و القائمة على مبدأ صفر المشاكل مع الجيران و على القوة الهادئة Soft Power التي ترتكز علي

الإقناع والتفاوض وبعد أن كان مستشاراً أساسياً لرئيس الوزراء في مجال السياسة الخارجية، إثر الانتصار المدوي لحزب العدالة والتنمية AKP خلال انتخابات 3 نوفمبر 2002، أصبح ابتداء من مايو 2009 وزيراً للخارجية.

و يؤكد نحن مستعدون للعب دور الوسيط في نزاعات عدة بفضل علاقتنا الوثيقة مع مختلف المجموعات العرقية والدينية خصوصاً تلك الناطقة باللغة التركية، (المتواجدة في دول البلقان والقوقاز وروسيا وقبرص والشرق الأوسط) ، هذا ما يؤكد عليه أوغلو لكن تطلعاته لا تتوقف عند هذا الحد فيضيف لدينا تصور لمفهوم الأمن للجميع، وتصور للسلام يتطلب في الوقت نفسه حواراً عالي المستوي علي

الصعيد السياسي وترابطاً مشتركاً علي الصعيد الاقتصادي، ومراعاة للتعددية الثقافية.

داوود أوغلو ليس رجلاً سياسياً، بل أستاذ جامعي دون أن يكون له أي صفة تمثيلية أو نيابية وهو لم يكتف ببلورة سياسة خارجية تركية متجددة، بل عمد بنفسه إلي وضعها موضع التطبيق فها هو يبرز لائحة بإنجازاته التي تتضمن أحدي وستين اتفاقية موقعة مع سوريا ، وثمان وأربعين مع العراق، وإلغاء قيود تأشيرة الدخول مع ثماني دول مجاورة وحل مشكلة الرئاسة في لبنان بالتعاون مع سوريا ,التوقيع وحل مشكلة الرئاسة في لبنان بالتعاون مع سوريا، والتوقيع علي بروتوكولين مع أرمينيا . ويمكن إطالة هذه اللائحة، حتى دون الحديث عن محاولاته التوسط بين إسرائيل والفلسطينيين إذ أشرفت تركيا أيضاً علي المفاوضات غير المباشرة بين سوريا وإسرائيل في عام 2007 – 2008 ويقول داوود أوغلو في هذا الصدد : لقد اقتربنا ليس من السلام، إنما من توقيع اتفاقية تسمح بإجراء مفاوضات مباشرة إلا أن الهجوم الإسرائيلي علي غزة في ديسمبر 2008 قضي علي كل هذه الجهود . لم تكن غزة ضمن الموضوعات المطروحة، إلا أنه كان لهذه الحرب تأثير سلبي فالوساطة الفعالة بحاجة إلي وجود و رغبة في السلام. وعندما ستكون لإسرائيل رغبة مماثلة سنكون مستعدين للاستماع إليها.

ويتوافق جميع الأتراك، علي اختلاف انتماءاتهم، علي الإقرار لوزيرهم بتماسك سياسته التي تنطلق من تطلعات من تطلعات اقتصادية وأمنية، إضافة إلي رؤية محددة دقيقة لموقع تركيا في العالم. هكذا تتبلور هذه السياسة في فترة مصيرية للبلاد، تعيد خلالها السلطة التركية جيشها إلي ثكناته، في حين تظهر الأسرار الغامضة حول دولة الظل إلي السطح. كما تفتح هذه السياسة الطريق أمام ديمقراطية بنية الدولة، وترافق بروز نخب جديدة مع تنامي طبقة وسطي نشطة للغاية.

الشعب كله قال " لا "

ويؤكد إحسان بال، الأستاذ في أكاديمية الشرطة، أن هناك ديناميكية جديدة، يغذيها الشعب، لكن يصعب علي الغرب فهمها . وقد بدأ ذلك في عام 2003، عندما أرادت الولايات المتحدة استخدام تركيا

بوابة عبور لاجتياح العراق حينها، قال الشعب كله كلمة لا، بنوابه وناخبيهم.

يتوقع من هذا الشعب أن يهتم أولاً بنتائج الأزمة المالية العالمية وبالبطالة التي ارتفعت إلي 15 في المائة، ولا شك أنها وصلت إلي 30 في المائة في أوساط الشباب، ولكن يتبين أ ن ما يقلقه حقاً هو الأوضاع في غزة. فقبل عام هرع خمسة ألاف شخص يرفعون الرايات لاستقبال رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان، لدي عودته من المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس، حيث كان قد انسحب من مناظرة تليفزيونية في 29 يناير 2009، مع الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز. وقد توجه إليه أردوغان بالقول:"أنتم تقتلون الناس، ولم يسمح له مقدم البرنامج بدحض التبرير الذي ساقه بيريز للحرب التي شنت علي غزة قبل شهر . هكذا يهتم الأتراك كثيراً بفلسطين، وهم يقدرون صدق مشاعر أردوغان وجاذبيته وأصوله المتواضعة.

وقد أشار بعض المراقبين إلي أن الولايات المتحدة لم تكن مستاءة من الحادثة التي حصلت بين بيريز ورئيس الوزراء التركي، والتي حولت هذا الأخير إلي بطل بنظر العالم العربي والمسلم، حتى وإن كانت تفضل لو أن تركيا أعربت عن مؤازرتها لحركة فتح، وليس فقط لحماس، من أجل المساعدة في إعادة إطلاق أليه السلام . ويعتقد أخرون بأن دعمها لحكومة حماس (الذي اتضح بشكل خاص من خلال دعوتها رئيس هذه الحركة، خالد مشعل، إلي أنقرة) سيؤتي ببعض الثمار، كإطلاق سراح الجندي الإسرائيلي جلعاد شليط المحتجز منذ 25 يونيو 2006 في قطاع غزة.

وحيث لم يمنع وصول حزب العدالة والتنمية AKP إلي السلطة في عام 2002 ، من المحافظة علي روابط وثيقة مع إسرائيل، الأمر الذي تجلي في الجهود المبذولة للعب دور الوسيط مع سورية . لكن المناخ تغير مع الاعتداء الإسرائيلي علي غزة في عام 2008 وقد تأكد ذلك عندما تم إلغاء المناورات العسكرية المشتركة في أكتوبر 2009. كما ردت تركيا بصخب في يناير 2010 علي المعاملة " المهينة" التي ألحقها مساعد وزير الخارجية الإسرائيلي دني أيالون بسفيرها في إسرائيل ، وهددت باستدعاء ممثلها مطالبة بتقديم اعتذارات، حصلت عليها في النهاية.

فهل يعني ذلك حصول تغير جذري في العلاقات بين البلدين؟ توضح مليحة التونيزيك، الأستاذة في جامعة الشرق الأوسط المهنية في

أنقرة، أنه بعد حرب غزة، كانت أي حكومة لتعدل سياساتها وتنتقد إسرائيل التي أصبحت، في الواقع، معزولة أكثر فأكثر، بسبب قادتها الحاليين. فمع وصول أوباما إلي السلطة، يشهد موقعها الاستراتيجي تداعياً. كما يشدد العديد من الأتراك علي أن بلدهم أصبح أكثر أهمية بالنسبة لإسرائيل، حتى علي الصعيد الاقتصادي، من أهمية إسرائيل بالنسبة لتركيا، وهم يرون احتمال تقلص هذه العلاقات فقط لا غير، لأنهم لا يريدون، وكذلك العرب، أن تبادر أنقرة إلي قطع الجسور مع إسرائيل.

تشير التونيزيك إلي أن المسئولين في المنطقة يتوجهون نحو تركيا ويحثونها علي لعب دور بناء، الاقتصاد هو المفتاح، لكن شخصية أردوغان تلعب أيضاً دوراً مهماً: فقد التقيت بنساء في وسط دمشق يتعلمن اللغة التركية نتيجة للإعجاب به و كل شئ بدأ في عام 2003، عندما وقفت أنقرة في وجه الولايات المتحدة ورفضت السماح لها باستخدام البلد كقاعدة للحرب علي العراق. فقد ساد حينها شعور أن أردوغان علي عكس غيره من القادة، قد تمكن من تحقيق شئ ما .

وتتابع قائلة: "في المقابل، نلاحظ بوضوح المنافسة المحتدمة بين أنقره وطهران. فمن خلال دعمها المعلن لغزة، وانخراطها في المفاوضات بين سورية وإسرائيل ، ومساهمتها في حل أزمة الرئاسة في لبنان حاولت تركيا سلب النجومية من إيران. واستفادت أنقرة كثيراً من رغبتها في حل المشاكل عن طريق التعاون : فطورت علاقاتها مع الدول العربية وإيران وحققت مكاسب اقتصادية ، إضافة إلي تحقيق الاستقرار في هذه المنطقة من العالم. فبالنسبة إلي تركيا، هي إستراتيجية رابح رابح علي ألمدي الطويل.

عملياً تشكل إيران موضوع السياسة الخارجية الوحيد الذي ينقسم حوله الأتراك. فبالنسبة إلي يافوز بيدار، المراسل السياسي لصحيفة Today's Zaman الناطقة بالإنجليزية والمقربة من الحكومة، لا يجب القلق إزاء ما يحدث بين أردوغان والرئيس محمود أحمدي نجاد : فكلاهما منبثقان من الشعب ، ويتصرفان كأشخاص عاديين، وإن كان احدهما يحترز من الآخر. علي العكس، بالنسبة إلي آخرين، إن محاولات الوساطة حول مسألة الملف النووي الإيراني هي، بأفضل حال ، ساذجة وبأسوأ حال خطيرة . حيث تعكس هذه الاختلافات في الرأي صعوبة فهم مطامع طهران، إنما أيضاً الخشية من خلق وضع متفجر علي أبواب تركيا.

من بين الدول العربية، سورية هي التي تحرك أحلام الأتراك حيث نسمع في حرم الجامعات الأساتذة يتحدثون عن رحلتهم إلي دمشق فإذا ما نظرنا إلي العلاقات الماضية السيئة بين البلدين مع الدعم السوري لحزب العمال الكردستاني PKK في الثمانينات، ومطالبة دمشق باسترداد مقاطعة هاتاي (لواء الإسكندرونة سابقاً) وحتى مسألة تقاسم المياه – نجد أن التقدم الحالي في العلاقات أقرب إلي المعجزة.

تكيف مع واقع ما بعد الحرب الباردة

فيما يتعلق ببغداد من شأن العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، والجهود التي تبذلها تركيا لدفع الفصائل السنية إلي المشاركة في طاولة المفاوضات، أن تؤدي إلي سريان هدوء نسبي علي الحدود التركية العراقية، حيث تم طي صفحة الهجوم التركي الذي شن في عام 2007 علي متمردي حزب العمال الكردستاني PKK شمال العراق كما تتطور العلاقات أيضا مع إفريقيا، خصوصاً مع ليبيا والسودان غير أن رئيس الوزراء قد اقترف خطأ مؤخراً إزاء الخرطوم حيث صرح في 9 نوفمبر 2009، بأن جرائم الحرب الإسرائيلية كانت أسوأ من تلك التي اقترفها الرئيس عمر البشير الذي جرمته محكمة الجزاء الدولية أخيراً ، يساهم التواجد غير المقاتل " لألف وسبعمائة وخمسين جندياً تركياً في أفغانستان في تحسين صورة أنقرة في المنطقة.

لكن تركيا لا تنظر فقط في اتجاه العالم المسلم : بل توجه أنظارها أيضاً نحو روسيا وصربيا وجورجيا وحتى أرمينيا. فقد تم التوقيع علي بروتوكولين مع هذه الأخيرة، في 10 أكتوبر 2009، لإرساء علاقات دبلوماسية وفتح الحدود. وحول ملف قبرص الشائك، عاد الأمل أخيراً مع رئيس الوزراء اليوناني جورج باباندريو، بإمكانية تحقيق بعض التقدم.

هل يشكل الخط الدبلوماسي التركي الجديد، وطموحاته شرقاً وغرباً، حالة تعكس، كما تلمح إليه هنا وهناك الصحافة الغربية، انبعاثاً للدور العثماني ؟ مع العلم أن هذا المفهوم لا يرد لا في مفردات ولا في تفكير القادة والشعب التركي. فبالنسبة إلي تيميل إسكيت، الدبلوماسي السابق وأول مدير عام في الثمانيات للوزارة المكلفة بالشئون الأوربية داخل الحكومية التركية، إن الاتهامات بالنزعة العثمانية المتجددة تهدف إلي الترويج بأن تركيا تتأسلم ولم تعد تصر علي الالتحاق بأوروبا وهو يعتبر بالتالي هذه الاتهامات غير مبررة وصادرة عن عواصم ترفض

اندماج تركيا بالاتحاد الأوروبي، وعن الصحافة الأمريكية المؤيدة لإسرائيل.

وقد كان اسكيت في الماضي مؤيداً لحزب الشعب الجمهوري CHP ، وهو حركة معارضة علمانية تنتمي إلي اليسار المعتدل تعود أصولها إلي الحزب الأوحد الذي أسسه مصطفي كمال بأتاتورك ولكن علي غرار الكثيرين غيره، فقد ثقته بالخط الذي يتبعه حزبه ورئيسه، دينيز بايكال . فهو يقول بهذا الخصوص . " بعد أن قضيت حياتي بأكملها في الدفاع عن كل ما كان محرماً أرمينيا، قبرص والأكراد – أعدت النظر بآرائي وقررت التعبير عن نفسي. وهو يكتب مقاله الخاص في صحيفة طرف المستقلة التي تصدر في اسطنبول.

فهل يمثل هذا التمركز الجديد لتركيا علي الساحة الدولية تغيراً في الوجهة الإستراتيجية يعتبر اسكيت أن تركيا طالما احتلت موقعاً جيوسياسيا محوريا بسبب كونها بلداً فتياً وصراعها من أجل الاستقلال غداة الحرب العالمية الأولي ومن ثم الحرب الباردة، بقي بلدنا في موقع دفاعي ما تغير هو أنه بدأ يتحول إلي الديمقراطية بفضل معايير كوبنهاجن التي اعتمدت قبل وصول حزب العدالة والتنمية AKP إلي السلطة، ومن ثم مع موافقة الجيش علي وضع حد لأي تدخل له في المعترك السياسي . وقد أفضت هذه الديمقراطية إلي ذهنية جديدة قائمة علي التعاون والتفاوض.

من جهته يؤكد قدري جورسيل، كاتب الافتتاحيات في صحيفة ميليات العلمانية والمعلق التليفزيوني الشعبي، أن التوجه الحالي للسياسة الخارجية التركية كان سيعتمد من قبل أية حكومة ويضيف قائلاً : لقد تضاعفت أوراقنا الرابحة في مجال السياسة الخارجية بفضل النمو الاقتصادي السريع في عامي 2002 – 2003 ، ومن خلال بدء المفاوضات لدخول الاتحاد الأوروبي وتسوية المسألة الأمنية الأساسية مع إلقاء القبض علي (عبد الله أوجلان) . نحن نشهد بالتالي علي مطابقة طبيعية بين تركيا ووقائع ما بعد الحرب الباردة والعولمة، التي خلقت ديناميكية جديدة لكن حزباً علمانياً لم يكن سيستفيد من الوضع إلي هذه الدرجة فحزب العدالة والتنمية AKP مطمئن في تعامله مع الشرق الأوسط خصوصاً مع المسلمين السنة فيه. لكن، حتى إن كان العديد من الوزراء والمستشارين، يتكلمون العربية مثلاً، فليس هناك برأيه من محور شرقي ، ولا من تغير في التحالفات.

غربيون ديمقراطيون، حداثيون ومسلمون فى آن واحد

فمن وجهة نظره، يفسر الوضع الاقتصادي لتركيا الكثير من الأمور: "بلادنا محكومة بنمو يرتكز علي الصادرات، لعدم وجود تركيبة ادخارية داخليه فهي ملزمة إذاً بإيجاد أسواق جديدة، في الشرق الأوسط أولاً . وبصورة عامة، لقد نجحت هذه المسألة، فأعضاء الحكومة يديرون الاقتصاد كما يجب ويتمتعون بالحس التجاري، وإن كانوا يميلون إلي احتكار الأرباح لأتباعهم . لكنهم يساعدون بذلك القاعدة الاجتماعية لحزب العدالة والتنمية AKP في الأناضول ، علي تشكيل طبقة وسطي جديدة الأمر الذي يمثل سياسة لضمان قيام نظام ديمقراطي ثابت.

أما سولي أوزيل، الأستاذ في العلاقات الدولية في جامعة بيلجي في اسطنبول، فيعتبر أن الغرب يجد صعوبة في القبول بدولة تركية تقرر أولوياتها بنفسها. فحزب العدالة والتنمية AKP الذي تربطه بالولايات المتحدة علاقات جيدة جداً، يرغب في تحقيق الاستقرار بمنطقة مزدهرة وآمنة تطمح لتحقيق السلام، علي عكس إسرائيل وإيران. ويقول أوزيل، مشيراً هو أيضاً إلي استمرارية السياسة الخارجية التركية، أن حزب العدالة والتنمية AKP قد وضع المفاهيم المناسبة لذلك أفضل من غيره.

ويتابع شرحه قائلاً أن مسألة الطابع الغربي "لتركيا لا تتعلق بتوجهها الاستراتيجي، بقدر معرفة ما إن كانت ستتحول إلي دولة غربية حقيقية وإن كان الاتحاد الأوروبي يضع نفسه خارج المعادلة، فلأنه لا يفهم جيداً أفعال تركيا – مع أنها تصب في مصلحة الغرب. لذا ستمر غالبية علاقاتنا مع الخارج عبر الولايات المتحدة في حالة وصولنا إلي ذلك هل ستصر واشنطن علي تحول تركيا إلي دولة غربية وديمقراطية فعلية؟ اليوم تدفع الولايات المتحدة بالاتحاد الأوروبي قدماً بالنسبة إلي انضمام تركيا، الأمر الذي قد يثبت بأننا بلغنا هذا المستوي.

وتأمل انقره أن ينجح أوباما بصورة أفضل من جورج بوش . فمفهومه للأمور مختلف ، بحسب تفسير ياسمين كونجار، مديرة تحرير صحيفة طرف والمتخصصة في شئون الولايات المتحدة، وهو يتمتع بكافة الميزات : أصوله ، تربيته المتميزة بالتعددية الثقافية وإطلاعه علي العالم المسلم فالأتراك لا ينسون بأن أباه يدعي حسين . والخطاب الذي ألقاه في مايو 2009 في القاهرة الداعي إلي التحاور مع الإسلام واحترام حقوق الإنسان ، يعبر عن انشغالات أنقرة لكن عجزه عن

الحصول من إسرائيل علي وضع حد لبناء المستوطنات في فلسطين وقراره بإرسال قوات إضافية إلي أفغانستان قد خيبا الأمال، هكذا يجب إصدار إشارات قوية من قبل البيت الأبيض حول الملف الفلسطيني لتبديد الحذر لدي الرأي العام التركي.

إن شعور المرارة إزاء أوروبا حقيقي، ويمكن تلمسه في كافة الخطب التي تتناول السياسة الخارجية فالمأخذ الموجهة إلي الحكومة، التي اتهمت بأنها لم تسع بحماسة كافية للإنضمام إلي الاتحاد الأوروبي، لم تعد ذات تأثير، منذ أن صوت نيكولا ساركوزي والسيدة أنجيلا ميركل لصالح رفض الانضمام . ويبدو أن الفكرة القائلة بأن البلد سيكون، بفضل تعزيز مكانته في المنطقة، خصوصاً في الشرق الأوسط، قادراً علي إعطاء المزيد للاتحاد، قد لقيت أصداء إيجابية. وحتى إذا لم تدع تركيا للانضمام إليه، لن يحول ذلك دون اكتسابها دوراً أكثر أهمية علي الساحة الدولية.

زافار يافان، الأمين العام الجمعية الصناعيين وأرباب العمل الأتراك TUSIAD، التي تديرها تقليدياً عائلات اسطنبول العلمانية القديمة يشتكي بالقول: لم تتحرك الحكومة بالسرعة الكافية في قضية الاتحاد الأوروبي ، خصوصاً فيما يتعلق بالمناقصات الحكومية وسواها من المسائل الاقتصادية مما آثار شكوكاً حول حقيقة التزامها. بيد أنه يخفف من حكمه عندما يشدد علي أن تباطؤ أليه الاندماج عائد إلي ساركوزي أكثر منه إلي تركيا فهذه الأخيرة ستحقق تقدماً مع هذه الحكومة أو في غيابها ، لأن محاولات إرساء الديمقراطية التي بادر إليها حزب العدالة والتنمية AKP ستبقي قائمة، وهي مسار باتجاه واحد. ووتيرة إصلاحاتها ومثابرتها غير قابلين للمقارنة مع أعمال الحكومات السابقة.

مرارة حيال أوروبا، و انفتاح باتجاه الشرق والجنوب

عايشة جيليكيل، وزيرة العدل السابقة، لديها كافة الأسباب لتعارض حكومة حزب العدالة والتنمية، خصوصاً كونها تدبر جميعه Cagdas Yasam Dernegi توفر تعليماً علمانياً للبنات، وهي حالياً تتعرض لضغوط السلطة، فقد تم استدعاء أربعة عشر موظفاً من موظفيها من قبل القضاء، دون إطلاعهم علي التهم الموجهة إليهم. وهي، إذ تعتبر نفسها كمالية النزعة (نسبة لأتاتورك) إنما منفتحة الذهن، تقر بأنه، من خلال تحويل الانضمام إلي الاتحاد الأوروبي إلي مسألة ثانوية، تحاول

الحكومة إيجاد توازن بانفتاحها علي الشرق والجنوب لكنها تضيف قائلة طالما لا تبتعد أكثر عن أوروبا أو تتقرب أكثر من إيران، فأنا موافقة.

و ما هو رأي أرماجان كولوغلو، الجنرال المتقاعد وأحد الأعضاء الأساسيين في المركز الجديد للدراسات الإستراتيجية عن الشرق الأوسط؟ إنه يعتبر نفسه Ataturkcu) وريثاً لفكر أتاتورك) إنما ليس كمالياً، الأمر الذي يعني الدفاع عن الوطن التركي علي أساس عرقي . طبعاً لديه بعض الانتقادات، ؟ فهو طبعاً يدافع عن المبادئ القديمة . ضرورة الاعتراف بشمال قبرص علي أنها دولة والأكراد لا يشكلون مشكلة، وعلي أرمينيا التوقف عن الإصرار علي أن ما حصل هو إبادة جماعية .. مع العلم إنه هو أيضا يعتبر أنه لم يحصل هناك أي تغير في الوجهة ولا انقلاباً في التحالفات، فالحكومة تسعي بكل بساطة إلي إرساء علاقات جيدة مع الدول المجاورة، وهذه هي المرة الأولي التي يحصل فيها ذلك، بفضل التطورات التي حصلت في سوريا والعراق وإيران حتى أنه لا ينتقد السياسة الحكومية إزاء الاتحاد الأوربي، إلا عندما تقوم بتنازلات بل إنه أكثر تحديدا عندما يقول أن عدم دخول تركيا إلي الاتحاد سيكون بالأمر الجيد، لأن الانضمام سيؤدي إلي تقاسم سيادتنا، وكوننا لسنا إيطاليا ولا هولندا، سيؤثر هذا التقاسم علي أمننا. وإن كان كولوغلو يدافع عن الدور التقليدي للجيش في المجال السياسي، غير أنه يقر بأن نفوذه يتضاءل وبأنه شهد في أوساطه علي بعض التصرفات الطموحة التي أكدت عليها قضية إرجينكون.

يخشي العديد من الأتراك من أن كثرة المسائل التي تتطلع لها حكومة حزب العدالة والتنمية قد تؤدي في النهاية إلي الفشل في قسم منها. فالبعض لا يؤيد فكرة صفر مشاكل مع الجيران، وعدم استخدام العصا، أي بتعبير آخر، حل النزاعات بالإقناع والامتيازات الاقتصادية. وماذا لو كانت الجزرة لا تفعل فعلها بدون العصا؟ و ماذا لو كانت تركيا ستجد نفسها في خطر لأنها بالغت في تقدير قدرتها علي ممارسة القوة الهادئة؟

ترد التونيزيك بأسلوبها علي هذه المخاوف ، قائلة : "حالياً، لا تزال المسألة سابقة لأوانها. كما أنها لا تأخذ بعين الاعتبار ما هو أساسي، أي أن الطريقة التي تدار من خلالها السياسة الخارجية مهمة بقدر النتائج النهائية. إذ كانت تركيا تعتبر من قبل كافة جيرانها دولة هامشية، أما الآن، فلم يعد من الممكن التداول في مستقبل العديد من مناطق العالم دون الحديث عنها.

الـفـصل الـثـانى

تركيا وقبرص

ان العلاقة بين تركيا و قبرص حرجة لكون قبرص عضو في الاتحاد الاوروبى و تركيا على الأبواب كما أن قبرص اليونانية هي مفصل العلاقة بين تركيا و أوروبا التي تميل إلى قبرص في ميزان ثقافي تاريخي و ديني أيضا و مع كل هذا لم تستسلم تركيا للأمر الواقع ,

و هددت تركيا بمساعدة شمال قبرص في التنقيب عن النفط والغاز، ردًّا على خططٍ من حكومة قبرص المعترف بها دوليا لاستكشاف حقل بحري للمحروقات في شرق المتوسط، في وقت دعت فيه الأمم المتحدة طرفيْ النزاع في الجزيرة إلى حل يخدم كل القبارصة.

ووصف وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو خططا أعلنت عنها نيقوسيا للتنقيب عن النفط والغاز في حقل ليفيتان إلى الجنوب الشرقي من العاصمة نيقوسيا بأنها استفزازية.

وتقول تركيا إن حكومة قبرص لا يمكنها المضي قدما في التنقيب ما دامت الجزيرة مقسمة، لأن القبارصة الأتراك سيُحرمون من أية احتياطات تستخرج.

وقال أوغلو إن وفدا تركيا قد زار شمال قبرص لبحث موضوع التعاون في التنقيب مع حكومة هذا الجزء من الجزيرة، وهي حكومة لا تعترف بها إلا تركيا.

وقبل ذلك كانت أنقرة قد حذرت من أنها ستوقع اتفاقا لترسيم الحدود البحرية مع القبارصة الأتراك إن مضت نيقوسيا في خططها، وهي خططٌ تتعاون في تنفيذها مع إسرائيل التي توترت علاقاتها بتركيا كثيرا منذ العام الماضي.

وجاء التحذير بعد لقاء وصف بأنه فني عقد في الخارجية التركية مع وفد من شمال قبرص.

لكن الحكومة القبرصية قالت إنها لا تعبأ بتلك التحذيرات، وقررت المضي قدما في أعمال التنقيب في الحقل، حيث وصلت الخميس منصة تملكها شركة أميركية مكلفة

بالمشروع.

ووصفت الخارجية القبرصية تحذيرات تركيا بأنها "غير قانونية ولا تتماشى مع القانون الدولي"، ونبهت إلى أن حقها "السيادي" في البحث عن النفط والغاز يحظى بتأييدٍ "قوي" من المجموعة الدولية.

وحسب تقدير لمركز المسح الجيولوجي الأميركي العام الماضي، يحتوي حقل ليفيتان على 1.7 مليار برميل من النفط القابل للاستخراج و122 تريليون قدم مكعب من الغاز القابل للاستخراج.

ودعت الأمم المتحدة الجمعة الطرفين إلى تسويةٍ يستفيد بموجبها كل القبارصة من الثروات الطبيعية التي يعثر عليها، في إطار حل فدرالي لأزمة الجزيرة

والموقف التركي من النزاع في الجزيرة أحد الأسباب الرئيسية التي تدفع حكومة قبرص إلى معارضة انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي.

وجاء الخلاف الجديد قبل أسابيع فقط من انتهاء مهلة حددتها الأمم المتحدة لمفاوضات توحيد شطريْ الجزيرة المقسمة منذ 1974ل، تاريخ اجتياح القوات التركية لشمالها بعد انقلاب قصير حاول منفذوه توحيد قبرص واليونان.

و قد رفضت إسرائيل طلبا تركيا لإلغاء اتفاق ترسيم الحدود البحرية مع قبرص والذي يمهد لتل أبيب استثمار حقول الغاز المكتشفة في البحر المتوسط.

ونقلت الإذاعة الإسرائيلية عن مصادر سياسية وصفتها بالرفيعة قولها إنه إذا كان طلب تركيا من إسرائيل مشتقا من شرعية الاحتلال التركي لقبرص فهذه وقاحة لا مثيل لها، على حد تعبيرها.

وكانت الخارجية التركية قد استدعت السفير الإسرائيلي لدى أنقرة واحتجت على اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين قبرص وإسرائيل، كما أبلغته أنه سيكون للاتفاق تداعيات سلبية على الجهود الجارية لوضع حد لتقسيم قبرص إلى شطرين يوناني وتركي.

يعتبر الرد الإسرائيلي واللهجة التي ظهر بها تعطي دليلا على أن إسرائيل بدأت تبحث عن بدائل في علاقاتها مع تركيا ولا سيما عبر التقارب مع قبرص واليونان وبلغاريا.

وكانت إسرائيل وقبرص أبرمتا اتفاقا حددتا بمقتضاه الحدود المائية الاقتصادية بينهما، حيث وقع الاتفاق وزير البنى التحية الإسرائيلي عوزي لندوا ووزير الخارجية القبرصي ماركوس كيبريانو.

وجاء الاتفاق ثمرة أشهر من المفاوضات بين البلدين بشأن تقسيم مجال المياه الاقتصادية وهي منطقة لا تخضع لسيادة أي دولة، لكن الاتفاق المبرم بين قبرص وإسرائيل بشأنها يكتسب أهمية قصوى في ظل اكتشاف حقول الغاز فيها من قبل إسرائيل. ومن شأن الاتفاق أن يمنح الدولتين حقوقا اقتصادية وبحثية فيها.

في هذه الأثناء, حثت مفوضية الاتحاد الأوروبي الجانبين على التحلي بضبط النفس في الخلاف حول التنقيب عن الغاز في البحر المتوسط. كما دعا الاتحاد الأوروبي جميع الأطراف إلى بذل كل الجهود للتوصل إلى تسوية شاملة في أقرب وقت ممكن

الـفـصـل الـثـالـث

تركيا فى القوقاز

لم تتردد أنقرة كثيرا عقب الانهيار السوفياتي عام 1991 في التحرك نحو الشرق لإحياء الحلم التركي المفقود بتشكيل حلف تركي قوي مع الجمهوريات المسلمة الواقعة في القوقاز وآسيا الوسطى ذات العرق التركي.
وتمثل هذا التوجه بسفر الرئيس التركي آنذاك تورغوت أوزال إلى هذه الدول والاعتراف بها وعقد أول مؤتمر للدول الناطقة بالتركية في إسطنبول أواخر عام 1992.
لقد كانت أنقرة على يقين أن هذه الجمهوريات مقتنعة بالنموذج التركي للحكم وتعتبر تركيا حلقة وصل مع الغرب الأوروبي والأميركي وحتى مع العالم الإسلامي.
غير أن هذا الحلم لم يتحقق حيث آثرت دول آسيا الوسطى المضي قدما بطريقتها وبقي مؤتمر الدول التركية إطارا رسميا يهتم بالأمور الثقافية.
لقد كانت تركيا أكثر توفيقا في التعامل مع أذربيجان لأسباب متعددة أولها الصراع الأرمني الأذري الذي وقفت تركيا بقوة مع أذربيجان مما أعطى لأنقرة فرصة لإيجاد موطئ قدم في القفقاز والعمل المشترك مع الشركات الأميركية لنقل النفط الأذري إلى أوروبا عبر خط باكو جيهان بتكلفة ثلاثة مليارات دولار والذي بدأ يضخ النفط إلى الأسواق العاليمة في مايو/أيار 2006.

العلاقة الاقتصادية

وتسعى تركيا التي وصلت نسبة النمو الاقتصادي فيها قرابة 10% سنويا إلى البحث عن مصادر جديدة للطاقة تلبي احتياجاتها الصناعية حيث تعتمد حاليا بشكل أساسي على روسيا وإيران ودول أخرى مثل الجزائر ونيجيريا. ومن المتوقع أن تصل احتياجات تركيا للغاز إلى 1.4 مليار متر مكعب خلال السنوات الأربع القادمة وبالتالي ترى أنقرة أن أرخص هذه المصادر هي الطاقة الموجودة في آسيا الوسطى وبحر قزوين ومن ثم تنصب الجهود التركية في تذليل كل المعوقات في هذا الطريق.

ما تصبو إليه أنقرة حاليا هو التحرك نحو جعل تركيا ممرا لأنابيب النفط والغاز من آسيا الوسطى والشرق الأوسط إلى أوروبا وربما يشكل مشروع نابكو لمد خط أنابيب بطول 3300 كم وبقيمة 5.6 مليارات دولار من تركيا إلى أوروبا الغربية أحد أهم أدوات تحقيق هذه الإستراتيجية.

وتعتبر كزاخستان أكبر شريك تجاري لتركيا حيث يصل حجم الاستثمارات التركية في مجال البناء قرابة خمسة مليارات دولار عبر أكثر من مائتي شركة تركية تنشط هناك كما أن انضمام كزاخستان عام 2006 لخط باكو جيهان لنقل نفطها إلى الأسواق العالمية يعتبر نصرا كبيرا لتركيا.

وتعمل تركيا على مشاريع مشابهة لنقل الغاز التركماني إلى أوروبا عبر تركيا ومشاريع أخرى مشتركة مع إيران لربط أوروبا بآسيا الوسطى والصين عبر شبكة سكك الحديد.

التعليم والثقافة

وتنشط تركيا كذلك في مجال التعليم والثقافة في آسيا الوسطى عبر سلسلة المدارس والجامعات التركية، كما أن هناك العديد من طلاب آسيا الوسطى الذين يدرسون في الجامعات التركية في إطار خطة الرئيس التركي الراحل تورغوت أوزال لدعم الهوية والثقافة التركية في جمهوريات آسيا الوسطى.

ومع كل هذه التحركات يبدو أن آسيا الوسطى لا تحظى بأولوية في الأجندة الإستراتيجية التركية بقدر ما تحظى محاولاتها الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي وبقدر عنايتها بالملف العراقي.

كما أن التحرك الإستراتيجي الكبير يحتاج إلى كثير من الإمكانيات البشرية والمادية التي قد لا تكون متوفرة لتركيا حتى تتمكن من اللعب بجانب روسيا التي تسعى للحفاظ على سيطرتها التقليدية على المنطقة والصين التي تتقدم بخطى مدروسة نحو منابع الطاقة حتى حدود بحر قزوين.

ورغم كل المعوقات تبقى فرصة تركيا الذهبية في لعب دور حلقة الوصل بين الحضارتين الغربية والإسلامية والقارتين الآسيوية والأوروبية مفتوحة، وهو ما ترنو إليه عيون الأتراك في المستقبل القريب

الـفـصل الـرابـع

تركيا والاتحاد الأوروبى

هي علاقة عجيبة ؟ الكل فيها لا تنقصه المعلومة أو الحقيقة والكل يحاول تفادي المواجهة أو الصراحة ولكن ومع كل هذا الكل يتفاوض ويحاول فتركيا تبحث عن ألمكانه والدعم والنسب الحقيقي بكل مميزاته والاتحاد الأوروبي يريد الدعم قط وان تظل تركيا علي الأبواب تغني وتطلب الوفاق ويظل باب الإمكانية موارب غير مغلق وغير مفتوح أيضاً ؟! وبأسلوب وطريقة النوق الحمر عند الملك النعمان والتي طلبها والد عبلة من عنترة بن شداد في التراث العربي القديم؟! فالاتحاد الأوروبي يضع المناهج والخطوات تلوها خطوات لتعثر الوصول أو دفع مهر الاقتران الكامل وتحاول تركيبا المحاولة تلوها الأخرى .. ولكن هيهات في هذا العصر المليء بالمتناقضات والصعوبات والمتغيرات التي لا تجعل كل أوراق العطاء في يد واحده أو حتى سلطة مطلقة.. إذ كيف يستقيم لدوله أن تظل طيلة هذه السنوات تحاول جاهدة النفاذ إلي الأسواق عبر عضوية كاملة في الإتحاد الأوروبي بينما فازت العديد من الدول الحديثة العهد بالديمقراطية وبخاصة في شرق أوروبا بالعضوية في الاتحاد الأوروبي وذلك علي افتراض أن العقبة الأساسية هي مسار العملية الديمقراطية وحقوق الإنسان والأقليات وليس لوجود نوازع دينيه أو عنصرية ..

البداية تمهد للنهاية :

أو بمعني أخر انه لابد للنهاية إن وجدت أن يكون لها بداية .. وبداية الطريق لتركيا هو تقديمها في نهاية الأربعينيات لطلب العضوية الكاملة في المجلس الأوروبي في أغسطس عام 1949 ثم عضويه منظمة حلف شمال الأطلنطي طبقا للاتفاق الموقع في لندن سنة 1951 وأعقب ذلك سلسلة من العضوية التركية في مجموعات متتالية من المنظمات والهيئات الاقتصادية الأوروبية ابتداء من منظمة التعاون الاقتصادي الأوروبي إلي البنك الأوروبي لإعادة البناء والتنمية مرورا بمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ومؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا .. أي تحقق لأنقره علي مدي هذه العقود المتتالية الفوز بالعضوية في كافه هذه المؤسسات والمنظمات ولكن ظل

الاتحاد الأوروبي هو المطلب وشرعية الاقتران هي المطلب الرئيسي والهدف المنشود لتركيا صعوداً وهبوطاً منذ توقيع إتفاقية الاتحاد الجمركي والتعاون المالي في سبتمبر سنة 1963 وهو ما عرف باتفاق " انقره " ولم يدخل إلي حيز التفعيل إلا في عام 1996 ؟! .

واستمرت العراقيل الأوروبية والمحاولات التركية صعوداً وهبوطاً وبلغت ذروتها خلال ما أعلنه المجلس الأوروبي خلال انعقاده في العاصمة الدنمركية كوبنهاجن في ديسمبر سنة 2002 وأكده في لوكسمبرج عام 2005 وتم فيه توسيع ودعم الاتحاد الجمركي بين الجانبين ولكن في المقابل أيضاً وضع المجلس الأوروبي في أكتوبر سنة 2005 25 بنداً ممثلاً في أهمية السوق العمالية التركية بالنسبة للاتحاد الأوروبي وإتاحة المزيد من فرص الاستثمار لرأس المال الأوروبي والتعويض عن شيخوخة السكان في المجتمع الأوروبي ..

وعلي الرغم من أن الاتحاد الأوروبي يمثل اكبر شريك تجاري حيث بلغت صادرات أنقرة إلي دول الاتحاد الـ27 عبر بروكسل 33 مليار يورو في عام 2009 بما يعادل 46% من إجمالي قيمه الصادرات التركية في هذا العام والتي بلغت 72 مليار يورو كما أن الواردات التركية من دول الاتحاد شكلت نسبة 40% من إجمالي واردات تركيا خلال نفس العام ثم 99 مليار يورو بعد ذلك ؟! وعلي الرغم من قفز التجارة الخارجية فيما بين الاتحاد الأوروبي وتركيا من عام 2005 إلي عام 2008 من 80 مليار يورو إلي 100 مليار يورو إلا أنها عاودت الانخفاض إلي 79 مليار يورو أو 75 مليار يورو طبقاً للإحصاء التركي ؟! فهل يعني ذلك أن هناك شيء ما علي الصعيد السياسي (ربما يكون ذلك ؟!) .**<u>الحقيقة العارية :</u>**

ظلت المفاوضات والتعليمات والاملاءات أيضا تسير في مجري العلاقات التركية الأوروبية دون الإفصاح رسمياً وبالحقيقة الكاملة ودون مواربة بعد الضيق الأوروبي من الضغوط والإلحاح التركي لتعلن فرنسا وبمساندة ألمانية واضحة وضوح الشمس في نهار الدنيا بأن الإتحاد الأوروبي لن يقبل في عضويته وبعقود رسميه واتفاقات دائمة بعضوية دولة مسلمة في الاتحاد ؟! ورغم خطورة ووضوح الإعلان إلا انه لم يكن مفاجأة أو صدمه في تركيا أو في الأوساط الأوروبية والغربية أو حتى في الولايات المتحدة الأمريكية لأن كان معروفاً للجميع ولكنه كان مغموراً في بحر

العلاقات الدولية وطريقة ظهوره وفي هذا التوقيت وبهذه الطريقة كان مسار الدهشة لما يخالفه من شعارات ونداءات ومواثيق أوروبا وأمريكا بحرية العقيدة أو الموروث الثقافي ؟!

ولكن يبقى دائماً شيء ما :

وتلك سنة الحياة بأن المطلق الوحيد هو الله وما عدا ذلك فدوماً ما يكون هناك شيء ما يمكن أن يجده الإنسان وتجده الدول أيضاً في طرق البحث عن الذات والتواجد أيضاً فمازال يوجد في تركيا أوراق للعب والتفاوض بعد تجميد العضوية أو إيقافها بإعلان كل من فرنسا وتركيا الرفض المباشر للانضمام للاتحاد الأوروبي والذي جعل تركيا تقف حائرة بين العمامة والبرنيطة وهذا ما يمكن إفراده في موقع آخر من هذا الكتاب أو باكيه علي الحب الضائع وله إفراد أيضاً أو فيما خطه الاتحاد الأوروبي من خطط تطبيقية لنموذج يراه الاتحاد الأوروبي قد نجح في صورته الأولي في اسبانيا (الأندلس سابقا) وتطبيقه مرحلياً إن أمكن في (أصل وصورة) .. ويبقي أن تضع تركيا في ثقل تواجدها وأهميتها موقعها من الشرق الأوسط (بحر الذهب الأسود والموقع الاستراتيجي) وجوارها وموروثها مع دول الاتحاد السوفيتي السابق ومرور أنابيب الغاز إلي الاتحاد الأوروبي (نبض الحياة والتواجد والتقدم) ثم اللا غني عنه أبداً وبصورة مباشرة وخطيرة وهو تواجدها وما تمثله من تعاون من الباطن أو بالوكالة أو مباشر في حلف شمال الأطلنطي وهو أمر حيوي وهام بل وخطير في الموازين الدولية السياسية والعسكرية وهو ما جعل أوروبا تقدم المزيد من حزم الحوافز والمغريات الهامة أيضاً لتركيا بالتوازن والتوازي مع التأخر في الاستجابة لقبول العضوية الكاملة في الاتحاد الأوروبي خاصة مع تدهور وتأخر التعاون والتفاهم والتوازن علي الجانب الإيراني وما يمثله من خطورة علي الخليج العربي والشرق الأوسط ضد المصالح الحيوية الأمريكية والأوروبية أيضاً في جهته الشرقية وما يعني ذلك من تهديدات مباشره أو خلل في التوازنات السياسية في العالم بأسره .. ولكن أخيراً بل وأخيراً جداً ... هل يمكن لتركيا أن تلعب بهذه الأوراق الخطيرة الهامة وهل تتقبل عواقبها علي المستوي الأوروبي وتأثيرها علي الحليف الأكبر والأول في دائرة الأمن القومي التركي وهو الولايات المتحدة الأمريكية

؟! وهل ستسمح أمريكا بالاقتراب من تلك الخطوط الحمراء وبأي ثمن ستدفعه تركيا؟! ولكن أيضا يبقي ميزان القرار والتهدئة أو ضغطاً أو دفعاً للتفاوض أو التقدم بمزيد من حزم الدعم والإغراء للمحافظة علي توازنات

الشرق الأوسط وشرق أوروبا ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها ؟! ولكن إلي متى يستمر هذا التوازن والذي تحاول تركيا إضافة مزيد من المكانة والثقل لتعزيزه والإيحاء بأهميته والي متى يستمر الرفض الأوروبي.. ذلك الخضوع أو القبول طبقا لأحداث المستقبل وتقلبات السياسة الدولية والمصالح أيضاً .!

تركيا – الاتحاد الأوروبى

تري تركيا أن انعدام التوازن بين التكاليف الأمنية والمصالح الاقتصادية كانت هي الخاصية الأساسية للعلاقات التي أقامتها تركيا مع المعسكر الغربي ففي الماضي تحملت تركيا الأعباء الامنيه للجناح الجنوبي في حلف الناتو ومع ذلك حرمت لسنوات طوال من إيرادات الاتحاد الأوروبي وبعد الحرب البادرة يتولد الإحساس لدي تركيا أيضاً بالنوايا الاوروبيه في عدم حصول تركيا علي حصتها الحقة في إيرادات الاتحاد الأوروبي علي الرغم من أنها (أي تركيا) قد تحملت الأعباء الأمنية لإسرائيل وللدول الغربية في الشرق الأوسط فتتبني دور الشرطي في المنطقة دون مراعاة للبعد الاقتصادي لتركيا تعد مجازفة خطيرة وعلي تركيا أن تتساءل عن سبب استدعائها إلي المقدمة في قضايا الترتيبات الأمنية أكثر من وجودها داخل المحافل الاقتصادية في ترتيبات الشرق الأوسط الجديدة .. وهذا الرأي لمهندس السياسة الخارجية أحمد داود اوغلو ولكن يجدر بين أيضاً أن أقول إن اعتراف تركيا بدور الوسيط أو الدور الثانوي في صراعات الشرق الأوسط وهو هام أيضا للغرب وتركيا علي السواء إلا البضاعة التركية الرخيصة لا يسأل عنها من يشتري وأري أيضاً أن تركيا تحتاج إلي الاستعانة بالخبرات الإسرائيلية وبشكل ملح وعاجل في تثمين البضائع التركية في المحافل السياسية وليس بالطلب التركي لزيادة الأسعار دون تثمين صحيح بين العرض والطلب فبينما كانت إسرائيل تجري مباحثات للتعاون الأمني مع تركيا كانت في الوقت نفسه تعرض علي قبرص اليونانية بيعها طائرات تجسس تعمل بالتحكم عن بعد وحاملات جنود مدرعة وأنظمة اتصالات الكترونية ..

أخيرا بدأت تركيا في التصعيد لزيادة الحوافز و المقابل فقدهدد بشير أتالاي نائب رئيس الوزراء التركي بأن تركيا المرشحة لعضوية الاتحاد الأوروبي ستجمد علاقاتها مع الاتحاد إذا حصلت قبرص على رئاسه الاتحاد الأوروبى الدورية ، قبل أن يوجد حل لمشكلة الجزيرة المقسمة.

وقال أتالاي -في نهاية زيارة كان يقوم بها لجمهورية شمال قبرص التركية- "إذا لم تصل مفاوضات السلام (في قبرص) إلى نتيجة إيجابية، وإذا منح

الاتحاد الأوروبي الرئاسة الدورية لقبرص الجنوبية، فإن الأزمة الحقيقية ستكون بين تركيا والاتحاد الأوروبي".
وأضاف نائب الرئيس -في حديثه لإذاعة شمال قبرص- "سنجمد آنذاك علاقاتنا مع الاتحاد الأوروبي. لقد أعلنا ذلك كحكومة. اتخذنا هذا القرار".
وقد دعت تركيا -التي لا تعترف بحكومة قبرص الجنوبية- إلى إيجاد حل ينهي مشكلة الجزيرة المقسمة منذ 37 عاما بين سكانها من اليونانيين والأتراك، قبل أن تحصل جمهورية قبرص الجنوبية على رئاسة الاتحاد الأوروبي في يوليو/تموز عام 2012.

تهديد فعلي

وكان رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان قد هدد كذلك بتجميد علاقات بلاده مع الاتحاد بسبب القضية القبرصية، ولكن تصريح أتالاي هو أول إعلان من أنقرة بأنها ستجمد العلاقات بالفعل.
وتمثل تصريحات أتالاي إشارة إلى احتمال تدهور العلاقات بين الاتحاد الأوروبي وتركيا التي بدأت مفاوضات عضوية الاتحاد منذ عام 2005.
ويزيد من عمق هذه الأزمة ما ثار بين تركيا وجمهورية قبرص اليونانية بسبب عزم هذه الأخيرة على التنقيب عن الغاز واستغلاله في البحر المحيط بالجزيرة.
وقال وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو إن مشاريع قبرص تصل إلى حد "الاستفزاز"، وأكد أن تركيا ستنتظر في إجراء المسوحات الخاصة بها مع شمال قبرص إذا مضت قبرص قدما في الحفر.
ويمثل القبارصة اليونانيون الجزيرة على الساحة الدولية وفي الاتحاد الأوروبي، في حين تعد تركيا البلد الوحيد الذي يعترف بجمهورية شمال قبرص التركية التي أدى قيامها عام 1983 إلى تقسيم الجزيرة.
ويقول القبارصة اليونانيون إن تركيا لا يمكنها الانضمام للاتحاد الأوروبي قبل حل الصراع في قبرص

أحداث خلف الأبواب المغلقة

وأوضحت البرقيات الأميركية أن واشنطن لديها قناعة بأن حصول أنقرة على عضو الاتحاد الأوروبي سيعمق ارتباطها بالغرب، ويسهم في إقناع العالم بأن اتد الديمقراطيات الأوروبية ليس ناديا قاصرا على المسيحيين فقط.
واعتبرت الصحيفة أن تكرار رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان دعوته للأوروبيين للإعلان بوضوح عن موقفهم بشأن ما إذا كانوا يرفضون قبول بلاده في اتحادهم، يعكس أجواء استياء متزايد في تركيا من وقوف دول كألمانيا وفرنسا والنمسا حجر عثرة أمام مساعيها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

إصرار فرنسي

ولفتت برقية نشرتها الصحيفة الألمانية إلى قول رئيس قسم أوروبا السياسي في وزارة الخارجية الأميركية فيليب غوردان إن الأوروبيين لا يبدون أدنى تأييد لتصور بلاده الداعم لدخول تركيا الاتحاد الأوروبي، وأوضح غوردان أن الفرنسيين هم أكثر المجاهرين بموقفهم في هذا الموضوع.

ونقل الدبلوماسي الأميركي عن جان ديفد ليفي مستشار الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي قوله له -خلال اجتماع جرى بينهما في سبتمبر/أيلول 2009- "نأمل تخلي الأتراك أنفسهم عن السعي للحصول على عضوية الاتحاد الأوروبي، وإذا نجحوا رغم كل المعارضات في استيفاء المعايير المطلوبة منهم للحصول على هذه العضوية، فإن هذا سيكون سيناريو مرعبا لباريس التي ستواجه هذا الوضع باستفتاء شعبي سيرفض فيه الفرنسيون قبول تركيا في أوروبا".

وسجل الدبلوماسيون الأميركيون في برقياتهم السرية أن الحكومات الأوروبية غضبت بشدة من محاولة أنقرة لعب دور صوت العالم الإسلامي داخل حلف شمال الأطلسي (الناتو) أوائل عام 2009، ورفضها حينذاك انتخاب رئيس الوزراء الدانماركي أندرياس فوغ راسموسن أمينا عاما جديدا للحلف، بسبب موقفه من قضية الرسوم الكاريكاتورية المسيئة إلى النبي محمد (ص).

موقف إسرائيل

وذكرت البرقيات الأميركية أن مسؤولين إسرائيليين عبروا أيضا لباريس عن امتعاضهم من الموقف الأوروبي الرافض لتركيا، واعتبروا أن إظهار أوروبا مشاعر الترحيب لأنقرة، سيسهم في تخلي الأخيرة عن الاهتمام بتعزيز علاقاتها العربية والإسلامية على حساب العلاقة مع تل أبيب.

وحمل الدبلوماسيون الأميركيون في برقياتهم السرية ساركوزي والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل المسؤولية عن تنامي مشاعر الصدمة والغضب لدى المواطنين الأتراك تجاه أوروبا، وكشفوا عن تحفظ الجناح المتدين في حزب العدالة والتنمية التركي الحاكم على مساعي الاقتراب من أوروبا، وتخوفه من أن يؤدي تناغم تركيا مع الاتحاد الأوروبي وحصولها على عضويته، إلى محو الإسلام والهوية الحضارية من البلاد.

وقال الدبلوماسيون الأميركيون -في برقياتهم السرية- إنه "رغم المخاوف الغربية من سعي تركيا للاقتراب من العالم الإسلامي وانتهاجها سياسة خارجية مستقلة، فإن سياسة أنقرة العالمية ستبقى معتمدة في المستقبل على ثلاثة محددات مركزية، هي التعاون مع حلف الناتو، والتعاون مع الاتحاد الأوروبي في المجال الجمركي، والسعي للحصول على عضوية هذا الاتحاد".

حسب تسريب لويكيليكس من سفارة واشنطن في أنقرة

أميركا تشكك بجدوى حلفها مع تركيا

قالت مجلة دير شبيغل الألمانية استنادا إلى إحدى البرقياتالدبلوماسية التي سربها موقع ويكيليكس المناصر لشفافية المعلومات الحكومية، إن الدبلوماسيين الأميركيين كانوا متشككين بجدوى تركيا كحليف للولايات المتحدة تقول المجلة نقلا عن البرقية إن الصورة السائدة عن القيادة التركية في العاصمة أنقرة أنها منقسمة ويتغلغل فيها الإسلاميون

وتتضمن البرقية تخوفا كبيرا من الميول الإسلامية لحكومة رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، ويصف الدبلوماسيون الأميركيون وجود تركيا كشريك في الناتو وصاحبة ثاني أكبر جيش فيه على أنه "مدمر".

العثمانيون الجدد

وعلاوة على وصف البرقية للحكومة التركية على أنها منقسمة، فإنها تتهم مستشاري أردوغان بأنهم قليلو الفهم فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، ووصفهم هذا ينجر أيضا على وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو.

تقول المجلة إن البرقية تظهر أيضا قلق الأميركيين من آراء داود أوغلو المتعلقة بتيار العثمانيين الجدد.

وتورد البرقية اقتباسا من قول أحد المستشارين الحكوميين الأتراك إن "داود أوغلو خطير للغاية لأنه قد يستخدم نفوذه الإسلامي للتأثير على أردوغان".

انتقام

وتقول المجلة إن البرقية تضمنت اقتباسا آخر من مستشار في حزب العدالة والتنمية ولكن لا يخلو من التهكم قال فيه إن تركيا قد تذهب إلى حد "استرجاع الأندلس لتنتقم من هزيمتها في حصار فيينا عام 1683".

يقول الدبلوماسيون الأميركيون إن قيادات بارزة في حزب العدالة والتنمية كانوا أعضاء في جماعات إسلامية وإن أردوغان قد عيّن شخصيات مصرفية إسلامية في مناصب مهمة ليعزز موقعه.

كما أبدت البرقيات قلقها من أن أردوغان يطلع على الأخبار ويستقي معلوماته من صحف محسوبة على التيار الإسلامي حصرا.

البرقيات الصادرة من السفارة الأميركية في أنقرة تقول إن أردوغان أحاط نفسه بحلقة من المستشارين "المتملقين" الذين يخفون ازدراءهم له.

وتختم المجلة مقالها بالقول إن البرقيات لفتت انتباه وزارة الخارجية الأميركية إلى أن أردوغان يطلق على نفسه لقب "حامي الأناضول".

حسب تسريبات ويكيليكس

البابا يعارض انضمام تركيا لأوروبا

كشف موقع ويكيليكس مسؤولية البابا بنديكت السادس عشر عن تنامي مشاعر الرفض لعضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي حتى قبل أن يتربع على رأس الكنيسة الكاثوليكية.

ونشرت صحيفة الغارديان البريطانية رسالتين أرسلتا من السفارة الأميركية في الفاتيكان خلال أغسطس/ آب 2004 وديسمبر/ كانون الأول تؤكدان معاداة الفاتيكان لانضمام تركيا. وتشير برقية مرسلة في يونيو/ حزيران 2009 إلى اهتمام عاصمة الكاثوليك بتقليل نفوذ الرئيس الفنزويلي هوغو شافيز في أميركا اللاتينية.

في البرقية الأولى ينقل القائم بالأعمال الأميركي في الحاضرة البابوية برنت هارد عن القائم بأعمال وزير خارجية الفاتيكان المنسنيور بييترو بارولين تأكيده أن ما قاله الكاردينال جوزيف ريتزغر (اسم بنديكت قبل تنصيبه) من أن تركيا هي نقيض دائم لأوروبا، غير ملزم للفاتيكان. لكن بارولين يشير –حسب

البرقية- إلى أن الفاتيكان تبقى قلقة من مستوى الحريات الدينية في تركيا وخصوصا ما يتصل منها بالوضع القانوني للكنائس.

ويضيف أن الصعوبات والتعقيدات أمام عضوية تركيا بالاتحاد الأوروبي ليست من النوع الذي يصعب تجاوزه لكنه مواضيع ضرورية يجب تناولها قبل المضي قدما إلى الأمام.

ويشير الدبلوماسي الأميركي في ذات البرقية إلى أن تأثير الكاردينال ريتزغر كبير في موضوعات العقيدة والإيمان داخل الفاتيكان, لكن ذلك لم يمتد إلى سياستها الخارجية.

المحاولة الفاشلة

لكنه يقول بالمقابل إن ريتزغر كان رائدا في المحاولة الفاشلة للفاتيكان لإدراج مبدأ الجذور المسيحية في مشروع الدستور الأوروبي. كما أنه يعتقد بقوة أن إدخال أمة إسلامية إلى داخل الاتحاد الأوروبي من شأنه إضعاف المؤسسات المسيحية بداخله.

ويمضي الدبلوماسي قائلا "في كل الأحوال يبقى موقف مسؤولي الفاتيكان حذرا ومتحفظا من موضوع انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي". ويضيف أن البابا يوحنا بولس أبلغ السفير التركي في الفاتيكان خلال لقائهما في فبراير/ شباط أنه مع انطلاق تحضيرات تركيا لتأسيس علاقة جديدة بأوروبا فإن الكنيسة (الفاتيكان) تشدد على "حقوق الإنسان الأساسية للأتراك الكاثوليك".

وفي برقية ثانية مرسلة من القائم بالأعمال الأميركي في الفاتيكان بيتر مارتين في 7 ديسمبر/ كانون الأول عام 2006 يقول إن مسؤولين كبارا بينهم البابا بنديكت السادس عشر تحدثوا بإيجابية علنا عن الوحدة الأوروبية لكنهم انتقدوا وضع الحريات الدينية داخل تركيا.

لم يتبدل

ويمضي الدبلوماسي قائلا إن موقف الفاتيكان لم يتبدل من عضوية تركيا رغم ما تردد بعد لقاء البابا بنديكت برئيس الوزراء رجب طيب أردوغان. ويضيف "في الحقيقة لم يوافق البابا ولا الفاتيكان على عضوية تركيا, أكثر من ذلك فإن الحاضرة البابوية مستمرة في التشديد علنا فقط على ضرورة تمتع تركيا

بمعايير كوبنهاغن الخاصة بعضوية الاتحاد الأوروبي".

وتمضي البرقية إلى القول إن المونسنيور باولين قال "لا نرى عقبة أمام انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي"، وذلك في نظر الأخير تطوير يتيح مزيدا من الحقوق الدينية للأقليات في تركيا.

وفي مقطع آخر من البرقية ينقل الدبلوماسي الأميركي عن باولين عدم رضاه عن قيام الرئيس التركي أحمد نجدت سيزر بوضع فيتو على تسع مواد من قانون جرى إقراره في تركيا حديثا يتصل بالأقليات الدينية.

ويضيف أن باولين لاحظ أن قساوسة مسيحيين كانوا قد أرسلوا قبل عامين رسالة أشاروا فيها إلى أن المواد الملغاة تتصل بمشاكل يكابدونها وأن ذلك يلقي الضوء على المشاكل التي يعانيها الكاثوليك اليوم في تركيا.

زيارة تنفيس

وتتناول البرقية أثر زيارة البابا بنديكت السادس عشر لتركيا في تنفيس التوتر الذي كان قائما بين تركيا والفاتيكان قبلها.

وبخصوص ما قاله رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان عن دعم البابا لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي ينقل الدبلوماسي الأميركي عن القائم بأعمال وزير خارجية الفاتيكان قوله إن "رئيس الوزراء أساء فهم أقوال الحبر الأعظم وهو على الأرجح يريد كسب تغطية إعلامية جيدة للقائهما. البابا عبر عن الموقف الذي نتمسك به لكنه قاله على الأرجح بطريقة ملطفة".

ويقول الدبلوماسي إن الرسالة الأسبوعية التي وجهها البابا لجمهوره في 6 ديسمبر تقول "البابا يعرب عن أمله بأن يتشارك المسيحيون والمسلمون في العمل لحقوق الإنسان ويشدد على أمله بأن تركيا ستكون جسر الصداقة والتعاون الأخوي بين الشرق والغرب".

تعليقات القادة على ويكيليكس

عرضت مجلة تايم الأميركية لما أسمته قراءة سريعة في رد فعل بعض القادة وزعماء العالم في أنقرة وروما وموسكو على آلاف الوثائق الاستخبارية الأميركية السرية التي نشرها وينشرها موقع ويكيليس، وقالت إن أنقرة ظهر اسمها في سبعة آلاف و918 من الوثائق.

وأوضحت تايم أن معظم الوثائق كانت قادمة من تركيا أكثر من أي بلد آخر في العالم، حيث تظهر بشكل جلي شكوك الدبلوماسيين الأميركيين بالسياسات التي يتبعها رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان وما وصفته المجلة بحكومته الإسلامية.

ووصفت الوثائق أردوغان بالإسلامي المستبد الذي يقدم نفسه على أنه المدافع عن الأناضول والذي يحيط نفسه بحلقة حديدية من المستشارين المتملقين الذين ليس لديهم فهم كبير لما يجري خارج أنقرة.
وبينما تتهم إحدى البرقيات رئيس الوزراء التركي بالفخر الزائد والطموح الجامح النابع من اعتقاده بأن الله سيره لقيادة تركيا، بالإضافة إلى كونه يملك رغبة قوية للتمسك بالسلطة، وجهت أخرى اتهامات لحكومته بالفساد وقالت إن أردوغان نفسه لديه ثمانية حسابات في البنوك السويسرية.

العثمانية الجديدة

وأما وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو فتنعته الوثائق بكونه خطيرا جدا في ظل طموحاته لإحياء العثمانية الجديدة.
وما أن نشر ويكيليكس الوثائق حتى بدأ فريق من المتطوعين بترجمتها إلى التركية وإعادة نشرها عبر ويكيليكس نفسه بالتركية.
من جانبه قال أردوغان إنه من المبكر التعليق على الحدث، موضحا بالقول "دعونا أولا نعرف ما تقوله الوثائق"، ثم نقرر ما هو الجدي فيها من عدمه، في ظل الشكوك التي تحوم حول ويكيليكس"، مضيفا "إننا سنقيم الأمور ونقوم بالتعليق المناسب في حينه"، حيث يستعد للسفر إلى ليبيا لحضور القمة الأوروبية الأفريقية.
ومن خلال اتصال هاتفي أجرته مجلة تايم، قال ناطق باسم وزارة الخارجية التركية "إننا بصدد تقييم الوثائق"

وعلى المستوى الرسمي شئ أخر

قالت تركيا إنها توصلت إلى اتفاق مع حلف شمال الأطلسي (ناتو) على نشر نظام رادار على أراضيها ضمن نظام الدفاع الصاروخي.
وقالت وزارة الخارجية التركية في بيان صدر في وقت متأخر أمس الخميس إن

المناقشات "اقتربت من مراحلها النهائية".
وكان حلف الناتو قرر العام الماضي نشر نظام للدفاع الصاروخي في أوروبا موّجه إلى الصواريخ الباليستية الإيرانية.
واتفق الناتو مع تركيا -التي تتمتع بعلاقات جيدة مع جارتها إيران- على عدم الإشارة صراحة إلى إيران باعتبارها تهديدا، وهددت تركيا بعرقلة الصفقة إذا حدث ذلك.
وقال بيان الخارجية التركية إن نظام الرادار الجديد من شأنه أن يعزز قدرات كل من حلف شمال الأطلسي وتركيا في الدفاع عن بلدانهم. ولم يذكر البيان متى أو أين سيثبت الرادار.
و في النهاية هي علاقة معلنة و أشبة بالبانوراما و ليست العلاقات السياسية

و في تسريبات ويكيليكس: لا أمل لتركيا في أوروبا سلطت برقيات دبلوماسية أميركية سرية نشرتها صحيفة ديرتاجسشبيغيل الألمانية، الأضواء على حقائق جديدة تتعلق برفض الاتحاد الأوروبي لقبول تركيا في عضويته، وحالة الامتعاض المتصاعدة بين الأتراك تجاه أوروبا، ووصفت الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي بالمهووس بالعداء لتركيا
وذكرت البرقيات -التي نشرتها الصحيفة الألمانية نقلا عن موقع ويكيليس- أن مسؤولين أميركيين خرجوا من لقاءات عديدة مع دبلوماسيين أوروبيين بانطباع مفاده أن أنقرة لا أمل لها في دخول الاتحاد الأوروبي، وأشارت إلى أن سعي الولايات المتحدة الدائب منذ فترة طويلة لإقناع الدول الأوروبية بقبول تركيا في صفوفها، واجه باستمرار استياءً شديدا من الأوروبيين



الـفـصـل الخـامـس

التنين الصينى يتجه غربا

بدت ملامح السياسة الصينية الجديدة تجاه هذه المنطقة عام 1969حينما تحركت بكين لإيجاد إطار رسمي يربطها بالمنطقة، فجاءت فكرة منظمة شنغهاي للتعاون الاقتصادي بالتعاون مع روسيا وكل من كزاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان والتي انضمت إليها أوزبكستان عام 2001، وكان واضحا أن بكين تستغل نفوذ روسيا للتحرك نحو آسيا الوسطى في حين كانت موسكو تبحث عن حليف قوي في آسيا لوقف الزحف الأوروبي الأميركي نحو مناطق نفوذها

الحاجة الاقتصادية

اقتصاديا تشهد الصين نموا يفوق 10% سنويا، وفي ظل حاجتها الملحة للطاقة بشكل متزايد وارتفاع أسعار النفط والغاز، كان على بكين البحث عن بدائل رخيصة وأكثر أمانا تلبي احتياجاتها. ومن هنا برزت أمامها مصادر الطاقة في آسيا الوسطى التي هي قريبة منها ليتحقق لها هذا الحلم، غير أن الأمر يحتاج لمزيد من المقايضات مع روسيا التي تتخوف من شريكتها الإستراتيجية الجديدة أن تزاحمها في السيطرة على خطوط نقل النفط والغاز.

وفي نفس الوقت تشكل آسيا الوسطى سوقا استهلاكيا رائجا للسلع الصينية، فمعدلات التجارة مع آسيا الوسطى قفزت من مليار دولار عام 1997 إلى قرابة عشرة مليارات دولار عام 2006، مع أن الرقم لا يشكل سوى 1% من تجارة الصين مع العالم إلا أن الرقم يعد كبيرا بالنسبة لدول آسيا الوسطى نفسها.

وتزخر آسيا الوسطى حاليا بمئات المشاريع الكبيرة والصغيرة التي ينفذها الصينيون في مجالات متعددة أهمها:

- التنقيب وبناء خطوط أنابيب نقل الطاقة

• بناء الطرق وسكك الحديد

فقد اشترت الصين شركة بتروكزاخستان النفطية بـ4.18 مليارات دولار عام 2005 وكذلك اتفقت الصين مع تركمانستان على مشروع لنقل الغاز التركماني ولمدة ثلاثين عاما إلى الصين والذي تم توقيعه بين بكين وعشق آباد في أبريل/نيسان 2006، كما توجد اتفاقيات مبدئية مع كل من أوزبكستان وإيران حول مشاريع نقل الغاز إلى الصين أو حتى الدول الأخرى مثل مشروع نقل الغاز التركماني عبر أفغانستان إلى باكستان والهند.

الدوافع السياسية والأمنية

ورغم هذه الدوافع الاقتصادية للتحرك الصيني نحو آسيا الوسطى، فإن الجوانب السياسية والأمنية لهذا التحرك لا يمكن إغفالها.

أمنيا استطاعت بكين أن تقنع دول آسيا الوسطى لممارسة ضغط على ناشطي المعارضة الأيغورية الذين يكافحون من أجل حريات أكثر في إقليم شينغيانغ (تركستان الشرقية) والتي بقيت تنشط في آسيا الوسطى، حيث تم استرداد بعض هذه القيادات مؤخرا مما أثار غضب الكثير من المؤسسات العاملة في مجال حقوق الإنسان.

كما أن التغلغل الاقتصادي الصيني ساعد على تحجيم النفوذ الأميركي في آسيا الوسطى كما تمثل في إغلاق القاعدة الأميركية في أوزبكستان عام 2006 وكذلك مراجعة عقد إيجار القاعدة الأميركية في قرغيزستان ثم الدعوة الرسمية لمنظمة شنغهاي في يونيو/حزيران 2006 لإغلاق القواعد الأميركية في آسيا الوسطى.

ومن جهتها نجحت منظمة شنغهاي في استقطاب دول آسيا الوسطى بشكل كبير ضد التوجهات الغربية التي تسعى لفرض أجندتها على الأنظمة الديكتاتورية التي لا تريد الخضوع لضغوط الغرب فيما يتعلق بملفات حقوق الإنسان والديمقراطية، فكثيرا ما يعلن زعماء آسيا الوسطى تصريحاتهم ضد الانتقادات الغربية والأميركية من العاصمة الصينية بكين.

من طرفها تحاول دول آسيا الوسطى إيجاد توازن بين مختلف القوى في

المنطقة للخروج من السيطرة الروسية على البنية التحتية لخطوط نقل الطاقة وإيجاد جو من التنافس بين اللاعبين الكبار تستفيد منه الزعامات المستبدة في السيطرة على مقدرات هذه المنطقة بعيدا عن ضجيج رعاة الديمقراطية وحقوق الإنسان القادم من الغرب.

الفصل السادس

تركيا وأمريكا

مقدمة

إنها علاقة غريبة الأطوار في تفعيلها وفهمها وهي صعبة ومتشعبة ومتداخلة بين النقيد و النقيد وبين السلب والإيجاب بشكل غريب يدعو إلى الترقب ومع ذلك فهي تدور في نطاق الحتمية نحو التلاقي والتغلب علي الصعوبات في النهاية ولكنها أيضا لا تذيب الشوائب والتناقضات وتضاد الأهداف والأغراض وتتحرك من خلالها وفقاً للمصالح وما يمكن تحقيقه ودون سعي أحد الأطراف نحو التصعيد الفعلي أو الدعوة إليه فلا يمكن فصل العلاقة بين أمريكا وبين العشم التركي في مزيد من الضغط علي أوروبا من أجل قبول تركيا عضواً عاملاً في الاتحاد الأوروبي ولا يمكن فصل تشعب العلاقة مع فهم كل من تركيا وأمريكا أيضا لأهمية تركيا البالغة في المحيط الشرق أوسطي سواء للمصالح الأمريكية أو الغربية الأوروبية ولا يمكن أخيراً فصل العلاقة بين تركيا وأمريكا وعلاقتها مع الناتو والبنتاجون أيضاً وتداخل تلك العلاقة بمؤثراتها سلباً أو إيجاباً في شعور تركيا بالإحباط من المعارضة الأوروبية (وخاصة من ألمانيا وفرنسا) نحو الانضمام التركي عضواً عاملاً في الاتحاد الأوروبي ومما يغفله العيد من المحللين السياسيين أن العلاقات الأمريكية التركية كان لها جذور نظراً للأهمية الجيوبوليتكية والعسكرية الفائقة التي تتمتع بها تركيا (وتدركها أمريكا تماماً) فهي تنفرد بكونها ملتقي قارتي أوروبا وآسيا بل تكاد تكون منطقة التحام جغرافي تلتحم فيها أطراف القارتين وتتحكم في ممرات ومضايق بحرية ذات أهمية استراتيجية عظمي بالنسبة للتوازنات السياسية في أوروبا من أهمها مضيقي البوسفور والدردنيل كما أنها تطل علي البحر المتوسط والبحر الأسود .. وقد كان لهذا الموقع الاستراتيجي المتميز إنعكاساته علي حركية وكثافة التفاعلات مما أدي إلي أن تكون تركيا طرفاً فاعلاً في التوازنات التي نشأت بين القوي العظمي في التاريخ الحديث والمعاصر وهو ما أبرزته الحربان العالميتان الأولي والثانية .. بل إن تركيا بحكم هذا الموقع هي الدولة الوحيدة في المنطقة التي ترتبط إرتباطاً وثيقاً وعضوياً بالإستراتيجية الأطلسية لتحقيق التوازن الاستراتيجي بين الشرق والغرب في النظام الدولي ثنائي القطبية قبل

تفكك الاتحاد السوفيتي وما تريده أمريكا بشكل عام من تركيا يتمثل في ثلاثة محاور هي :

1 – ضمان استمرار تدفق مصادر الطاقة.

2 – ضمان عدم قيام قوة معادية قادرة علي التحكم والسيطرة وتأمين المصالح الحيوية لأمريكا.

3 – تجنب صراعات إقليمية تهدد المصالح الأمريكية في المنطقة الآسيوية والشرق الأوسط .

وما تريده تركيا من أمريكا يتلخص في المحاور الأساسية الآتية:

1 – المساعدة في أن تلعب تركيا دوراً حيوياً مميزاً بفوائده في آسيا الوسطي والشرق الأوسط.

2 – تدعيم إقتصادي يتناسب مع ما تقدمه تركيا لكل من أمريكا وأوروبا .

3 – الضغط الأمريكي علي أوروبا لقبولها عضوا عاملاً في الاتحاد الأوروبي .

4 – المساعدة بالقدر الكافي والمساندة في دعم القوة العسكرية التركية لتتناسب مع دورها الجديد في المجتمع الدولي.

وبين تلك الرغبات الأمريكية والتركية تدور أفلاك المحادثات والاتصالات تدعمها الأحداث والصراعات تارة هنا وتارة هناك ويبقي أن ندرك أن لتلك العلاقة جذور وأصول ..

الجذور والأصول:

بعدما انتهت الولايات المتحدة الأمريكية من حروبها الأهلية وإنشاء دولتها بدأت مباشرة تجرب حظها في الانتشار الاستعماري أو ألتدخلي خارج أراضيها وكانت الدولة العثمانية احدي الدول التي أخذت أمريكا تتدخل في شئونها .. وكان شراء الأفيون التركي بأسعار في منتهي الرخص وبيعه بأسعار احتكارية عالية في الصين هدفاً من أهم أهداف الولايات المتحدة الأمريكية فيما أوضحته الدراسة والإعداد الجيد للباحثة (سالار أوسي) في بحثها المطول حول هذه النقطة بالذات .. وعودة إلي الأحداث فبعد أن وطدت الأوساط الحاكمة الأمريكية مواقعها في مرافئ

إفريقيا الشمالية وأنشأت عماره البحر الأبيض المتوسط (ببوارج وقطع بحرية ضخمة) قررت أن تحصل من الباب العالي (في الإمبراطورية العثمانية) علي معاهدة تؤمن للتجار الأمريكيين وضعاً مميزاً في المرافئ التركية ولاسيما في أزمير (وهو المرفأ الرئيسي للأفيون) وعلي هذا ألحت وبصورة خاصة شركات بوسطن التجارية وممثلها الرئيسي في أزمير التاجر المكار (أوفلي) والذي أصبح فيما بعد القنصل الأمريكي في تركيا والذي اشتهر بكونه قد تجرأ أثناء وجوده في إسطنبول علي الاقتراب خلافاً لقواعد الرسميات الإسلامية الصارمة وأثناء صلاة الجمعة من السلطان محمود الثاني والحصول منه علي وعد بحماية خاصة للتجار الأمريكيين .. وفي العام نفسه 1820 عهدت أمريكا إلي الأميرال بينيردج أمر العمارة الأمريكية في البحر المتوسط بأن يمضي علي راس بضع سفن حربية إلي اسطنبول لكي يحصل علي عقد معاهدة في مصلحة الولايات المتحدة (نقطة البداية ؟!) والقي مرساه في شواطئ إسطنبول ومنذ ذاك الوقت أقام صلات وثيقة مع البحارة الأتراك بمن فيهم قبودان باشا (أمير البحر ووكيل الجبخانه، السلطنة العثمانية فتعارض ذلك مع مصالح بريطانيا فقامت شركة الشرق البريطانية بفضح الهدف الأمريكي وإتهموا الأمريكيين في العواصم الأوروبية الغربية بأنهم دعموا الظالمين الأتراك ضد الانتفاضة اليونانية وإضطرت واشنطن إلي استدعاء سفن عمارة البحر الأبيض المتوسط من المياه التركية ولكن بما أن الولايات المتحدة كانت تطالب بامتيازات فقد أرسل الرئيس الأمريكي " مونرو" ووزير الخارجية الأمريكي " أدامس" سراً عميلاً جديداً إلي اسطنبول هو المغامر " إنجليش " خريج جامعة هارفارد والذي كان قد خدم كضابط في عمارة (أسطول) البحر الأبيض المتوسط ثم أحيل إلي التقاعد واعتنق الإسلام وتسمي " محمد أفندي " وخدم عامين في جيش إسماعيل باشا أثناء حملة السودان (وكان يتعامل أيضاً في النخاسة) وبعد مفاوضات سرية بين "انجليش" و"قابودان باشا" أرسلت إلي أزمير وغيره من المرافئ التركية أكبر سفن عمارة المتوسط وهي السفينة "كارولينا الشمالية " التي كانت أكبر سفينة حربية في ذلك الزمن وعلي متنها 960 بحاراً وبهذا تكون قد اكتملت دبلوماسية " إنجليش و رشوات الوزراء في القوي البحرية الحربية في عام 1860 وفي بدايات القرن التاسع عشر أسست أمريكا أول إرسالية بروتستانتية

أمريكية إلي تركيا وأبدت تلك الإرسالية اهتماماً كبيراً بالاتصالات مع المواطنين الأتراك ...

وفي سنوات الحرب العالمية الأولي هزمت دول الحلفاء الإمبراطورية العثمانية التي تحالفت مع ألمانيا ونزلت قوات الحلفاء في المناطق الحيوية (قوات بريطانية وفرنسية وإيطالية ثم وحدات يونانية تساندها السفن الحربية البريطانية والفرنسية والأمريكية وشرعت هذه الدول بوضع خطط القضاء علي سيادة الدولة المهزومة (اقتسام الإمبراطورية أو جعلها تحت الانتداب الأجنبي) وفي تلك الظروف الصعبة نشأت الحركة التي تزعمها مصطفي كمال (أتاتورك) وتمكنت وحدات المتطوعين التي يقودها في البدء في القضاء علي الجيش الذي أنشأه الخليفة (السلطان) الذي انحاز إلي جانب تلك الدول واضطرت جيوش هذه الدول إلي الانسحاب من الأراضي التركية وفي عام 1923 أعلن عن قيام الجمهورية التركية.

المرحلة التالية:

في فبراير 1949 تم التوقيع علي ميثاق حلف شمال الأطلنطي وأرسلت تركيا قطع عسكرية إلي كوريا (في قوات التحالف في الحرب ألكوريه) لإثبات إخلاصها للمصالح الأمريكية والعالم الغربي وفي فبراير من عام 1952 أصبحت تركيا عضواً كامل العضوية في حلف شمال الأطلنطي وفي عام 1955 انضمت إلي حلف بغداد الذي تحول إلي حلف " السنتو" بعد انسحاب العراق منه بعد ثورة 1958 وقد نصت بعض البنود الأساسية في معاهدة دخول تركيا لحلف الناتو في عام 1952 علي مايلي:

1 – تضع تركيا جميع قواعدها العسكرية والمدنية الملاحية والجوية والبرية في خدمة حلف شمال الأطلنطي والبنتاجون بالإضافة إلي القواعد البحرية في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود في جميع الأوقات.

2 – جعل تركيا قاعدة يستطيع فيها حلف الناتو تهديد الجناح الجنوبي الغربي من الاتحاد السوفيتي وحماية الأسلحة النووية التي تتواجد علي الأراضي التركية والقيام بحملات مضادة للدول الاشتراكية .

3 – أن تدعم تركيا الحلف الأطلسي بكل المواد الأولية اللازمة إضافة لجميع متطلبات الإمداد...

في الوقت الحالي:

قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإنشاء قواعد برية فوق الأراضي التركية اعتباراً من عام 1980 لتهديد البلدان المجاورة لتركيا كما تطور الإتفاق بين تركيا وأمريكا في الجانب العسكري الأمر الذي وفر للولايات المتحدة منفذاً حيوياً يتكون من إثنتي عشرة قاعدة عسكرية جوية وتسهيلات للمواصلات والاستخبارات والتجسس بحيث ربطت بها الأبحاث الاستراتيجية العسكرية الحديثة وهي تضم مركزين الكترونيين للإنصات يرصدان العمليات المتعلقة بالصواريخ النووية ثم أنشأت قيادة حلف شمال الأطلنطي (الناتو) مطاراً عسكرياً في مدينة " قونية " التي تبعد مسافة 150 ميلاً عن أنقره إلي الجنوب الغربي وهو خاص باستقبال طائرات " تورنادو" المصنعة من قبل بريطانيا وألمانيا وإيطاليا أما القواعد العسكرية الأخرى التابعة لأمريكا وحلف شمال الأطلنطي علي الأراضي التركية فهي:-

1 – مقاطعة ديار بكر

2 – قاعدة للاستخبارات الأمريكية.

3 – قاعدة لنظام التسهيلات في الاتصالات للدفاع الأمريكي.

4 – قاعدة جوية أمريكية.

5 – محطة الهيئة الأرضية للدفاع الجوي لحلف الناتو ومهمتها متابعة النشاطات وتجارب الصواريخ الروسية.

6 – محطات التنصت وإسترقاق السمع في بيرجيليك.

7 – مقاطعة أرضروم.

8 – موقع التخزين النووي الأمريكي.

9 – قاعدة الدفاع الجوي لحلف الناتو.

10 – أجهزة تنصت ورادار في مواقع مختلفة.

11 مقاطعة ملاطيه.

12 – موقع للتخزين النووي الأمريكي.

13 – قاعدة حيوية أمريكية سرية.

14 – مقاطعة أضدنه وفيها قاعدة جوية أمريكية عبارة عن مطار عسكري مركزي لأمريكا وحلف شمال الأطلسي (قاعدة انجرليك)

15 – قاعدة لنظام التسهيلات والإتصالات الأمريكية.

16 – بمقاطعة ماردين قاعدة عسكرية ومحطة اتصالات ومراقبة أنشئت علي قمة جبل ماردين ومحطة الهيئة الأرضية للدفاع الجوي لحلف شمال الأطلنطي.

منغصات في العلاقة " شوائب لم تزول:

أولاً : الإحساس باستجداء ما تؤمن تركيا بأنها تستحق ومع ما اعتبرته من تخاذل القوي الغربية في نصرة قضاياها من مسألة الأرمن وما يمكن أن تؤديه الضغوط الأمريكية من تهدئة أو مساعدة في حل متوازن علي أقل تقدير.

ثانياً : عدم تحرك الولايات المتحدة لتهدئة المخاوف التركية من تقسيم العراق أو ظهور دولة كردية مستقلة علي أطراف تركيا والحد من نشاط حزب العمال الكردستانيP.K.K وما يمكن أن يؤثر بشكل سلبي إلي حد بعيد علي الأمن القومي التركي في دائرته الأولي..

ثالثاً : لا يمكن التقليل من التأثير السلبي الذي أحدثته واقعة مارس 2003 علي مسار علاقات البلدين لكن الذين يلوحون بها كلما دعت الضرورة إلي ذلك كدليل علي الخذلان التركي للولايات المتحدة في العراق يغفلون

أن أنقره أصبحت فيما بعد من أهم الحلفاء في المكانة الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية في العراق لدرجة أن خسارة الخدمات التركية تأتي علي رأس قائمة مخاوف واشنطن من نشوب مواجهة تركية كردية وهي المخاوف التي لا تقتصر علي الساحة العراقية فقط ولكن الساحة الأفغانية أيضاً ويعود أصحاب التلميحات الأمريكية بأن ذلك لم يكن أيضا بلا مقابل بل كان بعد أن أقنعت أمريكا المسئولين في ألمانيا بدفع ما يقرب 1.1 مليار دولار بالإضافة إلي تسهيلات مالية أخري قاربت مليارين من الدولارات بالإضافة إلي حث صندوق النقد والبنك الدولي بتسهيلات مالية قاربت الخمسة مليارات من الدولارات وما قامت به من مجهودات مع السعودية منحت أنقره بموجبه ملياران من الدولارات بالإضافة إلي تسهيلات أخري وقامت بمد تركيا بمساعدات عسكرية كانت قد وعدتها بها وتأخر الحصول عليها ..

رابعاً : يردد أصحاب المصالح التركية بأن من أهم الخدمات التركية للولايات المتحدة توفير قاعدة انجرليك التي تستضيف ست مقاتلات أمريكية وتشكل البوابة الرئيسية التي ينفذ من خلالها 70% من الإمدادات الجوية للولايات المتحدة وحلفائها في كل من العراق وأفغانستان والتي توفر لأمريكا ما يقرب من 160 مليون دولار سنوياً .

خامساً : حالة الإحباط واليأس التي تعانيها تركيا جراء تجربتها مع الاتحاد الأوروبي وما تجده تركيا من تخاذل وعدم الضغط الكافي والممكن للولايات المتحدة علي الاتحاد الأوروبي والحكومة التركية الحالية متهمة بخلق أعذار التباعد مع الغرب والتي جاءت إلي الحكم لأول مرة عام 2002 ببرنامج انتخابي يتصدره تعهد الحزب بدفع مفاوضات الانضمام مع الاتحاد الأوروبي والتي طال انتظارها من عام 1963 ويتوه ذلك وسط معارضات شديدة ورفض ألماني فرنسي باستحالة ضم دولة إسلامية إلي الاتحاد والأوروبي وتلك هي الحقيقة المره.

وأخيراً : وفي النهاية أجد أنه برغم التزام تركيا بتحالفها مع الولايات المتحدة إلي حد بعيد فإنه ببساطة لم يعد التحالف الوحيد الذي تسعي انقره إلي توطيده وفي الوقت نفسه لا تسعي إلي استبداله ؟!.

سادساً : ما تجده تركيا من ميل أوروبي وأمريكي ليس له ما يبرره سوي القيود التاريخية والمرجعية الدينية في الميل الأوروبي والأمريكي نحو اليونان في صراعها مع تركيا بسبب الأزمة القبرصية ولم يشفع لها ما قدمته وتقدمه للغرب في كافة الأزمات والصراعات الدولية ولكن يبقي في النفس الكثير بل والكثير جداً الذي يظهر علي السطح من آن لآخر وتلك هي العلامة والاستغراب والتناقض في العلاقات الأمريكية والغربية مع تركيا والتي تقفز بكل دلالاتها فوق لغة المصالح والمال والاقتصاد التي يدفع لنا بها المحللون السياسيون دفعاً نحو التوهان أو تغطية لأحداث؟! .

سابعاً : لايزال في القلب التاريخ التركي القريب والذي سقطت علي أبوابه الإمبراطورية العثمانية بالتحالف الغربي رغم كل التعهدات والاتفاقيات المبرمة والمساعدات التركية لأمريكا في بداية تطلعها نحو القمة في إمبراطورية شاركت فيها الاتحاد السوفيتي في قطبين وقيادة ثنائية للعالم ما لبث أن تربعت وحدها علي قمته وكان لتركيا كما تري جانباً منه ولكنه تاه في بحر النسيان و التوهان وما في النفس أيضاً من قيود في العمق لا يغفلها إلا جاهل أو مستكين يرضي ويقتات ما تلقيه ثقافة الغرب وإبهاره وأحقاده أيضاً ..

الـفـصـل الــسـابــع

تركيا تطرح نظاما إقليميا جديدا

في وقت يمور فيه الشرق الأوسط بالاضطرابات والانتفاضات الشعبية، تطرح تركيا نفسها كدولة تملك الحلول لمشاكل المنطقة وأزماتها.

ومع ذلك لا يبدو أن هناك من هو ميال لاعتبار الفترة الراهنة حقبة الهيمنة التركية بالشرق الأوسط ذلك أن سياستها الخارجية هذا العام مثقلة بالأخطاء والأزمات والمكاسب التي تغلب عليها النبرة الخطابية، بل إنها تفتقر لعدد كافٍ من الدبلوماسيين، وفق ما يرى أنتوني شديد في تقريره المنشور بعدد الثلاثاء من صحيفة نيويورك تايمز الأميركية.

لكن في عالم عربي يبدو فيه النفوذ الأميركي في تراجع، والتأثير الأوروبي غير ذي جدوى، وقوى مثل إسرائيل وإيران في حالة اضطراب وعدم يقين، ومسؤولون ميالون لتأكيد الذات أحيانا ويفتقرون للباقة، طرحت تركيا رؤية لما قد ينبثق من الاضطرابات في المنطقة التي قلبت كل التوقعات.

يقول أستاذ العلاقات الدولية بجامعة بيلجي في إسطنبول سولي أوزيل إن تركيا "هي الدولة الوحيدة التي تملك وعياً بما ستؤول إليه الأمور، وإن الرياح تأتي كما تشتهي سفنها".

ولعل السياسة الخارجية لتركيا استحوذت على اهتمام الكثيرين في الشرق الأوسط وما وراءه عقب جولة قام بها هذا الشهر رئيس وزرائها رجب طيب أردوغان لثلاثة أقطار عربية شهدت ثورات وهي تونس ومصر وليبيا، حتى أن منتقديه أَخِذوا بالدلالات الرمزية التي انطوت عليها الرحلة.

ومع أن كثيرين أخذوا على أردوغان سمته الاستبدادية في وطنه، إلا أن الشعوب في الخارج ظلت مبهورة على ما يبدو به بحسبانه رئيس وزراء

قدّم نفسه على أنه قائد معتز بإسلامه لبلد ديمقراطي مزدهر برز بقوة منحازا إلى الثورات ومنافحا عن الحقوق الفلسطينية.

ووصفت إحدى الصحف التركية جولة أردوغان بأنها استهلال "العصر جديد في منطقتنا، وأثنى كاتب عمود مصري على "سجايا الزعامة" عند القائد التركي.

وتحدث وزير الخارجية أحمد داود أوغلو بجرأة عن محور بين مصر وتركيا، وهما من أقوى بلدان المنطقة عسكريا وأكثرها كثافة بالسكان، بينما يوحي ببزوغ فجر نظام جديد في المنطقة حيث سيكون مآل إسرائيل التهميش حتى تصنع سلاما مع جيرانها.

تكامل بعد ازدراء

ولطالما تعاملت تركيا مع العالم العربي بشيء من الازدراء، وظلت سنوات تجني ثمار علاقاتها مع العقيد معمر القذافي في ليبيا والرئيس بشار الأسد في سوريا.

وحتى بعد اندلاع الانتفاضات الشعبية، كانت تركيا تعارض تدخل حلف شمال الأطلسي (ناتو) في ليبيا. وكان الأمل يحدوها حتى الشهر المنصرم في أن يشرف الأسد على مرحلة انتقالية في بلاده رغم أن المعطيات كانت تشير إلى عكس ذلك.

وبرغم أن أردوغان خرج مبكرا ليطالب الرئيس المصري حسني مبارك بالتنحي، فإن ذلك لم يتمخض عن تبعات كثيرة عليه، فالرجلان لم يكونا أثيرين لبعضهما البعض.

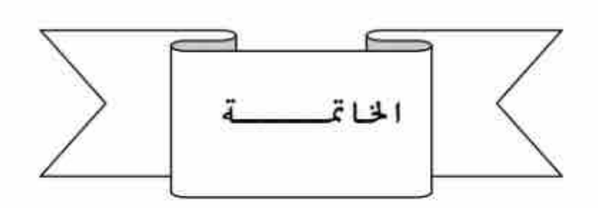
ويرى إرسين كلايجي أوغلو –أستاذ العلوم السياسية بجامعة سبانجي بإسطنبول- أن السياسة التركية القديمة انهارت، ولا بد من سياسة جديدة الآن تجاه الشرق الأوسط.

وفي مقابلة أجريت معه، رسم أوغلو –الذي ينظر إليه الكثيرون على أنه مهندس العلاقات بالمنطقة- سياسة جديدة. فبالإضافة إلى التحالف المقترح مع مصر، قال الوزير إن بلاده تقف إلى جانب الثورات خصوصا في الجارة سوريا، التي تمثل أكبر التحديات لتركيا.

وشدد على أن أنقرة قد تساعد في تكامل المنطقة اقتصاديا، بعد أن زادت صادراتها إلى ثلاثة أضعاف تقريبا منذ تولي حزب العدالة والتنمية برئاسة أردوغان زمام السلطة عام 2002.

غير أن الإحساس الطاغي هذه الأيام في تركيا بصعود نجمها قوة ونفوذا يكاد يقترب من الشوفينية أو المغالاة الوطنية، بل لامس تيار الوطنية العميق وربما قدرا من الرومانسية عند من هم أكثر تدينا، فرحا بعودة تركيا إلى عالم عربي ظل تحت حكمها لأكثر من أربعة قرون.





منذ بداية الكتاب كانت تلح الفكرة في طيات المشاعر والرغبة ... وأخيراً وجدت أن يؤجل ما في أغوار النفس من مشاعر وأصول للثقافة والتاريخ ... ليكون للحيادية التأثير الأقوى والأعمق .. وللعلم اليد العليا .. وأمانة القلم هدفاً واختيارا.. وليكون للخاتمة مع ما في النفس وجود.. لأن الإنسان هو صانع التاريخ والثقافة ومبدع الفكر ورمز الوجود.. وصنع الله .. ويقول العلامة التركي الشيخ فتح الله كولن

عندما لا يحترق القلب شوقاً والروح عذاباً و الذهن هماً فلا تتكلم وإلا فلن تجد أحداً يصغي إليك.

وعندما لا يملؤك الشعور بأن دعوتك هي قلب الكون وروح الوجود وإنها ميزان العالم وصمام أمن وأمان له فكيف تواتيك الشجاعة لمواجهة العالم كله ... وعندما لا يلتهب في دمك عرق بطولي عارم يدفعك لتحدي قدرات هي أعظم من قدراتك وإمكانات هي أعظم من إمكاناتك فيكف إذاً ستخرق المتحديات وتصنع الأعاجيب.

وعندما لا تشعر بمسئوليتك في إنقاذ الإيمان مما يحيق به من خطر عظيم في العالم كله ، فكيف تريد إذاً من هذا العالم أن يفتح إذنيه ليسمعك

وعندما لا يصدر كلامك محملا بألطاف من الشفقة و الرحمة بأولئك المجذومين روحيا و معنويا فان كلامك معهم لا يزيد عن كونه ثرثرة لا يترك أثراً في أحد وعندما لا تحس بأنفاس الملائكة تمازج أنفاسك وبرفيف أجنحتها يلاطف وجهك شاهده علي ما ينطق به لسانك فلن تشم رائحة الصدق الذي من دونه لا تتفتح لكلامك قلوب الآخرين وعقولهم ...

و عندما لا تدفعك مسئوليات الدعوة لزيادة الإدراك وفهم توجهات العالم الروحية والفكرية واكتشاف اللغة التي يمكن من خلالها أن يفهمك.. فأنت عاجز غير جاد والعابثون من الدعاة يضرون ولا ينفعون ويؤخرون ولا يقدمون

و عندما تصاب الروح بالفتور وتنخفض درجة حرارة القلب ويخبو أوار الفكر فأنت متوعك روحياً وعليك أن تصمت لأن الصمت هنا أبلغ من الكلام الميت الذي تقوله..

و إن لم تشرق شمس اليقين بالنصر في سماء كيانك فيكف يكون كلامك دافئاً وصوتك قوياً.

و إن لم تكن نفسك جميلة فكيف تستطيع أن تجمل نفوس الآخرين...

المؤلف

خلفية ظهر الكتاب



محلل سياسى



- حاصل على عدة دراسات عسكرية ، وإستراتيجية .
- حاصل على دراسات فى القانون الدولى والفلسفة والشريعة والاقتصاد السياسى والنظم الدولية ونظم الحكم وتاريخ أسيا وأفريقيا
- له ما يزيد عن 160 بحث سياسى دولى فيما يشبه بانوراما عالمية وإقليمية وقد تم نشرها فى مجلة أخر ساعة المصرية
- محاضر فى العديد من المنتديات والمؤتمرات السياسية
- صدر لمؤلف كتاب شخصيات بين الاسطورة والواقع
- رياح من الشرق (1) الصين وكوريا واليابان
- بانوراما عربية (1) السودان
- تحت الطبع تعقيب على الفرصة الثانية
- تركيا و البحث عن الذات
- ايران...لماذا ؟؟؟

هذا الكتاب ليس دراسة معرفيه عن تركيا و لكنه يوضح الاهميه الكبرى للدور الذي تلعبه الدول الثانوية في الصراع الدولي و فى التوازنات الدولية و خاصة فى الإقليم الشرق أوسطى.....))


@Ahmedyassin90



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90